

في عالم الأرواح

# المطالب الفلسفية في أحكام الروح وآثارها الكونية

للعامة الإمام شيخ شيوخ الأزهر وخاتمة المحققين  
الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي  
رحمه الله

الطبعة الثانية

١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م

حقوق الطبع محفوظة للنشر

شركة مكتبة وطلعة مطبوعات البابي الحلبي وأولاده بمصر  
بمؤذنهم أركان الحلبي وشركاه - خلفاء

U.A.R. 2371. Makhlūf, Hassan  
Makhlūf  
El-Qutairi

# تقديم

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله باري النسم ، والصلاة والسلام على منبع العلم والحكم ، سيد العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه ذوى المقابر والمهم .

وبعد : فهذا كتاب [ المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية ]  
لوالدنا الأستاذ العلامة ، الغنى بعلمه وشهرته عن التعريف والعلامة ، طيب الله  
ثراه ، وأعلى فى فراديس الجفات مشواه ، فرغ من تأليفه فى الثانى عشر من شهر  
ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة وخمسين هجرية ، وأخرجه كتاباً قيماً فريداً فى  
بابه ، واضحاً فى تبيانته ، رصيناً فى أسلوبه ، قوياً فى براهينه ، مسفراً عن حقائق  
علمية رفيعة فى عالم الأرواح ، لا يستغنى عنها باحث روحى ، ومحقق نفسى ،  
فى روحه صفاء ، وفى قلبه نقاء ، لم تحجبه المادة عن البحث فى الأسرار الروحية ،

ولم يعقه جمود فكرى ، أو جحود قلبى عن استجلائها ، والوقوف على كنهها ، من مصادرها ، وعن الإيمان اليقينى بما ورد فى شأنها عن الشارع الحكيم .

\*\*\*

تحدث رحمه الله فى هذه المطالب عن الروح ، ومذاهب الفلاسفة ، وأئمة الإسلام فى تعريفها ، وفى آثارها ، وآلاتها ، وقواها ، وعن الروح الحيوانية والروح الإنسانية ، وهل الثانية من عالم المجردات أو عالم الماديات ؟ وهل هى مخلوقة قبل خلق الأبدان أو بعدها ؟ وعن شأنها قبل تعلقها بالأبدان وبعد تعلقها بها فى الأجنة ، وفى الحياة الدنيا ، وفى البرزخ بعد الموت ، وفى النشأة الآخرة .

\*\*\*

كما تحدث فى أثناء ذلك عن نظرية علماء التنويم فى الأرواح ، وعن موهبة الفراسة والقيافة وما روى فيهما من الطرائف . وفى أطوار تخليق الجنين ونفخ الروح فيه ، وما ورد فى ذلك من الآيات والأحاديث وما قرره الطب فيها . وعن الإسراء والمعراج ، وعن رفع عيسى وإدريس عليهما السلام إلى السماء ، وعن خاصية أرواح الأنبياء والأصفياء ، وعن انسلاخ أرواحهم عن البشرية المادية ، وعن نعم القبر وعذابه ، ووصول ذلك إلى الأبدان ، وعن مستقر الأرواح عامة فى البرزخ ، وعن حياة الشهداء والأنبياء فيه ، وعن النشأة الآخرة وخلق الأبدان فيها خلقا جديدا بديما ملائما لها ، وصالحا للبقاء السرمدى .

كما تحدث عن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، وخصائص أرواحهم فى الحياة وبعد الممات ، وأن الله تعالى - وهو على كل شئ قدير - أن يخص ما شاء بمن شاء ، وأن يودع فى بعض مخلوقاته من الأسرار والمزايا والخصائص ما يكون

آية للناس على عظيم قدرته ، وهاديا لهم إلى الحق واليقين ( لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) . وغير ذلك من المباحث التى جمع فيها بين القديم والحديث .

\*\*\*

وعلى الجملة ، وفى هذه المطالب القدسية ، وما احتوته من المباحث الهامة الدقيقة ، التى عنى المؤلف بجمعها وتحقيقها ، غذاء روحى لمن تتوق نفسه إلى استقصاء البحث فى عالم الأرواح على المنهاج القويم الذى درج عليه الأثبتات الثقات من أئمة الإسلام وأساطين العلماء ، كالغزالي فى إحيائه ، وابن القيم فى كتاب الروح ، والآلوسى فى مواضع عديدة من تفسيره ، وابن سينا ، والصدر الشيرازى ، وابن تيمية وغيرهم .

وفىها سكينه وطمانينة للقلوب ، وترسيخ للعقيدة ، فيما يجب الإيمان به فى أسر الإسراء والمعراج ، ورفع بعض الأنبياء إلى السماء ، والسؤال فى القبر ، والنعيم والعذاب فيه ، والبعث فى اليوم الآخر .

\*\*\*

هذا ، ولما رغب السادة الفضلاء السيد / محمود نصار مصطفى الحلبي وشركاؤه فى إعادة طبعه ونشره على النمط الحديث فى الطباعة شكرنا لهم حرصهم على نشر العلم ، ونفع الناس به ، ورأينا أن نعلق عليه بعض ما يحسن تعليقه ، وأن نضم إليه زيادات هامة ، كان والدنا رحمه الله أشار قبل وفاته بزيادتها فى الطبعة التالية ، مع تغيير رآه فى بعض العبارات ، ونسأله تعالى أن ينفع به ويحجزه عن العلم وأهله خير الجزاء ، إنه خير مسئول .

كتبه

مسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

«أن جسمه الشريف لا ينتقل من قبره المنيف . وإنما الذي يرى خارجه وينتقل إلى الجهات مثاله صلى الله عليه وسلم وصورته لا جسمه وبدنه » .

وفي سنة ١٣٣٤ هـ قد كثر لفظ من لا دراية لهم في معنى الحياة البرزخية<sup>(١)</sup> واضطربت أقوالهم في أحكام الأرواح في الدور الثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار الآخرة حتى أنكر بعضهم ما أثبتته صريح الكتاب والسنة، وأجمع عليه عقلاء الأمة من حياة الأنبياء والشهداء في قبورهم، وخاض بعضهم في الكلام على الروح وتصرفاتها، قبل الموت وبعده، بما لا يساعده عقل ولا نقل، وما كفاهم ذلك بل زادوا في الطنبور<sup>(٢)</sup> نعمةً، فأنكروا وجود الروح الإنساني<sup>(٣)</sup> وما إليه من جنٍ وملاكٍ، فرأيت أن أعيد النظر في هذا الجواب وأضيف إليه ما يثبت فؤاد الناظر في هذا الموضوع الدقيق، ويزيده استبصاراً في نشأة الروح، وفي تعلقها بالأبدان وهي أجنة، وفي حالتها النوم واليقظة، وفي عالم البرزخ، وفي عالم الآخرة وفي آثارها الكونية وشؤونها البرزخية، وفي مقرها بعد الموت، وفي معنى حياته صلى الله عليه وسلم، وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والشهداء في قبورهم، وأنها نوع من الحياة أقرى وأكمل من الحياة الدنيوية، وفيما يتبع ذلك من مباحث .

(١) البرزخ : ما بين الموت والبعث الأخرى .

(٢) الطنبور : بضم أوله من آلات العزف .

(٣) الروح : لغة يذكر ويؤنث .

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

وبعد : فإن الداعي لتأليف هذه الرسالة أن رجلاً من أتباع أحد مشايخ الطرق أذاع في جهة الشرقية بمصر، أن شيخه كان يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويقول النبي له « أولادك أولادى وأحبابك أحبباني » فورد خطاب إلى مشيخة الجامع الأزهر من أحد أهالي الشرقية في شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٤ هـ يتضمن السؤال الآتي :

ما قولكم في رجل ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من قبره وتوجه إلى بعض الجهات، وخاطب أحد مشايخ الطرق شفهياً وقال له « أولادك أولادى وأحبابك أحبباني » فهل هذه الدعوى صحيحة ؟ .

فعمدت إلينا مشيخة الأزهر الإجابة عنه إذ ذاك . وجاء فيها كما سيأتى



وقد عولت في كثير من المباحث على ما ذكره الإمام الغزالي<sup>(١)</sup> في إحيائه وابن القيم<sup>(٢)</sup> في كتاب الروح والعلامة الآلوسي<sup>(٣)</sup> في تفسيره، وأكثرت من نقل نصوصهم القيمة، وعباراتهم المتينة الجيدة، وخصوصاً في مباحث التعلق البرزخي وتعلق البعث الآخرى. والحق أن ابن القيم في هذا الكتاب سبق الباحثين في أحوال الروح قديماً وحديثاً، إسلاميين وغيرهم، من الوجهتين: وجهة الدين ووجهة العلم، فقد أوسع في مطالبه، ودلل عليها بالنظر الصحيح، والنقل الصريح عدا مسائل فذة لا يلتفت إليها.

وعولت أيضاً في نقل آراء الباحثين عن الروحانيات من الغربيين على ما ذكره الكاتب المجيد الأستاذ البعثة «محمد فريد وجدى بك» وجعلت ذلك في خمسة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: في معنى الروح وآلاتها الجسمية، وفيه مباحث.

المطلب الثانى: في تعلقاتها البدنية، وفيه مباحث.

المطلب الثالث: في معنى الحياة البرزخية، وفيه مباحث.

المطلب الرابع: في مستقر الأرواح في البرزخ، وفيه مباحث

(١) هو حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفى بطوس سنة ٥٠٥ هـ.

(٢) هو الإمام علم الإسلام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعى ثم الدمشقي، الشهير بابن قيم الجوزية، المتوفى بدمشق سنة ٧٥٠ هـ.

(٣) هو الإمام المفسر شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي، صاحب روح المعاني في التفسير، وهو من أجل التفاسير، المتوفى ببغداد سنة ١٢٧٠ هـ.

المطلب الخامس: في كرامات الأولياء، وتصرف أرواحهم حال الحياة وبعد المات، وفيه مباحث.

الخاتمة: في نص السؤال والجواب السابق للشار إليه وسميتها:

«المطالب القدسية، في أحكام الروح وآثارها الكونية»  
وسألت الله أن ينفع بها الناظرين، ويشفي بها صدور قوم مؤمنين.

## المطلب الأول

في معنى الروح وآلاتها الجسمية

وفيه مباحث:

### المبحث الأول

في وجود الروح الإنسانية

دلت نصوص الشريعة الإسلامية كتاباً وسنة وإجماعاً، على وجود الروح الإنسانية، وأنها أنزلت من العالم الروحاني إلى عالم الشهادة، ونفخت في الجنين وهو في بطن أمه كما سيأتى بيانه. وأجمع المليون وغيرهم - إلا شذمة من الماديين لا يُعْبَأُ بها - على وجود الروح الإنسانية، وأن هناك شيئاً مغايراً لأعضاء البدن بالذات، يسمى رُوحاً، وهو مصدر التصوُّر والتعقُّل والتخيُّل والإرادة والفكر، فليست الروح آلة من آلات البدن، كاليد والأصبع والرجل والرأس والعين، بل البدن وسائر أعضائه وقواه آلة لها، وليست أداة من أدواته الخارجة عنه، كفأس النجار، ومطرقة الحداد، وإبرة الخياط، وقلم الكاتب،

وما شاكل ذلك من الأدوات ، التي يستعملها الصانع في صناعاتهم . كيف وهى فى الحقيقة الإنسان المقوم لتلك الآلات ، والصانع المستعمل لهذه الأدوات ؟ فى جوهر روحانى خارج عن البدن أو سار فيه<sup>(١)</sup> مخالف بالذات لساير الأجسام وأبعاضها .

\* \* \*

والأمم القديمة قبل المسيحية بأزمان متطاولة كانوا يعتقدون وجود الروح وخلودها ، وأن الموت انتقال من دار العمل إلى دار الجزاء ، وأن الإنسان إذا مات ظهرت روحه فى جسد نورانى شفاف ، أرق من الجسد الدنيوى وأرق منه ، لا تؤثر فيه المؤثرات الكونية ، ولا تعدو عليه النواميس الطبيعية .

وكان بعض الحكماء يقول : إن الأرواح محيطة بنا من كل جانب ، وأن لها قدرة على الظهور بمظاهر جسدية ، وأن بين أرواح الأحياء والأموات علائق يمكن التوصل بها إلى مخاطبة بعضهم بعضاً ، والشرعية الإسلامية ونصوص علماءها لا تأباه كما سيأتى بيانه .

\* \* \*

وأهل صناعة التنويم والتحضير الباحثون فى الأرواح يشايعون هذا المذهب ، فقد قالوا بوجود الروح الإنسانية ، وأن لها غلافا مادياً أرق من مواد الطبيعة الجسمانية ، وهو الذى تخلد به الروح فى العالم الثانى ، ويذكرون لذلك عدة

( ١ ) خارج عن البدن بناء على القول بتجردها ، أو سار فيه بناء على القول بماديته ،

كما سيأتى .

حوادث وغرائب تدل دلالة واضحة على وجود الروح الإنسانية ، وأنها مغايرة لأعضاء البدن مغايرة بالذات والأثر ، خلافاً لشرذمة من الماديين أنكروا وجود الأرواح البشرية ، زاعمين أن القوة العقلية فى الإنسان مصدرها الدماغ ، وأن الشعور والفكر وظيفه عضوية نسبتها إلى الدماغ كنسبة الصفراء إلى الكبد ، والبول إلى الكلى ، وأن الإنسان آلة مادية تعرض له التأثيرات الخارجية ، وعند الموت يتلاشى منه كل شيء ، وينطفى فيه نور الشعور والفكر ، فإن هذا قول باطل ومذهب عاطل<sup>(١)</sup> أصبح بنور العلم قديمه وحديثه ، كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ونصوص الشرائع جمعاء وأبحاث مشاهير العلماء الذين اعتنقوا مذهب الروحانية من الغربيين وغيرهم ، بل والذين تعمقوا فى علم الفيزيولوجيا [ فن وظائف الأعضاء ] أسفرت عن وجود الروح الإنسانية ، وتميزها عن قوى المجموع العصبى ووظيفته ، فلا ياتفت لمثل هذا المذهب بعد انعقاد إجماع المسلمين وغيرهم على خلافه .

وَلَيْسَ كُلُّ خِلَافٍ جَاءَ مُعْتَبَرًا إِلَّا خِلَافٌ لَهُ حَظٌّ مِنَ النَّظَرِ

وسياتى الخلاف فى كونها مادية أو مجردة .

### الجنّ والملائكة

أما الجن ، وهو جسم لطيف نارى قادر على التشكل فى صور مختلفة فقد تواترت فيه أخبار الأنبياء تواتراً لا مريبة فيه ، وآيات القرآن ، وأحاديث النبوة ، التى لا تسكاد تحصى كثرة صريحة فى وجوده . وأنه فاعل بالإرادة ،

( ١ ) تعليل لقوله : خلافاً لشرذمة النخ .

عاقِل ، مأمور ، منهج كَأَصْنَافِ البشر ، له ما لهم وعليه ما عليهم <sup>(١)</sup> فلا يسوغ لأحد يؤمن بالله ورسوله وكتبه إنكاره ، ومن جحد به بعد علمه بما ورد فيه فقد كَذَّبَ بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم . وبما تواتر من أخبار الأنبياء السابقين على نبينا ، وعليهم أَفْضَلُ الصلاة والسلام .

\* \* \*

وكذلك الملائكة السكرام ، وهى أجساد لطيفة نورانية ، قادرة على التشكل فى صور مختلفة . فقد تواترت فيها أيضا أخبار الأنبياء ، ونصوص القرآن ، وأحاديث النبوة ، وأنها موجودات عاملة فاعلة بالقدرة والإرادة كأصناف البشر ، وأنهم مطيعون لربهم عز وجل ، كما قال تعالى ( لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ) ( يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ) ( مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ) .

وكم من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والإجماعات الملية ، دل

( ١ ) قال تعالى ( قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى إلى الرشدا فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ) الآيات .

وقال تعالى ( وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ) الآية .

وقال تعالى ( يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ) الآية .

وغير ذلك من الآيات الواردة فى عالم الجن وتكليفهم بالشريعة ، والإيمان بالرسالة .

دلالة واضحة على وجود عالمي الجن والملائكة وجوداً حقيقياً لا يقبل الإنكار ولا التأويل .

وبالجملة ، فوجود هذه العوالم الثلاثة من الروحانيات لا نزاع فيه عند أهل الشرائع ، وإنما الخلاف فى الأسماء والألقاب .

## المبحث الثانى

فى الروح الحيوانى وثبوته للإنسان

اعلم أن للإنسان روحا تسمى الروح الحيوانى ، وهو جسم لطيف ، مبغته تجويف القلب الجسمانى ، ينتشر بواسطة العروق والشرابين فى سائر أجزاء البدن ، ويُفيض أنوار الحياة والحس ، فيضاً أنوار السراج الذى يدار فى أنحاء البيت .

والأطباء يعبرون عنه ببخار لطيف ، أنضجته حرارة القلب ، فإن للقلب تجويفا فى جانبه الأيسر يجذب إليه لطيف الدم ، فيبخره بحرارته المفرطة ، وذلك البخار هو المسمى روحا عندهم . وهو أول ما تتعلق به الروح الإنسانية ، فيكون كإداة لها ، وبواسطة تعلقها به يستفيد قوة بها يسرى فى جميع أجزاء البدن ، فيفيد كل عضو قوة ، بها يتم نفعه ، وتؤدي وظيفته .

والفلاسفة يعبرون عن الروح الحيوانى مطلقاً بالنفس ويعرفونها بأنها كمال أول الجسم طبعى آلى من جهة ما يحس ويتحرك بالإرادة ، ويعنون بالكمال الأول - ما به يتم النوع فى ذاته ، كصورة السرير مثلا ، فإنها كمال أول للخشب

السريرى لا يتم السرير فى حد ذاته إلا به ، بخلاف السكال الثانى فإنه ما به يتم الشئ فى صفته ، كالعلم والقدرة وغيرها من الصفات المتفرعة على تحصيل الأنواع فى أنفسها .

والسكال الأول كما يشمل النفس الحيوانية المنطبعة فى مادة الحيوان من جهة ما يحس ويتحرك ، يشمل النفس النباتية المنطبعة فى مادة النبات ، التى هى لجسم النبات من حيث يتغذى وينمو ، ويشمل النفس الناطقة فى الإنسان من حيث تتعقل الكليات ، وتستنبط بالرأى ، فهو جنس يشمل النفوس الثلاث المتنوعة بالحيثيات المذكورة .

وقد يعبر عن هذه الحيثيات ، بلازم واحد ، فيقال : « من حيث إنه ذو حياة بالقوة » ويعرّف حينئذ مطلق النفس بأنه « كمال أول لجسم طبيعى آلى من حيث إنه ذو حياة بالقوة » واحتزوا « بالجسم » عن كمال المجردات ، « وبالطبيعى » عن صور الأجسام الصناعية كالسرير والكرسى « وبالآلى » عن صور العناصر والمعادن فإنها وإن كانت كمالات أولية لأجسام طبيعية ، إلا أنها غير آلية ، إذ لا يصدر عنها أفعال بواسطة الآلات فلا يسمى كل ذلك نفساً .

والمراد بالآلى أن يكون ذا أجزاء وقوى مختلفة ، كالغاذية والنامية وغيرها ، فإن آلات النفس بالذات هى القوى وبواسطتها الأعضاء <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

(١) راجع المواقف للعضد وشرحها للسيد الشريف الجرجاني .

والنفس الحيوانية والنباتية حائتان فى البدن ، بخلاف النفس الناطقة فإنها مجردة عندهم ، وتسمى نفساً باعتبار تعلقها بالبدن ، وحين انقطاعها عنه تسمى عقلاً ؛ فالروح الحيوانى المعبر عنه عند الأطباء بالبخار القلبي أو الجسم اللطيف الخ كال جوهرى ، وهو موضوع القوى الحيوانية المنبثة فى سائر أجزاء البدن التى بها يتم الحيوان من حيث كونه حيواناً . ويمتاز عن مشاركاته فى القوى الطبيعية ، وهو الصورة النوعية التى يتميز بها الحيوان عن النبات ، ويتحصّل نوعاً إضافياً مقابلاً لنوع النبات .

وبعضهم يطلق الروح الحيوانى على نفس تلك القوى القائمة بسائر أجزاء البدن ، فتكون عَرَضاً بخلاف الروح الإنسانية ، فإنها جوهر مجرد عن المادة عند الحكماء ، تتعلق بالبدن تعلق التدبير وتتصرف كما سيأتى .

\*\*\*

والمذهب المعول عليه عند أهل الحق أنها مادية متعلقة بالبدن سارية فيه سريان الماء فى العود ، والنّار فى الفحم ، كما سيأتى بيانه .

وعلى هذا فيكون للإنسان روح حيوانى وروح إنسانى ، ومن صرح بذلك العز بن عبد السلام ، ونقل عن ابن مسعود وغيره « إحداهما » روح اليقظة والإدراك ، التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان الإنسان مستيقظاً ، وإذا خرجت منه مع نوع اتصال به نأّم ، ورأت تلك الروح المنامات « والأخرى » روح الحياة التى إذا كانت فى الجسد كان حياً ، وإذا فارقت مات ، ولا تفارقه فى الإنسان إلا إذا فارقت الروح الأولى مفارقة كلية ، أما فى حالة النوم فلها به نوع اتصال .

وقيل : إن الروح التي في الجسد واحدة ، وأنها إذا فارقت البدن مفارقة كلية بطلت آلاته فمات ، وإذا كان لها نوع اتصال به ، كما في حالة النوم ، حفظت عليه قواه وآلاته فبقى حياً .

والصحيح الأول<sup>(١)</sup> ، وهو مذهب الأكثرين كما تدل عليه الآثار ، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان جالسا مع جمع من الصحابة ، وفيهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فالتفت إليهم عمر وقال : إني سائلكم عن أشياء ، ومن جملة ما سألت عنه أن الرجل يحب الرجل ، ولم يلقه ، ولم يجتمع به ، وعن الروبيين<sup>(٢)</sup> إحداها حق والأخرى باطلة ، فسكت القوم ، فقال عمر : ولا أنت يا أبا الحسن ؟ فقال : بلى ، عندي علم ذلك . فأما الرجل يحب الرجل ولم يلقه ، فإن الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف . وأما الروبيان ، إحداها حق والأخرى باطلة ، فإن في ابن آدم روحين فإذا نام خرجت روح فأنّت العدو والحميم ، والبعيد والقريب ، فما كان منها في ملكوت السموات والأرض ، فهو الرؤيا الصادقة ، وما كان منها في الهواء فهي الأضغاث ، وأما الروح الأخرى فلا تنفس والتقلب فقال عمر : صدقت .

وقال مقاتل : للإنسان حياة ، وروح ، ونفس ، فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد ، بل تخرج كحل ممتدة ، له شعاع ، فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه ، وتبقى الحياة والروح في الجسد ، فهما يتقلب

( ١ ) أى القول بأن للإنسان روحين : روح اليقظة وروح الحياة .

( ٢ ) راجع تفسير الآلوسى لآية ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ) ففيه توضيح قول

على رضى الله عنه .

ويتنفس ، فإذا حرك رجعت إليه أسرع من طرفة العين ، ويدل له كما ذكره بعض المفسرين قوله تعالى ( الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ) فهما نفسان : إحداها : روح اليقظة ( فيمسيك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى )<sup>(١)</sup> . وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس ، فالنفس هي التي بها العقل والتمييز ، والروح هي التي بها التنفس والتحريك فيتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم اهـ .

### المبحث الثالث

في اختصاص النفس الناطقة بنوع الإنسان

ذهب جمهور العلماء من الحكماء وغيرهم إلى اختصاص النفس الناطقة بنوع الإنسان ، وأنها لا توجد في أى نوع من أنواع الحيوان ، وما يصدر عن بعض الحيوانات كالأنجل والنمل والعنكبوت من أفعال عجيبة ، يتخيل منها أنها ذات عقل وتمييز ، فذلك إنما هو بمحض الإلهام والتعليم الإلهي ، أو بتسخير الله طبيعتها لما يراد منها ، بمعنى أنه تعالى جعل مزاجها الخاص مصدر تلك الآثار ، فهي آثار طبيعية ، ووظيفة عضوية لا يستند ترتيبها ، وبديع نظامها إلى نفس ذات عقل وتمييز ، وفكر وروية ، بحيث تتعقل الكليات وتستنبط بالرأى ، وقد فسر بكل منهما الإيحاء في قوله تعالى ( وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من

( ١ ) آية ٤٢ الزمر .

الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ<sup>(١)</sup> أَى أَلْهَمَهَا وَعَلَّمَهَا أَوْ سَخَّرَ طَبِيعَتَهَا لِمَا يَرَادُ مِنْهَا ، وَمِثْلَ ذَلِكَ مَا يَصْدُرُ عَنْ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْآخَرَى ، كَالْكَلَابِ ، وَالْجَوَارِحِ ( الطَّيُورِ ) الْمَعْلَمَةِ .

وذكر الأستاذ محمد فريد وجدى أن الماديين أنسكروا الإلهام الحيوانى وعزّوا جميع الحيل التى يستخدمها الحيوان لحفظ وجوده ، والبحث عن غذائه ، وتربية أولاده ، إلى الطبيعة العمياء . وزعموا أن ذلك بطريق العادة الموروثة ، هروباً من القول بأن للحيوان قصداً وإرادةً ، ولكن أثبت غير الماديين من علماء الحيوان أن هذا الزعم باطل ، فقد أخذوا حيوانات كالنحل ، وكلب البحر ، وهى صغيرة جداً ، وربّوها حتى كبرت ، وهى لم تر ما يفعله آبؤها ، ثم تركوها فعملت نفس أعمالهم ، من بناء مساكن ، وإقامة جسور ، بحيث لم يوجد أدنى فارق بين العمّالين ، فكيف تغل هذه المشاهدة بغير الإلهام الذى أودعه فيها الخالق ؟ وإذا كان ذلك عادة موروثة فلمَ لم يرث الإنسان عادة آبائه فى البناء والنحت ، وهم قد اعتادوها من ألوف من السنين إلى آخر ما ذكره فى كتابه المسمى [ على أطلال المذهب المادى ] .

ونقل العلامة الآلوسى عن بعض حكماء الإشراف ، أنهم قالوا بنبوت النفس الناطقة لجميع الحيوانات ومثل هذا المذهب لا يلتفت إليه .

\*\*\*

والحق مذهب الجمهور من اختصاص النفس الناطقة بالإنسان ، وأنها مبدأ

تلك الآثار . وتفوّقُ بعض الطوائع الحيوانية ، وجعلها على مزاج مخصوص ، بحيث يصدر عنها أفعال غريبة لا يخرجها عن أصلها ، ولا يلحقها بعالم الإنسان ، كما أن تفوّق بعض النفوس البشرية ، وبلوغها من السكّال حدّاً لا تحتاج معه إلى فكر ورويةً ، فيما تتصل به من السكّال علماً وعملاً ، لا يخرجها عن نوع الإنسان وإن ألحقت بعالم آخر ، كعالم الملائكة الروحانيّ .

على أن حقيقة الإنسان هى النفس الناطقة المتعلقة ببدنه تعلق التدبير والتصرف ، سارية فيه ، أو مجردة عنه ، والهيكَلُ المخصوص خارج عن حقيقته ، فلو وجدت الروح الإنسانية الناطقة فى حيوان مثل النحل لما كان حيواناً ، بل كان إنساناً فى صورة حيوان ، والنفسُ الإنسانية من أخص أوصافها النطق الفسكى<sup>(١)</sup> الذى يتأهب الإنسان به إلى النطق البيانى . ويخوض به غمار البحث عن حقائق الأشياء وأحوالها ، ليتكلم به علماً وعملاً ، وذلك ليس بموجود فى الحيوان مهما اهتدى إلى أى عمل من الأعمال .

وقد وصف الله النفس الإنسانية بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها ، لا توجد فى غير الإنسان ، فسمّاها « مُطْمَئِنَّةً » لكونها تحت الأمر الإلهى ، و« لَوَامَةً » لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه أو ارتكاب ذميمة فعّاله و« أَمَّارَةً بِالسُّوءِ » لإذعانها لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان . على أن الكلام فى الروح المنفوخة التى هى من عالم الأمر ؟ ولم يثبت نزولها ونفخها فى غير الإنسان .

( ١ ) والمنطقيون حين يعرفون الإنسان بأنه حيوان ناطق إنما يعنون هذا النطق ، وحاصله أنه مفكر بقوة عاقلة امتازت بها ماهيته عن سائر أنواع الحيوان .

( ١ ) آية ٦٨ سورة النحل ، ويعرشون : أى يبنيون من الخلايا .

ما يطلق عليه اسم النفس ، والروح والقلب

والعقل ، والبصيرة ، والسريرة

تقدم إطلاق النفس على ما تطلق عليه الروح .

وقد يراد بها ذات الشيء وحقيقته .

وقد يراد بها المعنى الجامع لقوى الغضب والشهوة في الإنسان ، وهذا الاستعمال هو الغالب عند أهل التصوف ، لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة في الإنسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ » وهي على هذا المعنى قوة طبيعية مستتبعة للصفات المذمومة ، شهوانية أو غضبية ، وجهادها وعداوتها من جهة كونها مستتبعة لهذه الصفات ، وإلا فالقوة الشهوانية والغضبية قد تتعلق بالصفات الحمودة الملائمة للطبع ، فتكون من جانب القوة العاقلة .

وقد يراد منها ذات اللطيفة الربانية من حيث وجودها البدني ، المستتبع للصفات الذميمة ، وجهادها كسرها وإضعاف قوتها ، حتى تغلب عليها النفس السكاملة بواسطة قوتها العقلية ، وما لديها من الأدلة العقلية والنقلية ، وإلى هذا المعنى يشير قول البوصيري في برده :

وَالنَّفْسُ كَالطُّفْلِ إِنْ تَهْمِلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَنْطُمُهُ يَنْفَطِمِ  
فَاعْرِفْ هَوَاهَا وَحَازِرْ أَنْ تُؤَكِّدَهُ إِنْ أَلْهَوَى مَا تَوَلَّى يُضْمِرْ أَوْ يَصْمِرْ

وقول الإمام اللقاني في جوهرته :

فَحَاسِبِ النَّفْسَ وَقَلِّلِ الْأَمَلَا فَرُبَّ مَنْ جَدَّ لِأَمْرِ وَصَلَا

أي حاسب نفسك كل صباح على ماعلمته ليلا ، وكل مساء على ما عملته نهارا ، فما وجدت من حسنة حمدت الله عليها ، وما وجدت من سيئة استغفرت الله منها . والأقرب للسلامة أن تحاسبها على كل فعل قبل الإقدام عليه حتى لا تغلب عليه إلا بعد معرفة حكم الله فيه ، فما كان خيرا فعلمته ، وما كان غير ذلك أمسكت عنه ، لتريح الملائكة من التعب ، ولأن من حاسب نفسه في الدنيا هان عليه أمر الآخرة . وفي الحديث « حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا » ، وعقلاء العامة يحاسبون أنفسهم لفعل الطاعة وترك المعصية ، والخاصة يحاسبون أنفسهم لهذه الغاية ، وللتحفظ من دسائس النفس في الأعمال الصالحة كما يشير إليه قول البوصيري :

وَرَاعِيهَا وَهِيَ فِي الْأَعْمَالِ سَائِمَةٌ وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتِ الْمَرْغَى فَلَا تُسَمِّ  
كَمْ حَسَنَتْ لَذَّةَ الْمَرْءِ قَاتِلَةً مِنْ حَيْثُ لَمْ يَذِرْ أَنْ السُّمَّ فِي الدَّسَمِ

وخاصة الخاصة يحاسبون أنفسهم لذلك ، وللسير في المقامات ، ومراقبة الله في جميع اللحظات ، كما يشير إليه حديث « إِنَّهُ أَلِيمٌ مَنْ عَلَى قَائِي <sup>(١)</sup> فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ » مع أنه غين أنوار لا غين أغيار .

وقد نظم أستاذنا العارف بالله تعالى سيدي أحمد بن شرقاوى قصيدة غراء

(١) يقال : غين على قلبه - إذا غطي عليه ونهس أو غشي عليه أو أحاط به انبرين ،

وهو ما يغلبه .

في محاسبة النفس سماها [ منحة الفتاح ورفقة الأرواح ] وأشار بتلاوتها بعد مجلس الذكر وبعد الغروب كل ليلة ، منها :

يَا نَفْسُ كُنِّي عَنْ سِوَى مَوْلَاكَ      وَابْغِي حِمَاهُ فَالْسَّوَى أَرْذَاكَ  
يَا نَفْسُ ضَاعَ الْعُمُرُ فِي مَرْضَاتِكَ      يَا نَفْسُ بَعْدِي صَارَ مِنْ لَذَاتِكَ  
يَا نَفْسُ رُمْتَ الْخُلْدَ فِي قَطِيعَةٍ      يَا نَفْسُ فَارْقَتِ الصَّفَا بِجَمِيعَةٍ  
يَا نَفْسُ سَقَتْنِي إِلَى حِرْمَانِي      مِنْ خَمْرَةِ التَّقْدِيسِ وَالْمَعَانِي  
يَا نَفْسُ تَبْغِينِ سَنَى التَّدَانِي      وَتَشْغَلِينَ الْقَلْبَ بِأَلَا كُؤَانِ  
إلى أن قال :

يَا نَفْسُ رُوي حَالِكَ الْأَضْلِيَا      وَحَاوِلِي مَشْهُودِكَ الْقَبْلِيَا  
والحكمة يطبقونها على ما يشمل النفوس الفلكية والطبيعية من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض .

وفي كتاب الروح لابن القيم : والروح في القرآن على عدة أوجه أحدها :  
الوحي كما قال تعالى : ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا <sup>(١)</sup> ) وقوله :  
( يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ <sup>(٢)</sup> ) . الثاني : القوة ، والثبات  
والنصرة التي يؤيد الله بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ( أُولَئِكَ  
كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ <sup>(٣)</sup> ) . الثالث : جبريل كقوله  
تعالى : ( نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ <sup>(٤)</sup> ) . الرابع : الروح التي سأل  
عنها اليهود ، فأجيبوا بأنها من أمر الله تعالى كما قال تعالى : ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ

( ١ ) آية ٥٢ الشورى .

( ٣ ) آية ٢٢ المجادلة .

( ٢ ) آية ١٥ غافر .

( ٤ ) آية ١٩٣ الشعراء .

الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي <sup>(١)</sup> ) وهي الروح التي نفخها الله تعالى في آدم  
وفي ذريته . ويعبر عنها بالنفس الناطقة العاقلة العالمة ، وهي موضع البحث هنا .

\*\*\*

والعقل قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم  
الذي محله القلب .

وقد يسمى به العلم المقرون بالعمل ، أو العمل على قضية العلم ، ومنه قول أهل  
النار : ( لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ <sup>(٢)</sup> ) .

وقد يطلق مصدر عقل يعقل عقلا .

وقد يراد به المدرك للعلوم فيكون مرادفا للروح والنفس .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كثرت المسائل يوماً على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةً ، وَمَطِيَّةُ  
الْمَرْءِ الْعَقْلُ ، وَأَحْسَنُكُمْ دَلَالَةً وَمَعْرِفَةً بِالْحُجَّةِ أَفْضَلُكُمْ عَقْلاً » .

وقد يطلق ويراد به الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم ، وهو  
الذي استمد به لقبول العلوم النظرية ، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية ، وهو  
الذي أراده الحرث بن أسد الحاسبي حيث قال في حدّ العقل : إنه غريزة يهيم  
بها الإنسان لإدراك العلوم النظرية ، فهو للنفس بمنزلة الحياة للجسم ، فكما أن  
الحياة غريزة يهيم بها الجسم للحركات الاختيارية ، والإدراكات الحسية ،

( ١ ) آية ٨٥ الإسراء .

( ٢ ) آية ١٠ المائدة .



كذلك العقل غريزة بها يتهم الإنسان لإدراك العلوم النظرية .  
وإطلاقه على اللطيفة الربانية باعتبار هذه الغريزة .

والحكمة يطلقون اسم العقل على الجوهر المجرد القائم بنفسه ، الصادر عن واجب الوجود مباشرة ، وهو العقل الأول ، أو بواسطة ، وهو العقول التسعة المشهورة تندمج في ترتيب الموجودات الواجبة بالغير ، ونحن نسميها كغيرها من العالم الروحاني ملائكة مدبرة .

والقلب يطلق على اللحمة الصنوبرية الشكل ، وعلى اللطيفة الربانية فيرادف النفس والروح .

والقوم يطلقون البصيرة على القوة المهيمنة لإدراك المعاني ، والمريرة على القوة المستعدة لتمكين العلم والمعرفة .

### المبحث الخامس

في معنى الروح الإنسانية وكيفية تعلقها بالبدن

وهل هي حالة فيه أو مجردة ؟

اختلف العلماء في معنى الروح الإنسانية وكيفية تعلقها بالبدن وسريانها فيه أو تجردها عنه<sup>(١)</sup> على أقوال كثيرة ، أشهرها قولان :

الأول : وإليه ذهب الفلاسفة ووافقهم عليه من أئمة المسلمين الإمام الغزالي ، والراغب الأصفهاني وجمع من الصوفية ، أنها ليست جسماً ولا عرضاً ، بل هي

( ١ ) ومع ذلك تتعلق به تعلق التدبير والتصرف .

جوهر مجرد قائم بنفسه ليس حالاً في بدن الإنسان ، ولا متعلقاً به تعلقاً يسهل زواله بأدنى سبب كتعلق الجسم بمكانه ، وإلا تمكنت النفس من مفارقة البدن بمجرد المشيئة من غير حاجة إلى أمر آخر ، ولا تعلقاً بغاية القوة ، بحيث إذا زال التعلق بطل المتعلق ، مثل تعلق الأعراض والصور المادية بمحالتها ، بل هو تعلق وسط بين بين ، كتعلق العاشق بالمعشوق عشقاً حبيلياً إلهامياً لا ينقطع مادام البدن صالحاً لأن يتعلق به<sup>(١)</sup> لتوقف كالاتها ولذاتها العقلية والحسية عليه ، واحتياجها إلى آلات مختلفة يكون لها بحسب كل آلة فعل خاص ، وليست داخلية في العالم الجسماني ولا خارجة عنه ، ولا متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، ولا جهة لها ولا مكان ، لأن الاتصال والانفصال والدخول والخروج والجهة والمكان إنما هي من لوازم الأجسام المتحيزة والروح ليست كذلك .

وليس في ذلك إثبات المثل له تعالى الذي هو محال عقلاً ونقلًا ، لأن هذه السلوب التي أثبتت للروح ليست من أخص أوصاف الإله التي يستحيل ثبوتها لغيره ، بل أخص أوصافه تعالى التي لا يجوز أن يشاركه فيها غيره ، مثل وجوب الوجود لذاته . وكونه عالماً بجميع الأشياء عالماً مبدؤه الذات . وكونه قيّوم السموات والأرض . وكونه مستحقاً للعبادة دون غيره ، وما إلى ذلك مما وجب له واستحال على غيره ، والروح بل وسائر المجردات عند من أثبتها ليست كذلك في وصف من هذه الأوصاف ، كيف وتعلق الأرواح بالأبدان على

( ١ ) تتعلق تدبير وتصرف ، وقال ابن القيم : إن هذا أردأ المذاهب وبطلها ، وسيأتي

اختياره القول الثاني .

الوجه الذى ذكره من امتناع انفكاكها عن البدن متى شامت ، وتديرها لأكثر من بدن واحد ، وغير ذلك مما يُقَصِّصها عن مرتبة واجب الوجود غاية الإقصاء ، ويجعلها من الممكن الذائق المستند فى وجوده لغيره .

### مذهب الصوفية فى كيفية تعلق الروح بالبدن

وقد أشار بعض الصوفية إلى نوع هذا التعلق وأنه تعلق تجلّ وظهور ، كتجلّى القمر فى الماء ، والوجه فى المرآة ، أى ظهور صورتها فى الماء والمرآة ، فإن ذلك نوع من التعلق بين الظاهر ، وهو ذات القمر والوجه ، وبين مظهره ، أى محل ظهور صورته لا يقتضى حلول ذات القمر فى الماء ولا حلول الوجه فى المرآة ، فكذلك تعلق الروح بالبدن واتصالها به وهى فى سماء تجردها تتجلّى فيه وتظهر بصورتها فى البدن ، أى فى مرآة روحه الحيوانى وتنتشر بواسطته فى سائر أقطار البدن بدون حلول ذاتها فيه أو اتحادها به .

نعم يصح باعتبار حلول صورتها ومجلاها فى أقطار البدن أن يقال بحلولها فيه ، ودخولها وخروجها ، واتصالها به وانفصالها عنه ، إلى غير ذلك من الأوصاف التى تسند إلى الشئ وحقيقتها لغيره . وإذا انقطع التعلق بهذا المعنى انقطاعا كلياً ، بحيث يتلاشى معه صورة المُجَلّى وموضوعه وآثاره ، فحالة الموت وإلا فحالة النوم .

والقول بالجلى وظهور الروحانيات مجردة أو غير مجردة فى صور منفصلة عن حقيقتها ، كالجن والملائكة مذهب المحققين من الصوفية وغيرهم ، ومنه

حاوٍ لجبريل عليه السلام ، حيث تمثّل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي ، وذاته لم تفارق سدره المنتهى ، وما وقع له فى قصة مريم كما قال تعالى ( فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَقِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْعَلُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ) فنفع جبريل عليه السلام أو ملك آخر بأمر الله فى جيب درءها فأحست بالحمل فى بطنها مصورا ( فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا <sup>(١)</sup> ) ومن ذلك التنزلات <sup>(٢)</sup> الإلهية يوم القيامة فى صور مختلفة ، كما ورد به الحديث الصحيح .

### أدلة القائلين بتجرد الروح

ومعنى كونها من عالم الأسماء

واستدلوا على تجرد الروح بأنا نشاهد أجساما تصدر عنها آثارها على نهج واحد من الحس ، والحركة ، والتغذى ، والنمو ، والتوليد ، وليس ذلك للجسمية المشتركة بين الأجسام كلها لتختلف تلك الآثار عن الأجسام الأخرى المشاركة لها فى الجسمية ، فهى لمبادى فى تلك الأجسام غير جسميتها ، وليست هذه المبادى

( ١ ) آيات : ١٧ - ٢٢ مريم .

( ٢ ) أى ما يرجع إلى القول بالجلى هذه التنزلات .

أجساما . وإلا عاد الكلام فيها ، بل هي قوى متعلقة بالأجسام تسمى نفسا ، إلا أنها في النبات والحيوان منطبعة فيهما ، وفي الإنسان مجردة عنه غير حالة فيه ، ولكن لا يتناولها اسم النفس إلا باعتبار تعلقها بالبدن ، وحين انقطاعها عنه تسمى عقلا .

ولا يخفى ضعفه ، ولم لا يجوز أن تكون حالة في الأنواع الثلاثة ؟

وتمسك بعض القائلين بتجرد الروح عن البدن بقوله عز وجل ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي <sup>(١)</sup> ) حيث جعل الروح من عالم الأمر فقال ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ <sup>(٢)</sup> ) والخلق والتقدير في الأشباح الظاهرة ، والأمر والتقدير في الأرواح الباطنة . فعالم الخلق عبارة عن كل ما يقع عليه مساحة وتقدير ، وهو الأجسام وعوارضها . وعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة ، والمكان والتحيز ، وهو مالا يدخل تحت المساحة والتقدير لا تتقاء الكمية عنه .

وعلى هذا فخذ الروح - كما في الألواح العبادية - جوهر غير جسمي من شأنه أن يدرك المعقولات ويتصرف في الأجسام ، وهو نور من أنوار الله القائمة لا أين ، فسميحان فاعل العجائب ، مبدع الحقائق ، مظهر الآيات ، إله العالم ، واهب الحياة ، له الأمر ، وإليه المآب ، تبارك الله أحسن الخالقين اه .

ولا يخفى ما في هذا التمسك من المقدمات الخطائية التي لا تقوم حجة في هذا المقام ، إذ « الأمر » كما يحتمل ذلك يحتمل أن يراد به الفعل ، كما في قوله تعالى

( وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ <sup>(١)</sup> ) بناء على أن السؤال كان عن قديم الروح وحدوثها .

أو عالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن دائرة الحس ، وإن كانت في جهة ومكان ، وعالم الأرواح من هذا القبيل .

والظاهر أن السؤال في قوله تعالى ( وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ) كان من اليهود عن حقيقة الروح الذي هو مدار بدن الإنسان ومبدأ حياته ، لأن ذلك من أدق الأمور التي لا يسع أحدا إنكارها ، ويشرب كل إنسان إلى معرفتها ، وتتوفر دواعي العقلاء إليها ، وتكمل الأذهان عن إدراكها ، ولا تسكاد تعلم إلا بوحى ، فلذلك أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ) أى من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الأسرار الخفية التي لا تسكاد تدركها عيون عقول البشر .

وقال غير واحد : معنى كون الروح من أمره تعالى أنه من الإبداعات السائلة بالأمر التكويني من غير تحصيل من مادة وتولد من أصل كالجسد الإنساني فالمراد من الأمر واحد الأوامر أعني كن . والسؤال كما علمت عن الحقيقة ، والجواب إجمالى ، ومآله أن الروح من عالم الأمر مبدعة من غير مادة لا من عالم الخلق المبدع من المادة . وهذا الجواب من الأسلوب الحكيم كجواب موسى عليه السلام لسؤال فرعون ( وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُوتَهُمْ مُوقِنِينَ <sup>(٢)</sup> ) إشارة إلى أن كنهه حقيقته مما

لا يحيط به دائرة إدراك البشر، وإنما الذي يُعَلِّم هذا المقدارُ الإجمالي المشار إليه بقوله تعالى ( وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا <sup>(١)</sup> ) وعلى هذا فلا دلالة في الآية على أن الروح من المجردات .

\* \* \*

وفي الفوز الأصغر للإمام أبي على أحمد بن محمد، المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ : أن النفس الإنسانية ليست بجسم ولا عَرَض ، بل جوهر قائم بنفسه ، واستدل له بأن الجسم إذا قَبِل صورة لم يمكنه أن يقبل صورة أخرى من جنسها إلا بعد أن يخلع الصورة الأولى ، كالفضة إذا قبلت صورة الجلام لم يمكنها أن تقبل صورة الكوز إلا بعد أن تزول عنها صورة الجلام وتخلعها خلعاً تاماً ، وهكذا الشأن في جميع الأجسام . والنفس ليست كذلك ، فإنها إذا قبلت صورة معقولٍ مَّا ، وثبتت تلك الصورة فيها ، ازدادت بها قوة على تصور معقول آخر ينضاف إليها من غير أن تُفصل الصورة الأولى ، بل كلما كثرت وتواردت عليها صور العقولات اقتدرت بها على قبول غيرها ، وقويت في هذا القبول قوةً متزايدةً بحسب تزايد العقولات ، فإذا ليست النفس الناطقة جسماً ، بل ولا عَرَضاً ، لأن الأعراض التي توجد في الجسم كلها تابعة له ، والتابع للشيء أحسنُّ منه وأقلُّ حظاً في الوجود ، إذ لا يوجد إلا بوجوده ، فكيف يكون مدبراً له ، متصرفاً في شئونه ، وكيف يستعمله كما يستعمل الصانع آتاه ، وجميع أعضاء البدن ، ما ظهر منها وما بطن ، إنما هو آلة مستعملة لغرض لم يكن ليناله إلا به انتهى .

ولا يخفى أن عدم تزامم الصور في النفوس يجوز أن يكون منشؤه أن صور العقولات المجردة لا تزامم فيها ، بخلاف الصور المادية بدون أن يكون للمحل دخل في ذلك ، أو أن اختلاف ماهية الجسم الروحاني والجسم المحسوس هو الذي أوجب اختلاف أحكامهما .

### القول بأن الروح جسمانية وأدلته

وكلام ابن القيم في ذلك

القول الثاني : وإليه ذهب جمهور المتكلمين وأئمة الصوفية وغيرهم أنها جسم نوراني سار في جوهر الأعضاء سريان الماء في الورد ، والدهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، لا يتبدل ولا يتحلل ، حتى لو قطع عضو من البدن انقبض مافيه إلى جميع الأعضاء ، وهي في كل عضو منه تامة كاملة بحسب ذلك العضو ، إذ هي المقوم للجميع بالذات ، وهي الحامل لصفات الكمال من العقل والفهم وهي المشار إليه ، بـ «أنا» دون الهيكل المحسوس القابل للزوال، وهي التي تسمى إنساناً بالحقيقة ، والهيكل المحسوس إنما يطلق عليه اسم الإنسان مجازاً ، كما يسمى ضوء الشمس شمساً ، فكما أن ضوء الشمس قائم بها تابع لها يستدل به عليها، فكذا الإنسان الظاهر ظلٌّ وشَبَّح للإنسان الحقيقي أطلق عليه اسم الإنسان لأنه مظهر أفعاله ومحل تصرفاته ، وهو المراد بقوله تعالى ( لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ <sup>(١)</sup> ) فأشار بقوله « أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » إلى الفطرة المقررة

بالرؤية ، والغريزة الإنسانية المستعدة لإدراك الحقائق السكالية والجزئية .

واشتهر هذا القول عن مالك رضى الله عنه ، كما قال الإمام القفاني في جوهرته :

لِمَالِكِ هِيَ صُورَةُ كَالْجَسَدِ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ

واشتهر أيضاً عن أصحابه ، واختاره الإمام الرازى وقال : إنه مذهب قوى وقول شريف يجب التأمل فيه ، وأنه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت ، وعليه قول إمام الحرمين : إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر .

وفي كتاب الروح ، للإمام ابن القيم ما يري هذا القول حيث قال : إن حقيقة الإنسان هي هذا الروح ، وأنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، نوراني علوي ، خفيف حي متحرك ، ينفذ في جوهر الأعضاء ، ويسرى فيها سريان الماء في الورد ، والدهن في الزيتون ، والنار في الفحم ، وما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم مشابكاً لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية . وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح .

قال : وهذا القول هو الصواب في المسألة ، وهو الذي لا يصح غيره ، وكل الأقوال سواء باطلة . وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وعنى بالأقوال الباطلة ما أشار إليه في صدر البحث<sup>(١)</sup> .

( ١ ) ومنها القول الأول المذكور في ص ٢٤ .

وساق على ما صوّبه زهاء مائة دليل ما بين منقول ومعقول .

منها : قوله تعالى ( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى )<sup>(١)</sup> أخبر سبحانه بتوفّيها وإمساكها وإرسالها ، والأعراض والمجردات لاتتصف بذلك .

ومنها قوله تعالى : ( وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ . وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ )<sup>(٢)</sup> أخبر سبحانه ببسط الملائكة أيديهم لتناولها ، ووصفها بالإخراج والخروج ، وأخبر عن عذابها ذلك اليوم وعن مجيئها إلى ربها ، والأعراض والمجردات لاتوصف بذلك .

ومنها قوله تعالى : ( وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )<sup>(٣)</sup> الآية .

أخبر سبحانه بتوفّي الأنفس بالليل وبعثها إلى أجسادها بالنهار ، وتوفّي الملائكة لها عند الموت ، والأعراض والمجردات لاتتصف بذلك .

( ٢ ) آية ٩٣ ، ٩٤ الأنعام .

( ١ ) آية ٤٢ الزمر .

( ٣ ) آية ٦٠ ، ٦١ الأنعام .

ومنها قوله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) <sup>(١)</sup>.  
 أخبر سبحانه أنه سَوَّى النفس كما أخبر أنه سَوَّى البدن في قوله (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ) <sup>(٢)</sup> فسَوَّى سبحانه نفس الإنسان كما سَوَّى بدنه ، بل سَوَّى بدنه كالتقالب لنفسه ، فتسوية البدن تابعة لتسوية النفس والبدن موضوع لها ، كالتقالب لما هو موضوع له ، ومن ههنا يعلم أن النفس تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها ، وأنها تتأثر وتنفعل عن البدن كما يتأثر البدن وينفعل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبيث من طيب النفس وخبيثها ، كما تسكتسب الطيب والخبيث من طيبه وخبيثه ، فأشد الأشياء ارتباطاً وتناسباً وتفاعلاً وتأثراً عن أحدهما بالآخر الروح والبدن ، ولهذا يقال لها عند المفارقة : اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب واخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، فلو كانت عَرَضاً أو مجردة لم تتصف بشيء من ذلك .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ وَرَدَّهَا إِلَيْكُمْ حَيْثُ شَاءَ» .

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الأرواح تتلاقى في المنام ، وأن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام وتتساءل ، وأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ، ترد أنهارها ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل معلقة في العرش ، وأن الرب تعالى خاطبها واستنطقها فأجابته وخاطبته ، وأنها طلبت الرجوع إلى الدنيا .

(١) آية ٨ الشمس .

(٢) آية ٧ الانفطار .

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن بصر الميت يتبع روحه إذا قبضت ، وأن الملك يقبضها فتأخذها الملائكة من يده فيوجد لها كأطيب نَفْحة مسك وجدت على وجه الأرض ، أو كأثن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض . والأعراض والمجردات لا ريح لها ولا تمسك ولا تؤخذ من يد إلى يد ، ولا تتصف بشيء من الأوصاف السابقة .

وقد رأى صلى الله عليه وسلم أرواح الناس عن يمين آدم ويساره ليلة الإسراء متحيزة بمكان وأرواح الأنبياء في السموات ، فسلموا عليه ورحبوا به ، وأرواح الأطفال حول الخليل عليه السلام ، وأرواح المعذبين في البرزخ بأنواع العذاب ، كما في حديث سمرة الذي رواه البخاري في صحيحه . كل ذلك أخبر به صلى الله عليه وسلم كما أخبر بغيره مما لا يكاد يحصر في هذا الباب .

وعلى الجملة فقد وصف الله تعالى ورسوله الأرواح بالدخول والخروج ، والقبض والتتوي ، والإمساك والرجوع ، والصعود إلى السماء ، وفتح أبوابها لها ، وغلقها عنها ، ورؤيتها متحيزة بمكان ، وغير ذلك من الأوصاف التي لا يتصور إسنادها للأعراض والمجردات ، ولا يصح اتصافها بها ، فدل ذلك على أنها جوهر مادي سار في البدن سريان الماء في العود ، والدهن في الورد ، والنار في الفحم .

على أن أدلة إثبات المجردات عند القائلين بها مدخولة ، وليس في قضايا العقل ما يقضى بصرف هذه النصوص المتضاربة على هذا الرأي تضافراً لا يقبل التأويل بل في العقل والفطرة ما يؤيده اه بنوع اختصار وزيادة .

## كلام أهل صناعة التنويم المغناطيسى في معنى الروح الإنسانى

وكاد أهل صناعة التنويم الباحثون عن حال الروح من الغربيين وغيرهم<sup>(١)</sup> أن يصلوا باكتشافاتهم الفكرية وتجربياتهم العملية إلى هذا المعنى الذى وصل إليه علماء الإسلام يَهْدَى النبوة ، وهو أن الروح جوهر ذو جسم لطيف الخ ، حيث قالوا : إن الروح كائن محدود مكسٍ بقالبٍ بشرىَّ يحل في الجسم وقت الحياة ويبارحه بالموت دون انفصال هذا الكساء عنه . وأن الإنسان مركب من أصول ثلاثة : « الأول » النفس والروح ، وهى العنصر العقلى . « الثانى » الجسم المادى الغليظ الذى تكتسى به الروح مؤقتاً لإتمام المقاصد الربانية فيها . « الثالث » الجسم الروحانى وهو الوثاق اللطيف الذى يربط الروح بالبدن ، وبالموت تخلع النفس عنها الكساء الغليظ ويبقى لها جسمها الروحانى المركب من المادة الأثيرية الأصلية التى لاتقع لحقتها ورقتها تحت الحواس ، وهو فى الحياة الجسدية الوسيط الذى ينقل إلى النفس التأثيرات الخارجية وإلى الجسد أوامر الإرادة ، وبعبارة أخرى هو السلك الكهربائى الذى يتقوم بواسطته علاقات النفس مع الخارج .

\* \* \*

( ١ ) لأكثرهم اطلاع على آراء علماء الإسلام وعلى ما أثر عنهم من هذه المباحث واقتباس منها ، وكَم أخذوا منها وانتحلوه لأنفسهم فى هذه الموضوعات وغيرها .

وقد اكتشف علماء التنويم فى سنة ١٩٠٤ أشعته خارج الجسد قالوا : وصورته كصورة الجسم البشرى لا ينفك عن النفس ، بل يلزمها فى كلا الحياتين : الحياة الجسدية ، والحياة البرزخية ، وهو جزء جوهرى من الروح ؛ كما أن البدن جزء جوهرى من الإنسان ، وهو مادة بسيطة لاعقل له ، كما أن الجسد بذاته لا إدراك له .

وبالاختصار هو آلة لأعمال النفس كما أن البدن آلة لخدمة الإنسان فى أعماله . وعندما يتجلى الروح لأحد إنما يتجلى بواسطته ، لأن المادة الدقيقة الأثيرية المركب منها هذا الكساء اللطيف تُمكن النفس من تقليبه أشكالا وألوانا بما لديها من السهولة فى ضغطه أو تحديده .

والامتحانات الروحانية أثبتت أن للنفس جسما سيالا لا يمكن لأحد عوامل الحركة أن تفعل فيه ، وأن هذا الجسم الروحانى يحترق الأجسام ويقطع المسافات فى لمح البصر ، وقد يتجلى حساً ويتكلم أيضا ، وهو فى منتهى الدقة والطلاقة .

قالوا : ولكونه مع الروح شيئا واحدا كالهواء مع الصوت يسوغ لنا بطريق المجاز أن ننسب إليه ما للروح ، ونقول عنه : إنه عالم عامل مرید قادر سميع بصير ، وقد أثبتوه بعد الموت وذكروا له حوادث صحيحة تؤيد بقاء شخصية الإنسان فيه بعد الموت وأظهروا وجه المشابهة بين تجلياته فى الحياة ، وتجلياته بعد الموت ، لصدورها عن علة واحدة وهى النفس العاقلة المزملة بكسائها السيال الذى لا ينفك عنها فى كلا الوجودين ، إلى آخر ما ذكره فى كتبهم ،

مما يدل دلالة واضحة على أن المعنى الذى أثبتته الاكتشاف الفكرى ، وهو أن الروح جوهر ذو جسم لطيف ، حتى باق ، له صورة كصورة الجسم البشرى ، غير بعيد من المعنى الذى أثبتته الهدى الإسلامى ، وهو أنها ذلك الجسم اللطيف خصوصاً مع عدم الاختلاف بينهما فى اللوازم والأحكام ، وسيأتى بيانه فى مبحث نفخ الروح فى البدن .

### أقوال أخرى فى معنى الروح

وهناك أقوال أخرى فى معنى الروح لا يلتفت إليها لظهور فسادها كقول بأن الروح الإنسانى جزء من أجزاء البدن ، أو قوة فى الدماغ أو القلب ، أو مجموع قوى ، أو هى الأخلاط الأربعة ، أو اعتدال المزاج ، أو الدم المعتدل ، إذ بكثرة واعتداله تقوى الحياة وبالعكس ، أو هى الهواء ، إذ بانقطاعه طرفة عين تنقطع الحياة إلى غير ذلك من الأقوال التى لم يقم عليها دليل ولا يقبلها عقل سليم ، إن لم نقل إنها مصروفة عن ظاهرها ، وأنها على ضرب من التسميح .

### تحديد حقيقة الروح لاسبيل إليه

والحق كما ذكره الإمام الغزالى وغيره أن تحديد حقيقة الروح ومعرفة كنه ذاتها وكيفية تعلقها بالبدن<sup>(١)</sup> مما لاسبيل إليه<sup>(٢)</sup> والخوض فيه بالرأى ،

( ١ ) أهو تعلق سريان أم تعلق تدبير وتصرف ؟ أم تعلق تجل وظهور ؟

( ٢ ) أى إلى العلم به على وجه الجزم واليقين .

إذاعة سرِّ الروح الذى لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليس لغيره أن يخوض فيه ، وكل ما يؤثر عن العلماء فى ذلك إنما هو من قبيل ذكر الأوصاف والأحوال التى هى من باب الرسوم والأحكام لا من باب الكشف عن الحقيقة فى ذاتها ، وفى قوله سبحانه وتعالى ( قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ) إشارة إلى ذلك حيث لم يكشف عنها القناع بالمرة ، بل أتى بالجواب مرموزاً ليعلمه العلماء بالله ، واقتضت المصلحة العامة منع الكلام فيه لغيرهم ، لأن الأفهام لا تحتمله خصوصاً على طريقة الحكماء ، وبعض أكابر الصوفية . إذ من غلب على طبعه الجود لا يقبل القول فى صفة البارى ولا يصدق به ، فكيف يصدق به فى حق الروح الإنسانى انتهى .

وعليه فبيان مالك والجمهور المتقدم ليس من الكشف عن حقيقة الروح كالجواب فى الآية الشريفة ، وإنما هو رسوم تتفاوت بالإجمال والتفصيل ، وحاصلها أن الروح ليست من جنس أعضاء البدن ، كالقلب الصنوبرى والمجموع العصبى ، ولا من جنس العناصر ، وهى الماء والهواء والنار والتراب على مذهب إليه الفلاسفة الأقدمون ، ولا من جنس المواليد ، وهى الحيوان والنبات والمعدن ، ولا من جنس الأفلاك والكواكب ، وأنها غير الملائكة والجن ، وأنها فى ذاتها بالغة من اللطافة إلى حدٍّ ليس له نظير من جنس ما نشهده ، ولا مثيل من جنس ما نعهده ، ولذلك سميت روحاً ، فإن لفظ الروح يقتضى اللطف . وتسمى نفساً باعتبار تدبيرها للبدن .



القول في أن من عرف نفسه عرف ربه

ومن هنا قيل <sup>(١)</sup> [ من عرف نفسه عرف ربه ] [ وأعرفكم بنفسه أعرفكم بربه ] وقال تعالى ( وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ <sup>(٢)</sup> ) أى جهل نفسه <sup>(٣)</sup> ، فعرفة النفس طريق إلى معرفة الله تعالى [ إما من جهة العجز والامتناع ] كأن يقال : إذا كانت نفس الإنسان التى هى أقرب الأشياء إليه بل هى هُوَيْتُهُ ، لا يعرف كيفيتها ولا يحيط علماً بحقيقتها فالخالق جلّ جلاله أولى أن لا يعلم كنه ذاته ولا يحاط علماً بحقيقته وحقيقة صفاته ، وقد قيل : العجز عن الإدراك إدراك ، والبحث عن سر كنه الذات إشراك .

والمراد بكيفية الروح كيفيتها الخاصة بها فإنها غير معلومة لنا ، لعدم علم حقيقتها من بين حقائق الموجودات الممكنة . وأما كيفيتها العامة المشتركة بينها وبين الحقائق الأخرى ، ككونها جسماً لطيفاً نورانياً علوياً أو سفلياً ، فمعلومة كعلمنا بالصفات العامة المشتركة بين الله تعالى وبين غيره ، كالعلم ، والقدرة ، والإرادة ، وإن كانت حقيقتها الخاصة به تعالى غير معلومة لنا كذاته جلّ شأنه ،

( ١ ) فيه إشارة إلى أنه ليس بحديث . قيل : إنه من قول يحيى بن معاذ الرازى وله أصل : فمن عايشة كما فى أدب الدنيا والدين : سئل النبى صلى الله عليه وسلم : من أعرف الناس بربه ؟ فقال : أعرفهم بنفسه أى من كشف الخفا .

( ٢ ) آية ١٣٠ البقرة .

( ٣ ) أى لخفة عقله وعدم تفكيره ، وهو قول الزجاج .

وبهذه الأوصاف العامة ترسم الروح <sup>(١)</sup> لتصويرها وجريان الأحكام عليها [ وإما من جهة الاعتبار والقياس ] فإن من عرف نفسه أنه حتى علم تقدير سميع بصير متكلم ، أمكنه أن يتوصل به إلى أن يفهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من أنه حتى علم إلى آخره ، كما يتوصل بتصور مافى الدنيا من العسل ، واللبن والماء ، والنحر ، والحريز ، والذهب ، والفضة ، إلى تصور ما أخبر الله تعالى به من ذلك فى الجنة ، ولكن لا يلزم أن يكون الغيب مثل الشهادة ، بل الحقيقة غير الحقيقة ، والأوصاف غير الأوصاف ، والأحكام غير الأحكام ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء ، فإذا كان ذلك الخلق يوافق ذلك الخلق فى الاسم وبينهما قدر مشترك ومتشابه نعلم به معنى ماخوطينا به ، مع أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة . فالخالق جلّ جلاله أبعد عن ماثلة مخلوقاته مما فى الجنة لما فى الدنيا ، فإذا وصف نفسه بأنه حتى ، علم ، سميع ، بصير ، تقدير ، لم يلزم أن يكون ماثلاً لخلقه ، إذ كان بُعدُه عن ماثلة خلقه أعظم من بُعدِ ماثلة كل مخلوق لكل مخلوق ، ولكن الله سبحانه وتعالى سَمِىَ نفسه وصفاته بأسماء ، وسمى بها بعض المخلوقات ؛ فسمى نفسه حياً ، علماً ، سميعاً ، بصيراً ، عزيزاً ، جباراً ، متكبراً ، ملكاً ، رءوفاً ، رحماً ، وسمى بعض عباده كذلك ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم ولا السمع كالسمع ، وكذلك سائر ما ذكر ، لكن الإنسان يعتبر بما عرفه مالم يعرفه ، ولولا ذلك لانسدت عليه طرق المعارف للأمور الغائبة .

( ١ ) أى تعرف بالرسم ، وهو نوع من التعريف بالصفات غير الذاتية يذكره المناطق فى باب التعريفات فى سائر كتبهم .

## المبحث السادس

### في آلياتها الجسمانية

تحتاج الروح عند اتصالها بالبدن إلى آلات وقوى تستعد بها لأعمال وإدراكات جزئية لبلوغ الكمال المعد لها في جانبي العلم والعمل .

منها ما هو باعث ومستحث لطلب المنفعة ودفع المضرة ، ويعبر عنه بالإرادة وبالقوة الشهوية والغضبية .

ومنها : ما هو محرك للأعضاء إلى تحصيل هذه الغاية ويعبر عنه بالقدرة المثبوتة في سائر الأعضاء .

ومنها : ما هو مُدرك معرف للأشياء ، وهي قوى الحواس الظاهرة - السمع ، والبصر ، والشم ، والذوق ، واللمس - وقوى الحواس الباطنة عند مثبتيتها من الحكماء ، وهي :

« الحس المشترك » وهو القوة التي ترتسم فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الخمس الظاهرة فتطالعها النفس هنالك فتدركها ، ومحلاها مقدم البطن الأول من الدماغ .

« والخيال » وهو قوة تحفظ الصور المرتسمة في الحس المشترك إذا غابت المحسوسات عن الحواس الظاهرة ، فهو كالخزانة له ، وبه يعرف ما يرى في زمان ثم يغيب ثم يحضر ، ومحلاها مؤخر البطن الأول من الدماغ .

« والوهية » وهي قوة تدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالصور المحسوسة ،

كالعداوة التي تدركها الشاة من الذئب فتهرب منه ، والحبة التي تدركها في أمها فتميل إليها ، وهي التي تحكم بأن هذا الأصفر هو هذا الحلو ، ومحلاها مقدم البطن الأخير من الدماغ .

« والحافظة » وهي قوة تحفظ المعاني التي تدركها القوة الوهية كالخزانة لها ، ونسبتها إلى الوهية كذسبة الخيال إلى الحس المشترك ، ومحلاها مؤخر البطن الأخير من الدماغ .

« والمتخيلة » ويقال لها المتصرفة ، وهي القوة التي تتصرف في الصور المحسوسة والمعاني الجزئية المنترزة منها ، وتصرفها فيها بالتركيب تارة ، والتفصيل أخرى ، مثل إنسان ذي رأسين ، وإنسان عديم الرأس ، وحيوان نصفه فرس ونصفه إنسان ، وهذه القوة إذا استعملها العقل في مدركاته بضم بعضها إلى بعض أو فصله عنه سميت مفكرة ، كما أنها إذا استعملها الوهم في المحسوسات مطلقاً سميت متخيلة ، ومحلاها الدودة<sup>(١)</sup> الحاصلة في وسط الدماغ الموضوعة بين البطنين لتأخذ من هذه المحسوسات التي في أحد جانبيه ، ومن هذه المعاني الجزئية التي في الجانب الآخر فتتصرف فيما فيهما بالتركيب والتفصيل .

المشهور في الكتب الحكمية أن المتخيلة في مقدم الدودة ، والوهية في مؤخرها . والحافظة في مقدم البطن الأخير ، وليس في مؤخره شيء من هذه القوى .

وإنما عرفت محالها المذكورة بعروض الآفة لها ، فإنه إذا تطرقت آفة إلى

( ١ ) هي اسم للبطن الوسط من الدماغ ، لكونه على شكل الدودة المعروفة اه مواقف .

محل من هذه الحال اختل فعل القوة المخصوصة به دون غيرها من أفعال سائر القوى .

وفي الحقيقة المدرك هو الحس المشترك والوهم والباقي مُعَيَّنٌ على ذلك ، بل الحق أن المدرك هو النفس وجميع هذه القوى آلات لها .

والنفس تتعلق بالبدن فتفتقر إليه في هذه النشأة الدنيوية ليكون لها مَرَكَبًا تسافر عليه كما يسافر راكب السفينة إلى مطلبه ، وتقطع منازل هذه الدار إلى لقاء الله تعالى ، وزادها العلوم والمعارف والأعمال الصالحة تنزود بها ، إلى أن يسكن البدن ويجاوز الدنيا ، ويدخل في عالم آخر ، وهو عالم البرزخ ، وأول منازل الآخرة ( انظر إحياء العلوم وشرح المواقف وغيرها في هذا الباب ) .

### رأى ابن سينا في قوى الروح الحيوانية والإنسانية

وفي كتاب [ النجاة ] للشيخ الرئيس الحسين أبي علي بن سينا المتوفى سنة ٤٣٧ هـ أن جميع الأفعال النباتية والحيوانية والإنسانية إنما تكون من قوى زائدة على الجسمية ، بل وعلى طبيعة المزاج ، وأن النفس كالجنس تنقسم بضرب من القسمة إلى ثلاثة أقسام : نباتية ، وحيوانية ، وإنسانية . [ وللنفس النباتية ] قوى أربعة : « غذية » تحيل الغذاء إلى مشاكلة الجسم الذي تغذوه بدلا عما يتحلل منه ، و« نامية » تداخل الغذاء بين أجزاء الجسم فتزيد في أقطاره بنسبة طبيعية إلى غايةٍ مَّا تم تقف ، و« مولدة » تأخذ من الجسم الذي هي فيه جزءاً شبيهاً به بالقوة ، وتعمل فيه من التخليق والتمزيج ما يصير شبيهاً به بالفعل ،

و« مصوِّرة » تنفيذ الأجزاء المتخالفة بالحقيقة الصُّور والقوى والأشكال والمقادير التي بها تصير مثلاً بالفعل بعد أن كانت مثلاً بالقوة . وهذه القوى الأربع تجذبها أربع أخرى « الجاذبة » التي تجذب ما يحتاج إليه من الغذاء « الهاضمة » التي تُعَدُّ الغذاء لأن يصير جزءاً بالفعل « والماسكة » التي تمسك الغذاء ريثما تفعل فيه الهاضمة فعلها « والدافعة » التي تدفع الغذاء المهياً إلى الأعضاء وتدفع الفضل عنه .

وهذه القوى الثمان يشترك فيها الإنسان والحيوان .

[ وللنفس الحيوانية ] مع هذا قوتان : محرِّكة ومدركة ، والحركة إما « باعثة » وهي القوة النزوعية والشوقية ، ولها شعبة تسمى قوة شهوية ، وأخرى تسمى قوة غضبية ، وإما « فاعلة » وهي قوة مبثوثة في الأعصاب والعضلات ، من شأنها أن تشنج الأعصاب فتجذبها إلى جهة المبدأ ، أو ترخيها فتصير إلى خلاف تلك الجهة . وأما القوى المدركة فالحواس الظاهرة وهي : السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، واللمس ، والباطنة ، وهي الحس المشترك ، والخيال ، والمتصرفة ، والواهمة ، والحافظة . ومن المدركة ما يدرك ولا يفعل ، ومنها ما يدرك ويفعل كالقوة المفكرة ، فإن من شأنها أن تتركب بعض مافي الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض .

[ وأما النفس الناطقة الإنسانية ] فتتقسم قواها أيضاً إلى قوة عاملة ، وقوة عالمة ، وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم .

فالعاملة : قوة محرِّكة لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية بالفكر والروية ،

وقياسها إلى القوة النزوعية أن تحدث فيها هيآت يتهيأ بها الإنسان بسرعة وانفصال ، مثل الخجل ، والحياء ، والضحك ، والبكاء ، وما أشبه ذلك ، وقياسها إلى المتخيلة والمتوهمة أن تستعملها في استنباط التدابير في الأمور الكائنة والفسادة ، واستنباط الصناعات الإنسانية وقياسها إلى نفسها الناطقة أن فيما بينها وبين العقل النظرى تتولد الآراء الدائعة المشهورة ، مثل أن الكذب قبيح والظلم قبيح ، وما أشبه ذلك من المقدمات التى ليست بعقلية محضة ، وهذه القوة لها السلطان على سائر قوى البدن حسبما توجيه أحكام القوى الأخرى .

وأما القوة العالمة فهى القوة النظرية التى من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، إما بذاتها أو بتجريدتها إياها ، ولها بالنسبة إلى قبول هذه الصور نسب متفاوتة وأسماء مختلفة ، وتفاصيل آثارها ووظائف أعضائها وما احتوت عليه من الأسرار والعجائب لا يحيط به إلا اللطيف الخبير (الذى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>(١)</sup>) اه بتصرف وزيادة .

إدراك الروح قد يكون بالذات وقد يكون بالآلات

ثم إن النفس الناطقة المعبر عنها بالروح الإنسانى تدرك المعقول والمحسوس بقوة واحدة وهى العقل ، إلا أنها فى إدراك المعقول لا تحتاج إلى آلة تستعين بها ، بل جميع ما يفرض آلة قد يكون مانعا لها ، وفى إدراك المحسوس تحتاج لآلاته المتنوعة ، ولذلك إذا عنى الإنسان بتحصيل معقول هام ، واستخراج رأى دقيق خلا بنفسه وأبعد جميع الشواغل عنها ، ورجع إلى ما لديها من المعلومات ، ورتبها ترتيبا يؤدى إلى المطلوب . وبحسب قوته فى الرجوع إلى نفسه وما لديها من العلوم وخلوه عن عوارض الهم ، وشواغل الحس ، والالتجاء إلى المبادئ العالية . تتفاوت النفوس فى إدراك ما تتلمسه من المطالب ، بل النفس الواحدة يتفاوت إدراكها سرعة وبطئا بحسب ذلك ، وجوآن النفس فى طلب المعقول على هذا الوجه يسمى فكرا .

قال العلامة ابن مسكويه : إن النفس الناطقة لا تحتاج فى إدراك ما يخصها من العقولات إلى آلات تستعين بها ، بل جميع ما يفرض آلة فهو مما يعوقها ويعنئها من إدراكه ، وأنها إذا همت بإدراك معقول فإنها تتداخل وترجع إلى ذاتها كأنها تلتمس شيئا من نفسها ، وتعطل حواسها وسائر آلاتها وتلجئ إلى المبادئ العالية لتأخذ عنها ما هو عندها وحاضر لديها ، وبحسب قوة هذا الفعل يكون صحة إدراكها لما تدركه من العقولات ، وأنها إذا طلبت أمرا محسوسا خرجت عن ذاتها كأنها تلتمس شيئا خارجا عنها إلى آلة تتوصل بها إلى

مطلوبها ، فإن وجدت الآلة صحيحة استعمالها وأدركت ذلك الأمر الخارجى ، وإن لم تجد ذلك لا يمكنها أن تتصور ما تلتصمه ، كالأكل لا يمكنه أن يتصور الألوان لأنه لم يجد آتيا انتهى .

### تفاوت النفوس البشرية في إدراكاتها

اعلم أن إدراك النفوس على أنحاء شتى ، ووجوه متفاوتة ، لا تكاد تدرك أطرافها ولا تضبط حدودها ، فمن الناس من يكون مستعداً للكمال العلمى ، بحيث إذا التفتت نفسه إلى المطالب النظرية أدركتها بدون تحشم فكر ولا توسط استعداد آخر ، ويسمى هذا الاستعداد الفطرى وإدراكه « حذساً » وقد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في اتصال نفسه بالمبادئ العالية ، والأخذ عنها إلى أكثر من لفت النظر إلى المطلوب ولوازمه ، فتحضر معه مبادئه بغاية السرعة كما يحضر للزوم مع لازمه البين ، وهذه المرتبة هي أعلى مراتب الاستعداد الفطرى ، وتسمى « عقلاً قُدسيّاً » وأصحاب هذه النفوس تكون غالب علومهم بديهية لا يحتاجون فيما يريدون من المطالب إلى مراعاة منطق يعصم الذهن عن الخطأ ، بل مجرد الحدس كاف في الوصول إلى المطلوب الذى يراد حصوله .

### عجائب للإمام على كرم الله وجهه

ومنه : الإمام على كرم الله وجهه . فيروى من عجائبه أنه كان إذا سئل عن معضلات المسائل التى لا يتوصل إليها فحول العلماء إلا بأنظار دقيقة في أوقات عديدة أجاب عنها بديهية من غير تأمل ، وقضايه في ذلك مشهورة ، وفي كتب أهل السنة مسطورة .

منها : قضاؤه رضى الله عنه في المسألة المنبرية المشهورة « زوجة وبنين وأم وأب » فقد سئل عنها وهو يخطب على المنبر فأجاب على البديهية ، وقافية الخطبة ( صار ثمنها تسعا ) .

وقضاؤه أيضاً في توأمين ولدا مقترني الوركين في زمن عمر رضى الله عنه ، فقد خاض الناس في شأنهما إذا مات أحدهما قبل الآخر ، هل يقطع جلد الميت طلباً لسلامة الحى ؟ أم الميت أولى بالاحترام فيقطع شيء من جلد الحى ليدفن الميت بجميع بدنه ؟ وقد سئل عنها عمر رضى الله عنه ، فقال : سلوا عليّاً ، فسأله ، فقال على البديهية : سلوا أمهماء ، هل ينام أحدهما ويبقى الآخر صاحياً ؟ فقالت : لا ، بل إذا نام أحدهما نام الآخر معه ، فقال كرم الله وجهه : حينئذ لا تقع هذه النازلة ولا يموت أحدهما إلا حين موت الآخر ، فقيل له : من أى دليل استنبطت هذه المعضلة ؟ فقال : من قوله تعالى ( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) فسرّ عمر بذلك .

ومنها : أن امرأة جاءتته تشكو القاضى شُرَيْحاً<sup>(١)</sup> قالت له : مات أخى عن ستمائة دينار فأعطاني ديناراً واحداً ، فقال رضى الله عنه على البديهية : لعل أحاك خلف سواك زوجة وأماً وابنتين واثني عشر أخاً ، فقالت : نعم ، فقال : ذلك حقك ، وقد نظم هذه المسألة بعض العلماء فقال :

(١) هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس الكندى من أشهر قضاة الإسلام ولى القضاء بالكوفة في عهد عمر وعثمان وعلى ومعاوية وتوفى بها سنة ٧٨ هـ .

وَصَاحَةً جَاءَتْ عَلِيًّا لِتَشْتَكِي شَرِيحًا تُنَادِي الظَّلَمَ سِرًّا وَإِجْهَارًا  
فَقَالَتْ: أَخْ عَنْ نِصْفِ أَلْفٍ وَعُشْرِيهَا تُوْفِي فَأَعْطَانِي عَنِ الْكُلِّ دِينَارًا  
فَقَالَ عَلِيٌّ: مَاتَ عَنكَ وَزَوْجَتُكَ وَبَنَتَيْنِ مَعَ أُمِّ أُنَى الْخَيْرِ مِذْرَارًا  
وَمِثْلُ دُورِ الْعَامِ فِي الْعَدِّ إِخْوَةٌ فَحَقَّقْ مَا أُعْطِيَ شَرِيحٌ وَمَا جَارَا  
وأخرج أحمد في مسنده، عن عليّ كرم الله وجهه: أنه كان باليمن فاحفرُوا  
زُبَيْةً (حفرة) للأسد، فجاء حتى وقع فيها رجلٌ قد تعلق بآخر، وتعلق الآخر  
بآخر، وتعلق الآخر بآخر، حتى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد، فمهم من  
مات فيها ومنهم من أخرج فمات، قال: فتنازعوا في ذلك حتى أخذوا السلاح  
فأتاهم عليّ رضي الله عنه فقال: ويلكم تقتلون مائتي نفس في شأن أربعة أناس؟  
تعالوا أفض بينكم بقضاء، فإن رضيتم به وإلا فارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم؛ ففضى - للأول ربع دية، وللثاني ثلث دية، وللثالث نصف دية، وللرابع  
الدية كاملة، فرضى بعضهم وكره بعضهم، وجعل الدية على قبائل الذين ازدحموا،  
فارتفعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال بهز: قال حماد: أحسبه كان متكئًا  
فاحتبى، وقال سأقضى بينكم بقضاء، فأخبر أن عليًّا قضى بكذا وكذا فأمضى  
قضاه اهـ.

وقد حدثني بهذه النوازل الثلاث أخونا في الله العلامة المحدث الشيخ محمد  
حبيب الله الشنقيطي وعزا تفسير عليّ الآية في مسألة قضاء التوأمين إلى تفسير  
القرطبي<sup>(١)</sup>.

(١) راجع ج ١٥ ص ٢٦٠ طبعة أولى.

وحدثنا أيضا أخوه الأكبر العلامة الشيخ محمد الخضر مفتي المدينة المنورة،  
المقيم الآن بعان، بقضاء آخر لعليّ كرم الله وجهه في مسألة الثلاثة الذين اشتركوا  
في أكل أرغفة ثمانية، وحاصلها: أن رجلين جلسا يتغديان، مع أحدهما خمسة  
أرغفة، ومع الآخر ثلاثة، فدخل عليهما ثالث وأكل معهما حتى استوفوا الثمانية  
الأرغفة، ثم أعطاهما ثمانية دراهم عوضاً عما أكل فتنازعا، فقال صاحب الخمسة  
لصاحبه: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة، فقال صاحبه: لا أرضى إلا أن تكون  
الدراهم بيننا نصفين، فترافعا إلى أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه وقصا عليه قصتهما،  
فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرض عليك صاحبك ماعرض وخبره أكثر  
من خبرك فارض بالثلاثة، فقال: لا والله لا أرضى منه إلا بمرّ الحق، فقال  
عليّ رضي الله عنه: ليس لك في مرّ الحق إلا درهم واحد وله سبعة، فقال  
الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض عليّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت  
عليّ بأخذها فلم أرض، وتقول لي الآن إنه لا يجب في مرّ الحق إلا درهم واحد؟  
فقال له عليّ: عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحاً فقلت لم أرض إلا  
بمرّ الحق، ولا يجب لك بمرّ الحق إلا واحد، فقال الرجل: عرفتني بالوجه في مرّ  
الحق حتى أقبل، فقال عليّ رضي الله عنه: أليس الثمانية الأرغفة أربعة وعشرين  
ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم إلا أكثر منكم أكل ولا الأقل  
فتحملون في أكلكم على السواء؟ قال: بلى، قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث  
وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً  
أكل منها ثمانية فيبقى له سبعة أكلها الثالث وأكل لك واحداً من تسعة، فلك  
واحد بواحدك، وله سبعة بسبعته، فقال له الرجل: رضيت الآن اهـ، ذكره

الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب والحافظ المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة .

وفي خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي<sup>(١)</sup> وسئل رضى الله عنه عن مخرج الكسور التسعة ، فقال على البديهة : اضرب أيام أسبوعك في أيام سنتك ، ومخرج الكسر أقل عدد يخرج منه وحاصل ضرب سبعة (أيام الأسبوع) في ثلاثمائة وستين (أيام السنة) يبلغ ألفين وخمسمائة وعشرين ، وهو أقل عدد يخرج منه الكسور التسعة وهي : النصف ، والثالث ، والرابع ، والخمس ، والسادس ، والسبع ، والثمن ، والتسع ، والعشر .

ومثله كما في الخلاصة أيضا : ما لو ضربت أيام شهرك في عدة الشهور والحاصل في أيام الأسبوع ، أو ضربت مخارج الكسور التي فيها حرف العين بعضها في بعض وهي : الربع ، والسبع ، والتسع ، والعشر ؛ فإذا ضربت أربعة في سبعة والحاصل في تسعة والحاصل في عشرة بلغ ( ٢٥٢٠ ) ولكن جواب الإمام أقصر من هذا وأيسر عملا . وكـم له رضى الله عنه من البديهة في معضلات المسائل في كل علم من علوم الدنيا والآخرة .

وهذه مراتب<sup>(٢)</sup> أخرى للحدس متفاوتة سرعة وبُطْأ .

وجمهور الناس يحتاج في كسب المطالب إلى استنباط الحدود بالفكر والتعليم ، وترتيب المقدمات تارة على قانون منطقي ، وتارة على أسلوب لغوي .

( ١ ) للوالد رحمه الله شرح لها مطبوع منذ نيف وسبعين عاما .

( ٢ ) هذا مقابل لقوله سابقا أول هذا المبحث فن الناس من يكون مستعدا الخ .

أو عرفت ، وبالضرورة لا يكون ذلك إلا بعد تمرين القوى النفسية واقتدارها على الإحساس الصادق ، حتى يتسنى للنفس أن ترجع إلى المبادئ التي توصلها إذ لا بد لها من مادة محصّلة ، ومن إرادة تنبثق إلى ما يناسب منها ، وذلك لا يكون لعامة الناس إلا بالمران والتعليم الصحيح .

وهناك أناس يكتبون في فهم المطالب العلمية وغيرها بدلالات عامة ، وإشارات خفية لا تصلح أن تكون طريقاً لغيرهم ، كما شاهدنا بعض الناس وهو أصم لا يسمع يفهم ما يوجه إليه من الكلام بمجرد تحريك الشفتين ، وإذا سئل عن المسائل الدقيقة أجاب عنها بسرعة ، مع أن الحروف ليست كلها شفوية وبعضهم يكتب له بأصبع في الهواء أو على ذراعه أو ساقه ما يراد منه ، فيقرأ ويفهم ما كتب له بأسرع حركة وغيره من الحاضرين العارفين برسوم الكتابة لا يمكنه أن يفهم شيئا بهذا الطريق وتلك الدلالة .

وهناك أناس يطالعون ما في عالم الملكوت من لوح الهيكل الإنساني ، فإن الله تعالى قد شرف للنفوس هذا الهيكل حيث جعله نظير العالم المحيط الأكبر معنى معنًى ، وحرفاً حرفاً ، حتى كأنه هو ، فما تفرق في العالم الأكبر تجسده مجموعاً فيه من ملك وملكوت كما هو مفصل في محله ، وإليه يشير قوله تعالى : ( وفي أنفسكم أفلا تبصرون )<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك ما يستطيعه بعض النفوس ، من خطوط الألف ، وأسارير الجباء ، وأشكال الحواجب والعيون ، وغير ذلك من الأسرار والآثار التي

( ١ ) آية ٢١ الذاريات .

تضمنتها رسوم الألواح الكونية ، ورواها عالم الملك عن عالم الملكوت ، وهذا باب من العلم نسيناه وما كان ربك نسيا .

وهناك أناس آخرون لهم في هذا الباب غرائب وعجائب يزداد بها الناظر في الشؤون الكونية إيمانا باللطيف الخبير ، ويعلم أنه جل شأنه جعل مظاهر علمه على وجوه لا تحيط بها العقول ، وأن هذه الآلات والقوى وطرق التعليم ، وقوانين الدلالة ليست أسبابا عقلية لازمة ، وإنما هي أسباب عادية أكثرية ، والله أن يدع في نفوس الخلق من مواهبه اللدنية ما شاء .

### موهبة الفراسة والقيافة

ومن ذلك موهبة الفراسة والقيافة المشهورة في العرب ؛ فإن هذا الصنف من النفوس البشرية قد وهب من قوة الملاحظة ، ودقة النظر ، وبعد التفكير ، وإصابة الحدس ، ما يبهز العقول ويحير الألباب ، ويدل على أن إمداد الله تعالى نفوس البشر بالمواهب الفطرية وإعدادها للسكالات والإفاضات الربانية لا يبلغ مداه ولا يدرك منتهاه .

والقيافة على ضربين : « قِیَافَة بَشَرِيَّة » وهي الاستدلال بصفات أعضاء الإنسان وتخطيط أطرافه على ما بطن من القرابة والولاد ، وهذه الظاهرة كانت معروفة في قوم من العرب يقال لهم بنو مُذَلْج ، فكان أحدهم يعرض عليه المولود في عشرين نفراً أو أكثر فيلحقه بأبيه<sup>(١)</sup> . وحكى عن بعضهم أنه

( ١ ) وقد أقرها النبي صل الله عليه وسلم في قصة أسامة وزيد ابنه رضي الله عنهما وكانا مختلفين جدا في اللون .

كان في بعض أسفاره راكباً على بعير يقوده غلام أسود ، فرآه هذه القبيلة فنظر إليه واحد منهم فقال : ما أشبه الزاكب بالقائد فوقع في نفس الزاكب شيء ، فلما رجع إلى أمه ذكر لها القصة فقالت : يا ولدي إن أباك كان شيخاً كبيراً ذامالاً ، وليس له ولد ، فخشيت أن يفوتنا ماله فكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ، ولولا أن هذا شيء ستعلمه غدا في الدار الآخرة ، لما أعلمتك به في الدنيا ، ولهم في هذا الباب عجائب وغرائب .

« وقِیَافَة أَثَرِيَّة » وهي الاستدلال بالأقدام للانسان والحيوان ، والحوافر والخفاف في المسير ، وقد اختص بها قوم من العرب أراضيهم رملية ، فكانوا إذا هرب منهم هارب ، أو دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به<sup>(١)</sup> .

ومن عجيب ما يروى عنهم أنهم كانوا يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمرأة من الرجل ، والبكر من النيب ، والغريب من المتوطن ، وحكى : أنه اختلف رجلان من القافة في أمر بعير وهما بين مكة ومي ، فقال أحدهما : هو جل ، وقال الآخر : هي ناقة ، وقصدا يتبعان الأثر حتى دخلا شعب بني عامر ، فإذا بعير واقف ، فقال أحدهما لصاحبه : أهوذا ؟ فقال : نعم ، فوجداه خنثى فأصابا جميعا .

ومنهم من كان يخط الرمل في الأرض ويقول فيوافق قوله ما يأتي بعد .  
ومن ذلك ما يحكى أن رجلاً شردت له إبل ، فجاء إلى خراش فسأله عنها ،

( ١ ) وفي بلاد النوبة والسودان قبائل مشهورة بقص الأثر ، ولهم فيه خبرة عجيبة ، وكثيرا ماتستعين بهم الحكومات في استكشاف الوقائع .



فأمر بنته أن تخط له في الأرض فخطت ، ثم قامت فضحك خراش ثم قال :  
أتدري لأى شيء قيامها ؟ قال : لا ، قال : قد علمت أنك تجد إبلك وتزوجها  
فاستحييت ، ثم خرج الرجل فوجد إبله وتزوجها .

وأصل خط الرمل كان في العرب موهبة يختص الله بها من يشاء منهم ،  
ثم صار علما وصناعة لا يهتدى لفهمه والعمل به على وجه صحيح إلا النذر اليسير .

وأما الفراسة وهي : الحذق والتثبت من الشيء ، فلا يختص بقبيل من  
الناس وإن كانت تتفاوت في بعض النفوس إلى حدٍّ معجز ، وفي الحديث  
« اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » قال ابن الأثير : الفراسة تقال  
بمعنيين : « أحدهما » مادل ظاهر الحديث عليه ، وهو ما يوقمه الله تعالى في  
قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن  
والحدس . « والثاني » نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف  
به أحوال الناس ، وللناس فيه تصانيف كثيرة قديمة وحديثة .

وقال علي رضي الله عنه : ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه  
وقسمات وجهه ، وأشار ابن عباس رضي الله عنهما على علي رضي الله عنه بشيء  
فلم يعمل به ثم ندم ، فقال : يرحم الله ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من  
ستر رقيق .

وحكى أبو سعيد الخراز أنه كان في الحرم فقير ليس عليه إلا ما يستر عورته ،  
فأنفت نفسى منه ففترس ذلك منى فقرأ قوله تعالى ( وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ مَا فِي  
أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ) فندمت واستغفرت الله تعالى في قلبي ، ففترس ذلك أيضاً  
فقرأ ( وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ) .

وحكى عن الشافعي ومحمد بن الحسن : أنهما رأيا رجلا ، فقال أحدهما : إنه  
نجار وقال الآخر : إنه حداد ، فسألاه عن صناعته ، فقال : كنت حدادا وأنا الآن  
نجار . ومن ذلك حكايات ووقائع كثيرة عن العرب وغيرهم تدل على بلوغ  
النفوس البشرية الغاية القصوى من علم هذا الباب الذي هو للنفوس بمنزلة  
الكشف للأولياء .

### قصة نزار بن معد بن عدنان

وبنيه ربيعة ومضر وإياد وأعمار

وأغرب ما وقعت عليه من ذلك ما روى أن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع  
بنيه مضر وإياداً وربيعاً وأعماراً ، فقال : يا بني هذه القبة الحمراء لمضر وكانت  
من آدم ، وهذا الفرس الأدم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادمة وكانت  
شمطاء لإياد ، وهذه البدرية والمجلس لأعمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف  
تقسمون فأتوا الأفعى الجرهمي ومنزله بنجران<sup>(١)</sup> .

وبعد موته تشاجروا في ميراثه ، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمي كما أسرم ،  
فبينما هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أتركلاً قد رعى فقال : إن البعير الذي  
رعى هذا لأغور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ، وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أعمار :  
إنه لشروذ ، فساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جملة فسالهم عن البعير ، فقال

(١) جرهم كقنفة : حتى من اليمن تزوج منهم إسماعيل عليه السلام ، ونجران : موقع باليمن

فتح سنة عشر من الهجرة .

مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال نعم ، قال إياد : أهو أبت ؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شرود ؟ قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ، قالوا : والله ما رأيناه ، قال : هذا والله الكذب ، وتعلق بهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ، فساروا حتى قدموا نجران ، فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملى ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره ، فاختصموا إلى الأفعى وهو حَكَمُ العرب ، فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه ؟ قال مضر : رأيته يرعى جانباً ويترك جانباً فعلت أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة الأثر والآخرى فاسدته فعلت أنه أزور ، لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره ، وقال إياد : عرفت أنه أبت باجتماع بعره ولو كان ذياً لا لمصع به <sup>(١)</sup> ، وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى فى المكان الملتف نبتة ثم يجوزه إلى مكان أفرغ منه وأخبت نبتاً فعلت أنه شرود ، فقال الأفعى للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألم من أنتم ؟ فأخبروه فرحب بهم ثم أخبروه بما جاء بهم ، فقال : أحتاجون إلى وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم فذبح لهم شاة وأنهم بخمر وجلس لهم بحيث لا يرى وهو يسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحماً أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبية ، فقال مضر : لم أر كاليوم خمرًا أطيب منه لولا أن حَبَلَتِها نبتت على قبر ، فقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً أسرى منه لولا أنه ليس لأبيه الذى يدعى له ، فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاماً أنفع فى حاجتنا من كلامنا . وكان كلامهم بأذنه فقال : ما هؤلاء إلا شياطين ، ثم دعا القَهْرَمان

(١) يقال : مصمت للدابة بذنبها : حركته وضربت به .

فقال : ما هذه الحجرة وما أمرها ؟ قال : هى من حُبَلَةٍ <sup>(١)</sup> غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ، وقال الراعى ، ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هى عناق أرضعتها بلبن كلبية ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها ، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له ، فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك ، فأمكننت من نفسى ابن عم له كان نازلاً عليه ، فخرج الأفعى إليهم فقصَّ القوم عليه قصتهم وأخبروه بما أوصى به أبوه ، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر ، فذهب بالدنانير والإبل الحمر فسمى مُضَرَ الحمراء ، قال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شيء أسود فصار لربيعة الخيل الدهم فقيل ربيعة الفرس ، قال : وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد فصار له الماشية البلق من الحبلى والنقد - الحباقي : غنم صغار لا تنسكب ، والنقد صنف من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه - فسمى إياد الشمطاء ، وقضى لأنمار بالدرهم وبما فضل فسمى أنمار الفضل فصدروا من عنده على ذلك اه .

فانظر إلى هذه القصة الغريبة فإذا صحت <sup>(٢)</sup> فهل مثل ذلك يتوصل إليه باعتدال مزاج ، أو كسب علم ، أو قوة مجموع عصبي ؟ كلا ، وإنما هى النفوس الصافية للملئمة والاستعدادات الفطرية والمواهب الإلهية التى يختص الله بها من يشاء من عباده ، وسبحان واهب المنن جلت قدرته وعظمت حكمته ( فَيَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ - يَزِيدُ فى الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ - وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ) .

(١) الحبل بالضم : الكرم أو أصل من أصوله ، ويحرك .

(٢) فيه إشارة إلى الشك فى صحتها .

## المبحث السابع

في تقدم خلق الأرواح على الأبدان أو تأخره عنها

وقد اختلفوا في تقدم خلق الأرواح على أجسادها، فذهب جمهور المتكلمين إلى أنها مخلوقة قبل الأجساد، ومن ذهب إلى هذا القول محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وغيرهما من العلماء، حتى حكاه ابن حزم إجماعاً، واستدلوا له بآيات وآثار منها قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) (١) وهذا الاستنطاق والاستشهاد إنما يكون للأرواح، إذ لم تكن الأبدان حينئذ موجودة.

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِبَيْمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبَعَلَّ أَهْلَ النَّارِ يَفْعَلُونَ، وَخَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبَعَلَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَفْعَلُونَ».

وعن أبي هريرة سرفوعاً «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَمْثَالُ الذَّرِّ».

وعن عمرو بن عبسة السلمي قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

(١) آية ١٧٢ الأعراف.

«إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَرْوَاحَ الْعِبَادِ قَبْلَ الْعِبَادِ بِالْفَنَاءِ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ» إلى غير ذلك مما احتج به أصحاب هذا القول

وذهب آخرون إلى أن خلق الأرواح ليس متقدماً على خلق الأبدان، واستدلوا له بأدلة: منها قصة خلق آدم عليه السلام. فإن الله سبحانه أرسل جبريل عليه السلام فقبض قبضة من الأرض، ثم خمرها حتى صارت طينا، ثم صورّه، ثم نفخ فيه الروح بعد أن صورّه، فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً، وعند ذلك أمر الملائكة بالسجود له كما قال تعالى (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار، وقالت لأي شيء خلقتها؟

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الإخبار عن خلق أجناس العالم وتأخر خلق آدم إلى يوم الجمعة، ولو كانت الأرواح مخلوقة قبل الأجسام لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام، فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الأيام علم أن خلقها تابع لخلق الذرية وأن خلق آدم وحده هو الذي وقع في اليوم السادس. وأما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد للمعاني.

ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما.

وقد اختار هذا القول ابن القيم، وأجاب عن أدلة الجمهور بما لا يخلو عن تعسف، ثم قال: على أن هذه الآيات والآثار لا تدل على سبق الأرواح على

الأجساد سبقا مستقراً ثابتاً ، وغايتها أن تدل بعد صحتها وثبوتها على أن باري الأرواح سبحانه صور النسم وقدّر خلقها وآجالها وأعمالها ، واستخرج تلك الصور من مادتها كما يشير إليه حديث مسح الظهر ، ثم أعادها إليها ، وقدّر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له ، ولا دلالة لها على أنها خلقت خلقاً مستقراً ، ثم استمرت موجودة فيه عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة كما قاله أبو محمد بن حزم .

نعم ، الرب تعالى يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذى سبق به التقدير أولاً ، فيجىء الخلق الخارجى مطابقاً للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته فإنه قدر لها أقداراً وآجالاً وصفات وهيئات ، ثم أبرزها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذى قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص اهـ .

ولا يخفى أن الآيات والأحاديث التى ساقها وأجاب عنها ظاهرة فيما ذهب إليه الجمهور وكثرة النصوص المتضافرة على معنى واحد ، يبعد معها ارتكاب التأويل إلا لقاطع خصوصاً إذا كان التأويل بعيداً .

على أن ما ذكره من الأدلة لتأييد رأيه ضعيف كما ترى .

وفي المواقف وشرحه اتفق الملبثون على أن النفس الناطقة حادثة ، إذ لا قدیم عندهم سوى الله وصفاته ، لكنهم اختلفوا في أنها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله<sup>(١)</sup> ، فقال بعضهم : تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد أطوار البدن

( ١ ) أى هل خلق الروح بعد خلق البدن أو قبله ؟ فقال بعضهم : بعده ، لقوله تعالى الخ . تأمل في السابق واللاحق .

( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ )<sup>(١)</sup> والمراد بهذا الإنشاء إفاضة النفس على البدن ، وقال بعضهم : بل قبله لقوله عليه الصلاة والسلام « خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَلْفِي عَامٍ » ، وغاية هذه الأدلة الظن دون اليقين الذى هو المطلوب . أما الآية فلجواز أن يريد بقوله « ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ » جعل النفس متعلقة به وإنما يلزم من ذلك حدوث تعلقها لا حدوث ذاتها . وأما الحديث فلا أنه خبر واحد فتعارضه الآية ، وهى مقطوعة المتن مظنونة الدلالة والحديث بالعكس فلكل رجحان من وجه فيتماومان اهـ .

وفي الآلوسى ما يفيد نسبة القول بحدوث الأرواح بعد حدوث الأبدان إلى أكثر الإسلاميين ، حيث قال في تفسير قوله تعالى ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قيل : الخلق الآخر الروح ، والمراد بها النفس الناطقة ، والمعنى أنشأناه أو فيه خلقاً آخر ، والمتبادر من إنشاء الروح خلقها ، وظاهر العطف يتم يقتضى حدوثها بعد حدوث البدن<sup>(٢)</sup> وهو قول أكثر الإسلاميين ، وإليه ذهب أرسطو . وقيل : إنشاؤها نفخها في البدن وهو عند بعض عبارة عن جعلها متعلقة به ، وعند أكثر المسلمين جعلها سارية فيه ، وإن أريد بالروح الروح الحيوانية ، فلا كلام في حدوثها بعد البدن وسريانها فيه ، وقيل : الخلق الآخر القوى الحساسة اهـ .

\*\*\*

( ١ ) آية ١٤ المؤمنون .

( ٢ ) لأن أكثر ما يستعمل فيه لفظ ثم الترتيب الزمانى .

هذه آراء علماء الإسلام في خلق النفس الناطقة ، وأما الفلاسفة ففهم من ذهب إلى أنها قديمة بالنوع حادثة بحدوث الأبدان ، فكلمها حدث بدن حدثت له نفس تليق به وباستعداد الذي أفيض عليه من المبادئ العالية ، وهى غير متناهية الأبدان . وقيل : إنها متناهية وقديمة بالشخص وأبدان الإنسان غير متناهية ، وهو مذهب القائلين بالتناسخ : أى تعلق بعض نفوس الأبدان بأبدان أخرى بعد فناء الأولى .

والقول بأن الأرواح لو كانت موجودة قبل الأبدان لمكانت قبل تعلقها بها معطلة ، ولا تعطيل في الطبيعة ، كما أن تعريف النفس بأنها كمال أول الجسم طبعى آلى من حيث أنه يعقل الكليات ويستنبط بالرأى يقتضى أنها لا تتحقق إلا مع الجسم - قد أجيب عنه - بأن لزوم التعطيل لو كانت موجودة قبل الأبدان بما هى نفس : أعنى بكونها كمالا لجسم إلى آخره ، فإنه الذى يستكمل التعلق بالبدن ، ويعرّف بهذا التعريف الإضافى . أما إذا كانت موجودة بنحو آخر من الوجود فوق كونها نفسا كالروح فلا ، ولذا قال الحكماء : إن الروح يختص بما لا حاجة له جسمانية فيكون أعلى من النفس ويسمونه العقل .

وفي الأسفار الشيرازية أن النفس الإنسانية ليس لها مقام معلوم فى الهويّة ، ولا درجة معينة فى الوجود كسائر الوجودات الطبيعية ، بل هى ذات مقامات متفارقة ، ونشأت سابقة ولاحقة ، ولها فى كل مقام وعالم صورة أخرى ، كما قيل :

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ      فَرَعَىٰ غِزْلَانٍ وَدَيْرًا لِرُهْبَانٍ  
وما هذا شأنه صعب إدراك حقيقته وفهم هويته .

## المطلب الثانى

### فى تعلق الأرواح بالأبدان

وفيه مباحث :

### المبحث الأول

فى افتقار كل من الروح والبدن إلى الآخر

اعلم أن البدن متى بلغ الحدّ الذى يصلح فيه لقبول الآثار الفائضة عليه من عالم التدبير تعلقت به الروح ، وأفادته هذه الآثار حسب قبوله واستعداده ، كما أنها تستفيد منه ما هى مستعدة له من الكمال المنتظر بواسطة البدن وآلاته ، فإن النفس - كما فى الأسفار الشيرازية - وإن كانت بحسب ذاتها وحقيقتها المطلقة غير مفتقرة إلى البدن إلا أن الله تعالى جعل لها غايات بمقتضى الفطرة الأصلية لا بد من بلوغها إليها ، وقضى لها وعليها بمقامات لا بد أن تستوعبها وتبلغ غايتها التى بها تستحق ما أعدّه الله لها فى الآخرة من النعيم المقيم أو العذاب الأليم ، وذلك يتوقف على أفعال مختلفة بواسطة آلات وقوى متغيرة ، هى فيها كامنة موجودة بالقوة فى نشأتها الأولى فى العالم العقلى ، فاقترضت حكمته تعالى انتقالها من ذلك العالم إلى عالم آخر تظهر فيه الأفاعيل التى بها تبلغ تلك الغاية ، فاذا مضت مدتها المحدودة لها فى العالم العقلى حال نشأتها الأولى انسلخت عما كانت عليه من المعرفة والإدراك والوجود العقلى ، وجعلت جسما طبيعيا ماديا يوافق التعلق

بالبدن الجسمي والميكل الذي تبلغ به أقصى غاياتها. فافتقرت إلى البدن ، لا من حيث حقيقة المطلقة فانها لا تتوقف عليه بدليل وجودها بدونه قبله وبعده مفارقتها ، بل من حيث وجود تعيُّنها وتشخصها وحدوث هويتها النفسية التي بها تبلغ تلك الغاية ، وبها تتوجه التوجه الطبيعي إلى ما يقربها إلى المبدء الفعال الذي هو غاية الغايات ( وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ) فتكسب بهذه النشأة أخلاقاً وملكات شريفة أو خسيسة وآراء واعتقادات حقة أو باطلة فتصير بالفعل بعد كونها بالقوة اهـ .

### خاصية بعض النفوس القدسية في النشأة الثانية

وانسلاخها في النشأة الثانية عما كانت عليه من المعرفة والإدراك والوجود العقلي حال نشأتها الأولى لا ينافي ما يكون لبعض النفوس القدسية حال نشأتها الثانية من المعرفة والإدراك والوجود العقلي كما في أرواح الأنبياء ، ولا يقتضى رجوعها إلى الوجود العقلي المحض ، بل لا يزال عارض البشرية باقياً معها ، وإن لطفً بالتغلب فذلك لا يخرجها عن الوجود الحسي مادامت متعلقة بالبدن الطبيعي ، ويكون لها مع البدن في هذا الموطن وجود آخر قد يسمى بالوجود الروحاني ، وهو غير وجودها العقلي في عالم الأمر ، وغير وجودها الطبيعي في عالم الشهادة .

ومن هذا القبيل ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينسلخ عن بشريته إلى روحانية ملكية كما وقع له في ليلة الإسراء والمعراج ، فإن الروحانية إذا

غلبت على الجسمانية جذبتها إلى العلو ، وكلما استولت أنوار الروحانية على الجسمية أخذت في الخفة والطفافة حتى تكون أرق من الهواء ، وتسرى في الصخور وفي البحور كما تسرى في الهواء ، ولذلك لما كملت هذه الحالة في نفوس بعض الأنبياء صح صعودهم إلى السماء ومقامهم مع الروحانيات في العالم العلوي كما قال تعالى في قصة إدريس عليه السلام ( وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ) ، وفي حق عيسى عليه السلام ( إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ) ، وفي حق محمد صلى الله عليه وسلم ( فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ) وفي هذه الحالة تنمحي آثار بشريتهم وأحكام جسمانيتهم فلا يحتاجون في قوام حياتهم إلى هذا الطعام والشراب ماداموا في هذا الموطن الرفيع .

وقد يكون لبعض أرواح الأصفياء وهم في هذا العالم المحسوس شيء من هذا القبيل ، فقد شوهد أن بعض الأولياء يحبس في غرفة لا منفذ فيها ، ثم يرى خارجاً عنها وهذا أمر لا مزية فيه ، وإنما الكلام في تصوُّره ، وقد علمت وجهه وأن تغلب الروحانية على البشرية ينسخ أحكامها حتى يصير البدن من جنس الروح ويثبت له من الآثار والأحكام ما يثبت لها .

## المبحث الثانى

### فى أنواع تعلق الروح بالبدن

تقدم أن تعلق الروح بالبدن إما تعلق سريان وحلول<sup>(١)</sup> . أو تعلق تدبير وتصرف<sup>(٢)</sup> . أو تعلق تجلّ وظهور<sup>(٣)</sup> . وأنواعه خمسة مختلفة الأحكام والآثار .

- (١) تعلق الروح بالبدن وهو جنين .
- (٢) تعلقه به بعد انفصاله من الرحم .
- (٣) تعلقه به حالة النوم .
- (٤) تعلقه به فى البرزخ بعد الموت .
- (٥) تعلقه به يوم البعث والنشور .

## المبحث الثالث

### فى تعلق الروح بالبدن وهو جنين فى بطن أمه

قال تعالى فى سورة السجدة ( وَبَدَأْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ) أى خلق آدم عليه السلام ( ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ) أى النطفة

- (١) وهو مذهب جمهور المتكلمين وأئمة الصوفية كما تقدم .
- (٢) وهو مذهب الفلاسفة .
- (٣) وهو مذهب بعض الصوفية .

( ثُمَّ سَوَّاهُ ) أى النسل ( وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ) وهو جنين وأضيفت الروح إليه تعالى للتشريف كما فى « بيت الله » وذلك النفخ بواسطة الملك الموكل بذلك . وقال تعالى فى سورة المؤمنون بعد ذكر أطوار التخليق لنسل آدم ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) أى بنفخ الروح فيه .

وفى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عُلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بَكْتَبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ » رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

وفى بعض الروايات « ثُمَّ يَكُونُ عَظْمًا أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُسَوِّيَ خَلْقَهُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ » والمفهوم من هذه الرواية أن الجنين لا تنفخ فيه الروح إلا بعد مائة وستين يوما ، وهذا غير مانع من الرواية الصحيحة المتقدمة من أن نفخ الروح بعد مائة وعشرين يوما وهو المشهور المعروف .

ثم هذه التطورات الخلقية وهى صيرورة المادة المنيوية المعبر عنها بالنطفة عُلْقَةً ثم مضغة الخ ، إنما تكون بإزالة الصورة الأولى عن المادة المنيوية وإفادتها صورة أخرى عليها ، وهو المسمى عند الحكماء بالكون والفساد ، ولا يخلو ذلك من الحركة فى السكيف الاستعدادى ، فإن استعداد المادة مثلا للصورة الأولى الزائلة يأخذ فى الانقاص واستعدادها للصورة الثانية الكائنة يأخذ فى الاشتداد

ولا يزال الأول ينقص والثاني يشتد إلى أن تنتهي المادة إلى حيث تزول عنها الصورة الأولى فتحدث فيها الثانية دفعة فتتوارد هذه الاستعدادات التي هي من مقولة السكيف على موضوع واحد، وهكذا في خلق المضغة عظاماً صغاراً وعظاماً ثم تنفخ فيه الروح فتكسبه حياة تستتبع الحس والحركة الإرادية لأنها حياة بالذات، والبدن يحيا بحياتها وذلك أول أثر من آثارها المادية. وأما حياته قبل ذلك على ما ذكره بعض الأطباء فتلك حياة النمو كحياة النبات أو حياة الحيوان من حيث هما حيّان.

### نفخ الروح في آدم عليه السلام واختصاصاته الربانية

وكذا الحال في نفخ الروح في آدم عليه السلام، فإنه تعالى خلقه من عنصر التراب كما خلق الجن من عنصر النار، وهو أصل الطين اللابز الذي صار حمًا مسنونًا ثم صلصلا كالنخار. قال تعالى في خلق آدم (خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ<sup>(١)</sup>). (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ<sup>(٢)</sup>)، (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ<sup>(٣)</sup>) أي باعتبار خلق أصلهم منه (مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ<sup>(٤)</sup>) (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ<sup>(٥)</sup>) ثم نفخ فيه من روحه فأكسبه الحس والحركة الإرادية، كما قال تعالى للملائكة (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ<sup>(٦)</sup>).

(١) آية ٥٩ آل عمران .

(٢) آية ١١ الصافات .

(٣) آية ١٤ الرحمن .

(٤) آية ٧١ ص .

(٥) آية ٣٣ الحجر .

(٦) بقية آية ٧١ ص .

وذلك بأن تعاقبت الصور الكائنة على مادته الطينية حسب تعاقب الاستعدادات إلى أن انتهت إلى الصورة الإنسانية ثم نفخت فيه الروح . وهل كان النفخ فيه أثناء تطور مادته كما في خلق ذريته أو بعد تمام خلقته كما هو الظاهر من هذه الآية ، فإن الظاهر منها أن نفخ الروح فيه كان بعد تسويته أي تصويره بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية ، فليس شأنه عليه السلام في مادته واستعدادها لتعاقب صورته ثم نفخ الروح فيه كشأن ذريته ، بل له شأن يخصه حتى في نافخ روحه فقد قال ابن القيم : إن الروح الذي نفخ الله في آدم روح مختص به تعالى كما تنبأ عنه إضافته إليه ، وليس هو بواسطة الملك الذي ينفخ الروح في سائر أولاده ، ولو كان كذلك لم يكن لآدم به اختصاص ، وقد ذكر في الآيات والأحاديث ما يختص به عن غيره ، وهو أربعة أشياء : خلق بدنه بيده ، ونفخه فيه من روحه ، وإسجاد ملائكته له ، وتعليمه أسماء الأشياء كلها ، وإلى هذا الاختصاص السامي أشار صلى الله عليه وسلم بقوله « إِنْ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » .

وكذلك الروح المرسل إلى مريم التي أحصنت فرجها كما قال تعالى (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أي الروح الذي اختصه لنفسه وأضافه إليه وهو روح خاص من بين سائر الأرواح ، والمشهور أنه جبريل عليه السلام والملك الموكل بالنفخ في بطون الحوامل من المؤمنين والكافرين ملك آخر يرسله الله تعالى إلى الحوامل بعد تقلب المادة المنوية في طور النطفة أربعين يوما ، ثم طور العلقة كذلك ، ثم طور المضغة كذلك ، فينفخ فيه الروح ويكتب له تلك الكلمات الأربع المذكورة في الحديث .



## تقلب الجنين في أطوار التخليق

وقد ذكر الله تعالى في عدة مواضع من القرآن تقلب الجنين في هذه الأطوار ، وزاد عليها في سورة المؤمنون طور العظام واللحم والإنشاء الآخر . قال تعالى : ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ <sup>(١)</sup> ) .

أى ولقد خلقنا جنس الإنسان من خلاصة من الطين ، وذلك بخلق أصله وهو آدم عليه السلام منها ، وهذا يستلزم أن يكون كل فرد من أفراد الإنسان مخلوقاً من تلك السلالة خلقاً إجمالياً في ضمن خلق أبى البشر آدم عليه السلام ، ثم جعلنا ذلك الجنس نطفة باعتبار أفراد ما عدا آدم عليه السلام .

وقيل : المراد بالإنسان آدم نفسه ، وعود الضمير عليه بمعنى نسله على طريق الاستخدام ، أو بتقدير مضاف : أى جعلنا نسله ، ويحتمل عود الضمير على « سلالة » والتذكير بتأويلها بالمسلول ، أى ثم صيرنا السلالة نطفة ؛ وعلى كل حال فسلالة الطين هى أول أجزاء التخليق التفصيلي لآدم عليه السلام ، والنطفة أولها لأولاده .

ثم قال تعالى بعد ذكر أطوار التخليق ، وطور كسوة العظام لحماً ( ثُمَّ )

أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) أى خلقاً مابيناً مابيناً كلمة للخلق الأول الذى هو لاختطيط مادته وتصوير هيكله حيث جعلناه حيواناً ناطقاً سميعاً بصيراً كما قال تعالى في آية السجدة ( وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) وأردع في كل عضو وكل جزء منه عجائب وغرائب لا تدرك بوصف ولا تبلغ بشرح ، فأشار سبحانه بهذه النشأة البديعة إلى نوع آخر من الخلق بعد هذه المراتب المتدرجة في قوالب التكوين والتصوير كما قال تعالى : ( يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ) <sup>(١)</sup> ، ويترتب عليه من الظواهر والآثار ما يقصر العقل عن فهم دقائقه ، وذلك النوع الآخر هو ما يكون بنفخ الروح في البدن ، ويدل لذلك حديث ابن مسعود المتقدم ومارواه زيد بن على عن أبيه عن على قال : « إِذَا تَمَّتِ النُّطْفَةُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهَا الرُّوحَ فِي الظُّلُمَاتِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) .

وفي بعض الروايات ما يفيد أن نفخ الروح يتأخر عن الأربعة أشهر بعشرة أيام ، وعن بعض الفقهاء أنه قد يكون أقل ، فإن صح ذلك فالجمع بينه وبين حديث ابن مسعود أن ذكر الأربعة أشهر فيه محمول على الغالب وأن اختلاف المدة لاختلاف استعداد الأجنة في بطون أمهاتها ، والأمر بيد الله يبعثه في وقته المقدر .

## كلام الأطباء في تصوير الجنين وتحركه ووقتهما

وظاهر أن مسألة نفخ الروح التي تعرض لها الحديث الصحيح غير مسألة تصوير الجنين وتحركه ، والحديث لم يتعرض لوقتهما ، فلا ينافي ما ذكره الأطباء من أن الجنين إن تصور في خمسة وثلاثين يوما تحرك في سبعين ، وولد في مائتين وعشرة أيام ، وذلك سبعة أشهر ، وربما تقدم أياما وتأخر في التصوير والولادة ، وإذا كان التصوير في خمسة وأربعين يوما تحرك في تسعين وولد في مائتين وسبعين يوما ، وذلك تسعة أشهر .

ولا يلزم من تحركه في السبعين أو التسعين نفخ الروح الإنساني وقتئذ ، لأن هذه الحركة التابعة للتصوير من لوازم الروح الطبيعية المنبثة في سائر البدن القائمة به ، وهي غير الروح الإنسانية القائمة بنفسها المنزلة من عرشها ، والروح المنفوخة هي الثانية دون الأولى المتقدمة عليها في الوجود .

وقد ذكر بعض الأطباء أن المني إذا وقع في الرحم حصل له زبدية ورغوة<sup>(١)</sup> ستة أيام أو سبعة ، وفي هذه الأيام تصور النطفة من غير استمداد من الرحم ، ثم بعد ذلك تستمد منه ، وابتداء الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثة أيام ، وقد يتقدم يوما أو يتأخر يوما ، ثم بعد ستة أيام وهو الخامس عشر من وقت العلوق ينفذ الدم إلى الجميع فيصير علقة ، ثم تتميز الأعضاء تميزا ظاهرا ، ويتنحى بعضها

(١) الرغبة مثلثة الراء : وهي الزبد .

عن مماسة بعض ، وتمتد رطوبة النخاع ، ثم بعد تسعة أيام يتميز الرأس عن المنكبين والأطراف عن الأصابع تميزا يستبين في بعض وينحى في بعض .

قالوا : وأقل مدة يتصور فيها الذكر ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما ، وقد يتصور في خمسة وأربعين يوما [ انظر جامع العلوم والحكم للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ، المعروف بابن رجب الحنبلي ] .

وهذا التصوير لما كان دقيقا غير محسوس ، وكان الغالب على الجنين في الطور الأول أعراض النطفة ، وفي الأربعين الثانية أعراض العلقة ، وفي الأربعين الثالثة أعراض المضغة ، ورد الحديث على هذا البيان طبقا للظاهر المحسوس وإن كان خلق الجنين وتصويره قد تم قبل ذلك ، فإن نفخ الروح الإنساني مستدع لتمام خلقه وتصويره ، كيف والروح هي اللطيفة الربانية المتعلقة بالبدن تعلق التدبير والتصرف ، وذلك يستدعي تمام الخلقة والتصوير .

## تسوية النطفة وإعدادها لنفخ الروح

النفخ : إخراج الهواء من جوف الناقخ وإيصاله إلى المنفوخ فيه حتى يشتعل كالخطب القابل للنار مثلا ، أريد به هنا غايته ونتيجته ، وهو اشتعال نور الروح في فتيلة النطفة بعد تسويتها باستعدادها لنفخ الروح فيها من الملك الموكل بذلك ، وقيل : ليس ثم نفخ وإنما هو تمثيل لإفاضة مابه الحياة بالفعل على المادة القابلة لها بعد التسوية المشار إليها بقوله تعالى في حق آدم ( فَأِذَا سَوَّيْتُهُ )

أى أعدته للنفخ بتوارد صور الإبداع والتكوين ، فإنه جل شأنه كما جعل الصلصال في خلق آدم على حالة خاصة بتماقب الأطوار عليه حتى اعتدل واستوى واستعد استعداداً تاماً للنفخ الروح فيه جعل النطفة في خلق نسله على مزاج خاص قابل لصور كالية تصدر عنه جميع الأطراف والأضداد ، كالجذب ، والدفع ، والشهوة ، والغضب ، والأفاعيل المختلفة ، وأفاض عليها الروح بواسطة الملك الموكل بنفخ الأرواح بعد مائة وعشرين يوماً من إلقائها في الرحم ، فصارت إنساناً مبيناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها كما أشار إليه جلّ صنعه بقوله في سورة المؤمنون ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) أى أنشأناه له أو فيه خلقاً آخر ، وهو الروح ، أى النفس الناطقة على ما تقدم بيانه في المبحث السابع من المطلب الأول .

\* \* \*

وقد وقع الإجماع على أن النطفة تكون من خالص الغذاء ، وأنها تنفصل من هضم العروق بعد اثنتين وسبعين ساعة من تناول الغذاء المعتدل المزاج كما ذكره صاحب النزهة الأنطاكية . قال : واختلف في كون المني مشبه المزاج ، يختلف الأجزاء لخروجه من كل عضو فيكون فيه اللحم والعظم والغشاء وغيرها ، أو هو مختلف المزاج مشبه الأجزاء لأننا نجد الشبه في المولود واقعاً في الشعر والظفر مع أنه لم ينفصل منهما شيء .

أقول : وفيه أن الشبه لا ينحصر في ذلك ، بل قد يحدث من الوهم كما صرح به الشيخ الرئيس حيث قال : وكلما تخيلته الواهمة حال الإنزال اتصف به الولد ، بل ما تخيلته المرأة زمن التخليق ، ولذا نجد كثيراً من النساء يضعن صوراً جميلة الشكل واللون ويكثرن من النظر إليها زمن الحمل ، فيجىء الولد شبيهاً بها ولو من بعض الوجوه .

وفي إحياء الغزالي ما يشير إلى طلب إمعان النظر في أسرار صنع هذا التخليق البديع حيث قال : وانظر كيف أخرجها ، أى النطفة ، من بين الصلب والترائب وحفظها من التلاشي والافتراق ، مع كونها مائية ذرة لو تركت ساعة لفسد مزاجها ، ثم جعلها في قرار مكين وهو الرحم لينضجها بحرارته ، ثم جعلها وهي بيضاء علقاً حمراء ، ثم مضغة ، ثم قسمها مع كونها متشابهة الأجزاء إلى عظام وعروق وأعصاب ولحوم وغيرها من الأعضاء البسيطة ، ثم ركب من هذه الأعضاء البسيطة الأعضاء المركبة من : رأس ، ويد ، ورجل ، ومعدة ، وأعضاء إلى غير ذلك ، وشكّلها بأشكال مختلفة متناسبة مناسبة لأفاعيلها ، وخلق ذلك كله في جوف الرحم في ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة ، ولو كشف عنك الغطاء لرأيت التخاطيط والتصاوير تظهر على المضغة شيئاً فشيئاً ولا ترى آلة الفعل في ذلك قط ( هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ) فتبارك الله أحسن الخالقين اهـ .

استدعاء البدن للروح وتقويمها له

واشتعال نورها في سائر أعضائه

وكما أن النفس قد استدعت لنيل استكمالها جسماً يكون بهذه التسوية على أبهج نهج وأحسن تقويم - كذلك الجسم قد استدعى باستعداده الخاص من واهب الصور صورةً مدبرة له ، متصرفة فيه تصرفاً يحفظ وجوده الشخصي وكالّه النوعي ، فلذلك أعطاه صورة روحانية ذات إدراك وعقل وفكر وأشعل نورها في جواهر أعضائه بواسطة ملائكة يتولون إدخالها في البدن كما ورد به الحديث الصحيح ، وكما جرت به عادة الله في شئونه الكونية حيث يدبرها ويتصرف فيها بالوسائط والأسباب التي هي في الحقيقة من تمام إمكان القابل ، وهو جل شأنه غنى عنها بذاته في تأثيره وإيجاده ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) وإنما هو كمال الربوبية اقتضى الإيجاد بها أو معها والله الحكمة البالغة .

وباشتعال نور الروح في فتيلة النطفة وامتزاجها بها صارت مقومة لها بحيث تتحرك بحركتها ، وتحس بإحساسها ، وتنمو بنمائها ، فهي الحاملة لقواها وجميع آلاتها ، واذكر ماتقدم<sup>(١)</sup> عن القطب الشيرازي أن الروح إذا انتقلت إلى العالم الجسماني انسلخت عما كانت عليه من المعرفة والإدراك والوجود الفعلي ، وصارت جسماً مادياً يوافق التعلق بالبدن الجسمي ، فافتقرت إلى البدن من حيث وجود

(١) راجع المبحث الأول من المطلب الثاني .

تعيينها وتشخصها وحدوث هويتها النفسية ، لامن حيث حقيقتها المطلقة ، ولكن لا يزال نورها المشتعل في جوهر الأعضاء باقياً معها .

وهذا النور الفائض عن الروح المشتعل في جوهر الأعضاء هو الذي يتمشى مع الروح في سائر أعضاء البدن ويلازمها أثناء الحياة ملازمة الظل للشاخص ، وعنه تفيض قوى الحس والحركة ، وبه تظهر الآثار والأفاعيل المختلفة ، وهو الذي يضيء للأنبياء والأولياء والصالحين ، وبه تتشكل الأرواح وفيه تظهر صور الملائكة والجان ، وهو الذي يستخدمه أصحاب الرياضات وأرباب العزائم والطلاسم .

وأهل صناعة التنويم والتحضير يعبرون عنه بغلاف الروح ويقولون إنه مادة بخارية شديدة اللطف ، وأن الروح الذي هو ينبوع هذا النور العظيم مركزه الأقوى ومظهره الأجل هو المجموع العصبي ومنه تنتشر أنواره وتوزع قواه ، وهو أتم وأكمل من النور الموجود في عالمنا المحسوس .

كلام صاحب الإبريز وابن سينا

في إنزال الروح إلى البدن وفراقها له

وفي الإبريز : لولا أن الله سبحانه أمر الأرواح وعرفها إياه وأمدّها من نوره صلى الله عليه وسلم ما قدر ملك على إنزالها من عالمها الروحاني وإدخالها في البدن ، فإنّ نفخ الروح في البدن المادي الكثيف مع تباين ذاتهم واختلاف أحكامهما ليس بالأمر السهل الهين ، ولذا قيل . إن الروح لتزعج من إدخالها

في البدن ونزعها من عالمها الأول ، وهو عالم اللطافة والأنس إلى عالم الكثافة والوحشة ، كما أنها قد تنزعج من فراقها للبدن بعد اختلافها به كما قال الحسين ابن سينا في عينيته :

وَصَلَتْ عَلَى كَرْهِهِ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهِيَ ذَاتُ تَوَجُّعٍ  
وذلك أن الروح في أصل خلقها منزعة عن الأكدار الصبيعية ، لا تجانس بينها وبين الأبدان المادية المظلمة ، والأنسُ بين الأشياء بحسب المناسبة والملاءمة ، ولذا قيل : الجنسية علة الضم ، والروحانيات النورانية ، والماديات الظلمانية ضدان متنافران ، فإذا تنزلت من عالمها ولا تنزل إلا على كَرْهِهِ ، وتعلقت بالبدن وشعرت بالحاجة إليه ، وأنه آلة لها في تحصيل كمالها بعددت من مكانها الأول وتبدلت صفاتها بصفاته ، فتألفه ولا تملّه وتكره مفارقتها ، وإن طال صبرته . وإذا رأت مقدمات خراب هذا الميكل وانحلال تركيبه حصل لها كرب وهو لم يقع لها نظيره من قبل ، ويكون حرصها حينئذ على تدبيره ودفع الضرر عنه وجلب المنفعة له شاغلا لها عن التهيؤ لرفعها إلى الملكوت الذي دنا عودها إليه كما قال :

أَرْنَقْتُ وَمَا أُنِسْتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ أَلْقَيْتُ مُجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلَقَعَ  
ثم إن كراهتها للفراق تارة يكون طلبا لا كتسابها به الفضائل التي هي سبب سعادتها الأبدية ، وتارة يكون حرصا على اللذات الجسمية ، والشهوات البهيمية ، وإيثارا لما في عالم الملك والشهادة على ما في عالم الملكوت . وقد يقع لبعض النفوس أنها لا تكره فراق هيكلها بل تتمناه .

وفي فتوحات الشيخ الأكبر أن الروح الإنسانية أوجدها الله تعالى مدبرة لصورة جسمية ، سواء كان في الدنيا ، أو في البرزخ ، أو في الدار الآخرة ، وأن أول صورة لبستها - الصورة التي أخذ عنها الميثاق فيها ، قال : ثم حشرها في تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمانية الدنيوية في رابع شهر من تكوّن صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته اه . وهو ظاهر في أن الصورة النسيمة المشار إليها في حديث مسح الظهر ليست هي الأرواح كما قيل ، بل الأرواح متعلقة بها كتعلقها بالأبدان في نشأتها الجسدية ، وأن الروح إنما تنفخ في بطن الجنين بتلك الصورة النسيمة ، وعليه تكون أنواع التعلق ستة لا خمسة بزيادة تعلقها بالصّور في عالم الذر والنّسم .

وقد يقال : إن هذه صورة لطيفة للروح لا صورة بدن كشيقة لها ، والأرواح إنما تنزل إلى أبدانها بتلك الصور الأمرية فتأخذ عند نفخها في البدن صورة خلقية كما قال تعالى ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) والكلام في تعلقاتها الخلقية وأولها التعلق بالجنين في بطن أمه عند نفخها في أول طور العظام .

### اختصاص نفخ الروح بطور العظام

تقدم أن الروح في ذاتها بغاية اللطافة ، وأنها بعيدة غاية البعد عن هذا العالم المحسوس ، وأنها أنزلت من عالمها الروحاني إلى هذا العالم الظلاني السكثيف ، فتبدلت صفاتها بصفاته ، وتدرجت في النمو والحس والحركة تدرجا لا نقا بهذا الموطن الدقيق ، وأن نفخ الروح في البدن مستدع لتمام خلقه وتصويره .

وإنما اختص طور العظام بنفخ الروح في البدن وتعلقها به لأنه الطور الذي صُلِّبَتْ فيه المضغة حتى صارت عظاما مقوِّمة للهيكل الإنساني قابلة للركنار الروحية والأفاعيل الخليفة ، فهو الحد الذي يصلح فيه البدن لقبول الآثار الفائضة عليه من عالم التدبير .

والضعف القوى والآلات في هذا الموطن ، وانحصار الجنين في أغشية التخايق كان طور الصورة الروحية مثل الجنين ضعيفا ، فكان هذا النوع من التعلق أضعف الأنواع وأفلها في الخاصية والأثر ، حتى كاد وهو محقق معلوم يكون من عالم الغيب لا من عالم الحس والشهادة ، وإن كان التدبير والتصرف فيه ألطف وأدق .

ولذا قيل : إن للنفس أربع دور كل دار أعظم من التي قبلها : « الدار الأولى » بطن الأم وذلك الحصر والضيق والظلمات الثلاث « الدار الثانية » دار الدنيا ، وهي الدار التي نشأت فيها وألقها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة « الدار الثالثة » دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى « الدار الرابعة » دار القرار وهي الجنة والنار .

وكما أن البدن في هذا الموطن مادة قابلة تنصف بالضعف والصغر وتوارد الأشكال والصور فكذا الروح في هذه النشأة ، تكون في أول تكوينها مادة قابلة خالية من تلك الكمالات الآلية متصفة بالضعف والصغر وقبول الصفات والملكات التي باكتسابها تخرج من القوة إلى الفعل ، وتصير إلى نشأة أخرى تتدرج فيها من طور إلى طور ، ومن كمال إلى كمال ، كما تتدرج النطفة

البدنية من طور إلى طور آخر حتى تبلغ ما أُعِدَّ لها من الكمال المنتظر ، وإن كانت في صغرها وكبرها وضعفها وقوتها وتوارد الصور عليها وقبولها على العكس من البدن .

### أ كوان الروح وقواها الذاتية

ومع هذا فالبرهان قائم على أن للنفس في ذاتها قوى عقلية تتصرف بها في المعقولات تصرفا لا تحتاج معه إلى هذه الآلات الجسمانية<sup>(١)</sup> وإن كانت مقارنة لها وهو كمالها الذاتي ، وجهة غناها عن البدن الذي تفتقر إليه في تحصيل كمالاتها في هذه النشأة الثانية فهي جسمانية الحدوث والتصرف ، روحانية البقاء والتعلق ، فلهذا كينونة في عالم العقل ، وكينونة في عالم الطبيعة والحس ، وكينونتها هناك أكمل من كينونتها هنا ، ولذا تبصر وتسمع وتشم وتذوق وتلمس حال مفارقتها للبدن في اليوم بما لها من تلك الحواس الذاتية ، بل من النفوس كما علمت ما يستصحب آثار الكينونة الأولى في عالم الطبيعة ، فلا تحجبه هذه المادة الكثيفة عن إدراك الحقائق ، ولا تقيده الطبيعة البشرية عن التصرفات الروحية والأفاعيل المملكية ، شأن الأرواح الذكية المقدسة إذا اقترنت بأبدانها الجسمانية ، فإن قواها المادية وآلاتها البدنية تصير تابعة لقواها الذاتية العقلية ، بمعنى أن هذه القوى الجسمانية التي هي في الحقيقة مصغرات قواها

(١) لكن لا يقع منها هذا التصرف وهي متعلقة بالبدن وهو جنين ، بل في بعض الحالات بعد تعلقها بالبدن في النشأة الثانية . تأمل .

الذاتية ولبوسها الطبيعي لا تكون مانعة من الإدراك والتصرف الذاتي الذي يكون لها في كينونتها الأولى ، بل قد يأتي عليها طور تتلاشى فيه أضواؤها المادية في أضواؤها الروحية كما يتلاشى نور السراج في ضوء الشمس ، حتى يكون للإنسان شخصية أخرى غير شخصيته الطبيعية ، بحيث يصير مزيجا روحانيا يقدر على ما تقدر عليه الأرواح المجردة ، ويشاهد ما شاهده النفوس المطلقة ، كما شوهد ذلك من بعض الأولياء والصالحين .

### تشعشع نور الروح النبوى في جسده الشريف

روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسعى نوره بين يديه ، وأنه كان إذا تسكلم خرج النور من ثنياه ، وكان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه ، وأحيانا لا يرى له ظل في مثل هذا التطور ، وما ذاك إلا لتشعشع نور روحه اللطيفة في جوهر أعضاء بدنه الشريف تشعشع ضوء الشمس في جوهر الهواء ، ولا غرابة في ذلك ، فهى « أشعة روتنجن » تحول الأجسام الكثيفة المغتمة إلى أجسام لطيفة شفاقة وتظهر ما يتخللها من المعادن والعظام ، و « أشعة أف » التى بواسطتها يمكن كشف المعادن في باطن الأرض وإحراق البارود في باطن البواخر ومكامن الحصون ، فما بالك بأشعة الله الذى خلق « أشعة روتنجن وأف » وعلم الإنسان ما لم يعلم ؟

والأطباء لا يبحثون عن هذه الروح<sup>(١)</sup> ، وإنما يبحثون عن الأرواح الطبيعية والقوى المادية التى تسبق نفخ هذه الروح .

(١) عود على بدء الكلام في الروح الإنسانية التى تنفخ في البدن في هذا الدور الأول المشار إليه في الآيات والأحاديث .

كما أن القائلين بتجرد النفوس عن الأبدان لا يقولون بالنفخ المزجى والتعلق السريانى ، بل يريدون بالنفخ الوارد في الحديث وآى الكتاب جعل الأرواح متعلقة بالأبدان تعلق التدبير والتصرف بواسطة الآلات البدنية كما تقدم<sup>(١)</sup> .

### كلام علماء الشريعة وأقوال الأطباء

فيما يتخلق منه الجنين

ذهب علماء الشريعة إلى أن الجنين يتخلق من ماء الرجل وماء المرأة معاً ، كما ذكره غير واحد ، ماء الرجل يجذبه الفعّال وماء المرأة بمادته القابلة ، ولذا كان خلق عيسى عليه السلام خارقاً للعادة وقوله تعالى (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ<sup>(٢)</sup>) قيل : من ماء مع أن الإنسان خلق من ماءين لأن المراد به الممتزج من الماءين في الرحم ، وبلا متزاج صار ماء واحداً ، ووصفه بالدفق ، قيل : باعتبار أحد الجزأين وهو ماء الرجل ، وقيل : باعتبار كليهما ، وماء المرأة دافق أيضاً إلى الرحم كما سيأتى ، والدفق صب مع دفع وسيلان بسرعة .

والقول بأن المراد من الماء الدافق ماء الرجل فقط ، وأنه لا ماء للمرأة أصلاً تسكذبه الشريعة الغراء ، كما في حديث عائشة رضى الله عنها وقول أم سليم : هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا هِيَ أَحْتَلَمَتْ؟ قَالَ « نَعَمْ إِذَا رَأَتْ الْمَاءَ » وكذلك

(١) في القول الأول في المبحث الخامس .

(٢) آية ٥ — ٧ الطارق .

الحسُّ يكذبه ، فإن كثيرا من النساء يحسسن بانفصال المنى من فروجهن ويرينه كالرجل يقظة ومفاما .

وفي ذيل التذكرة للإمام داود الأنطاكي الحكيم ما يفيد أنه لاخلاف في أن المرأة ماء يخرج عند اللذة وأنه مادة التخليق ، وإنما الكلام في تسميته منياً فقد نقل عن المعلم الأول أنه يقول ليس في منى المرأة قوة عاقدة استقلالاً ولا تدفق أصلاً ، وهاتان ملازمتان لمنى الرجل ، وأما البياض والزوجة واللذة فقد توجد في مائها وقد لا توجد ، فإن اعتبرنا أصول هذه الصفات كلها دائماً فيما يسمى منياً فلا منى إلا للرجل لأنها تلازمه دائماً ، وأما المرأة فالأغلب في منيها الرقة والصفرة ، والصحيح أنه قد يكون في ماء المرأة تدفق وأنه يسمى منياً لأن حقيقة المنى ماء كالعجين يتدفق وينعقد إذا ترك في الهواء ، أبيض ناصع في الذكور ، مائل إلى الصفرة في النساء لا يخرج دون لذة وتدفق في صحة أصلاً .

\*\*\*

وفي كتب الطب الحديث ما يفيد أن للمرأة ماء هو مادة التخليق حيث قالوا : الرحم عضو عضلي كثير الحركة يحتوي على تجويف قابل للتمدد موضوع داخل الحوض العظمى مرتبط برباطين عريضين يمتدان من جانبه على شكل جناحين ، ووظيفته قبول البويضة الملقحة وحفظها مدة النمو والتكوين ، فهو عُنْش البويضات العالقة وقرشها في شكل غشاء مخاطي وعائي تنغرس فيه البويضة وتسكون في مأمن حصين ، وبجانبه مبيضان : أيمن وأيسر يخرج منهما بويضات محدودة في سائل مخاطي قابل للتلقيح بالسائل المنوي ، وبفوهة كل منهما بوق أي قناة معدة لمرور البويضات إلى الرحم ممزوجة بأجزاء السائل المذكور ، وذلك

هو ما يعني بماء المرأة ومنيها المتخلق منه ومن ماء الرجل الجنين وإن كان التلقيح في الحقيقة إنما هو للبويضات الممزوجة بهذا الماء ، إذ التلقيح كما قالوا هو اجتماع الجزء الفعال من السائل المنوي ببويضة الأنثى وباتصالهما يحدث كائن جديد مزيج من المائين يأخذ في النمو ، وذلك ما أشير إليه بقوله تعالى : ( خَلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَرْوِي ) لأن المراد به كما تقدم الممزج من ماء المرأة وماء الرجل ، وبامتزاجهما صار ماء واحداً وكائناً جديداً ، وقد ينتقل إليه من اجتماع نواتي الذكر والأنثى ، بل ومن المخ الجرثومي والسائل المنوي آثار وراثية فيورث السكائن الجديد الخواص الأبوية بواسطة النواة من الحيوان المنوي ويرث الخواص الأمية بواسطة النواة من بويضاتها .

والعادة أن كل مبيض يفرز ببيضة واحدة ، وعندما تلتقي هذه البويضة بنشأ حمل مفرد ، وإذا أفرز كل منهما ببيضة وتلقحتا معا تعدد الحمل ، ويقال : إن بويضات المرأة تتسكون في مبيضها وهي جنين قبل ولادتها وإن كانت لا تخرج إلا عند البلوغ ، بخلاف الحيوانات المنوية للرجل التي هي الأجزاء الهامة للتلقيح فإنها لا تتسكون إلا عند البلوغ في سائل زلالتي يعرف بالسائل المنوي .

ويتفق الحيوان المنوي والبويضة في أن كلا منهما كتلة مادية تحتوي على نواة هي مبدأ التخليق . ويقال : إن لهذا الحيوان المنوي ذنباً طويلاً لازماً لحركته يزول عند دخوله في بويضة الأنثى ، وأن بويضات المولود الذكر لا تأتي إلا من المبيض الأيمن ، وبويضات الأنثى لا تأتي إلا من المبيض الأيسر ، وعلى هذا فالتنويغ إلى ذكورة وأنوثة إنما هو للمرأة : فهي التي تُحضّر البويضة ذكراً



أو أنثى . ووظيفة الرجل إعطاء المنى الذى يبتدىء به تكوين الجنين ، فهو مُشعلُ النار لا واضعها .

ويقالُ إنه إلى الآن لم يستطع « المجهر » أن يبين فرقاً بين بويضات الذكر وبويضات الأنثى ، وربما تمكن فى المستقبل بتحسينه أو تمكنت آلة أخرى من بيانه . وعلماء الحياة والأجنة لم يستطيعوا حتى الآن مشاهدة البويضة أثناء دخول الحيوان المنوى فى حويصلتها ، ولم يعرفوا الظواهر الدقيقة الناشئة عن التلقيح الإنسانى ، ولا مبادئ النمو بالتحقيق ، ولا كم من الحيوانات تلزم لتلقيح البويضة الإنسانية التى خلق الله فى جدار خليتها على ما قيل مئات من المداخل يصح أن يدخل فى كل واحد منها حيوان منوى ، وكل ما عرف من ذلك إنما هو نشوء ظاهرة الحياة ، والنمو باتصال نواة الذكر بنواة الأنثى وتطورهما إلى أطوار مختلفة فى مدة لا تزيد غالباً عن تسعة أشهر أو تسعة أشهر وعشرة أيام .

### تأخر الجنين فى بطن أمه عن وقته المعتاد

ويندر تأخر الجنين فى بطن أمه عن هذه المدة لأسباب عارضة قد لا يهتدى إليها بالضبط .

وبعض الأطباء ينكر تأخر الجنين فى بطن أمه بعد هذه المدة مستنداً لما اعتيد من تقدير نمو الجنين بنسبة الزمن المذكور ، قال : وما يقوم من تأخيره عنها فمنشؤه وجود أورام رَحِمِيَّة قد تتصل بالرحم ، فيُظَنُّ أنها حمل وليست منه فى شيء .

وجمهور الأطباء على خلاف هذا رأى ، والوقائع المنقولة عن النفقات فى تأخر

الجنين فى بطن أمه نقلاً مستفيضاً تحججه . فقد نقل أن الشافعى ومالكاً مكثا فى بطن أمهما زمناً طويلاً فوق المعتاد ، والعقل لا يمنعه لجواز بطء النمو وتدرجه بنسبة الزمن المضاعف خرقاً للعادة .

وكثير من الأطباء يرون تأخره إلى أربع سنوات ونزوله حياً يعيش ، وقد شوهد أنه إذا تأخر الحمل فى بطن أمه ازداد حدقا ونبالاً ، وقوة لحسه وجسمه ، كأن بطء النمو فى مادته يضاعف النمو فى قوة إدراكه ، وكأن ما أبطأ به فى تسوية بدنه أسرع به فى تربية حسه وعقله .

وإذا كان العقل لا يحيله والملاحظة والوقائع تؤيده فلا وجه لهذا الإنكار ، لاسيما وقدرة الله تعالى فوق النواميس الطبيعية والعلوم العادية ، وكَم له جل شأنه من خوارق العادات وغرائب الخلقات ما يبهر العقول ويقصردون أدناه ثواقب الفهوم . وقد روى أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من أجزاء الأرض وأنه لما أراد أن ينفخ فيه الروح أمرها أن تدخل فى بدنه ، فدخلت من دماغه ، واستدارت فيه ، ثم انتشرت فى جسده أعواماً طويلاً ، ولا شك أن ذلك خارق لنواميس الطبيعة حسبما وصل إليه علم الإنسان .

ومن ذلك ما نشرته « جريدة الأهرام » فى يوم السبت ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٨ هـ تحت عنوان [ فلتات الطبيعة ] نقلاً عن إحدى الصحف التركية ، وهو أن سيدة تركية فى مدينة طرابزون بالأناضول وضعت غلاماً سمته محمداً ، وبعد ثلاثة شهور من ولادته كان يمشى مشياً منتظماً ، ولما بلغ عمره ستة شهور كان يتكلم ببلغة مفهومة ، وعند ما بلغ سن الرابعة برز شعر شاربه ولحيته ، وقد أرسل إلى

الاستانة لفحصه في إحدى المستشفيات ، وكانت نتيجة الفحص أن الأطباء قرروا أنه رجل كامل ، وقد طلب أن يتزوج لحاجته إلى الزواج ، ولا شك أن هذه الحادثة «إن صحت» من خوارق النواميس الطبيعية التي جرى عليها التطور الإنساني من عهد بعيد ، وإلا فقد كان في الصدر الأول من حفظ الحديث ورواه ، وهو ابن أربع أو خمس ، وثمانل رسول الله صلى الله عليه وسلم رواها صديان الصحابة وكان ذلك معروفا مألوفا لهم ، ولكن اختلاف التطورات الطبيعية من عهد إلى عهد في النوع الإنساني جعلت مثل ذلك من خوارق الطبيعة .

وعلى كل حال لا غرابة في تأخر الجنين في بطن أمه أكثر من تسعة أشهر ، ومن القواعد المسلمة أن العلوم تتزايد بتزايد الأفكار ، وأن علم النوع الإنساني واكتشافه من أسرار الطبيعة ، ورسوم الألواح الأثرية لا يقف عند حد مادامت أشعة نور العلم الإلهي مبسوطة في دوائر الإمكان والوجود فإذا لم يتفق لعلماء الطب الآن الوقوف على سر هذه الظاهرة ، وكف في علم الطب وغيره من العلوم من أسرار لا تزال في حيز الخفاء (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ) فقد يتفق لمن بعدهم أن يوفقوا لا اكتشاف هذا السر المصون .

والشريعة الفراء لم تتعرض لبيان هذه المباحث الغامضة التي لا يهتدى إلى دقائق أسرارها إلا الخاصة من العلماء وأرباب الصناعة الفنية . وأما العامة الممنون بخطابات الشريعة أولا وبالذات فلا يلتفتون إلى مثل هذه المباحث ولا يكلمون معرفتها ، ولذلك خاطب الله تعالى كل ذي لب لا فرق بين عالم بالطب وغيره ، وأمر الجميع بالنظر في مادة خلق الإنسان حيث قال ( فَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ) ثم بين له موضع النظر بقوله ( خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ) فالعامي لا يفهم من سياق الآية أكثر من أنه خلق من المني المحسوس ، وأنه مكلف بالنظر فيه لمعرفة أن من قدر على خلق الإنسان من ذلك وهو الله تعالى ، فهو على إعادته أقوى وأقدر ، هذا كل ما يراد منه بهذا الخطاب ، وما وراء ذلك من معرفة حقيقة الماء الذي يتخلق منه الجنين وأنه واحد أو اثنان . وبيان ما اشتمل عليه من الحيوانات النوية والبويضات الجرثومية ومواضع تسكونهما ، وكيفية وصولها إلى الرحم واحتوائه عليها ، فليس للعامي إلى معرفته حاجة ، وإنما ذلك لأرباب الصناعة الفنية .

### السلام في قوله تعالى ( يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ )

والمفهوم من هذه الآية الشريفة أن ذلك الماء يخرج من بين أجزاء صلب كل رجل ، أي ظهره ، ومن بين ترائب كل امرأة : أي عظام صدرها ، جمع تربية ، كما روى ذلك عن سفيان وقتادة ، أو يخرج من بين صلب كل واحد من الرجل والمرأة ، وترائب كل منهما كما روى عن الحسن وقتادة ، قيل ذلك دلالة على أن من قدر على إنشاء الإنسان من هذا الماء الخارج من داخل هذا الداخل المنيع قادر على إعادته من أجزاء مبثوثة في قبور مدثورة ، قيل : وخص ما بين الصلب والترائب - مع أن مستقر المني عروق يلتف بعضها ببعض عند المبيضين تسمى أوعية المني ، وأن معظم أجزائه ، إنما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع أجزاء البدن ، فيأخذ من كل عضو

المهيكل المخصوص الذي هو خلاصة عالم المواد والصور ، الجامع لعوالم الملك والملايكوت من طين ، ثم خلق نسله من ماء مهين ، ثم نفخ فيه الروح ، ثم أودع فيه قوى الحس والإدراك قادر على إعادته فكيف يستبعد المذكرون ويقولون ( أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ) فالمعجزة في الآية من وجوه خلق الإنسان ، أى هذا العالم الجامع من طين ثم من ماء ضئيل ، وخروج هذا الماء ، وما اشتمل عليه من أسرار التكوين من بين الصلب والترائب ، ونفخ الروح فيه بعد إعداده لقبولها متدرجة في أطوار عدة ، وإبداعه مختلف القوى التي امتاز بها عن كثير من الأحياء ليستعد بها لما يرد به ولما يحقق الحكمة من خلقه . وبالجمل فعبارة الكتاب المبين مختصرة جامعة ، وكلام الله الجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

### كلام علماء الأجنّة في تفصيل حياة الجنين

قبل نفخ الروح فيه

قد علمت أن إجمال الآية « في سورة الطارق » مع تفصيل العلم لا يتعارضان في هذا الموضوع ، كما لا يتعارض العلم مع آى الكتاب والسنة في شأن نفخ الروح وبيان كيفيته حسبما أشرنا إليه ، فإن كتب الطب والتشريح وإن كانت لا تبحث عن الروح الإنسانى المنفوخ في البدن ، ولا عن حقيقة النفخ من طريقة الشرعى ، ولا كيف كان هو ، إلا أنها تثبت للجنين في طور المضغة أو في الطور الرابع حركة ظاهرة وآثراً ليست له قبل هذا الطور ، ويسندون ذلك لنمو حياته

طبيعته وخاصته مستعداً لأن يقول منه مثل تلك الأعضاء ، كما ذهب إليه بعض الأطباء - لأن أعظم الأعضاء معونة في توليد المنى الدماغ وخليفته النخاع في الصلب وشعب نازلة إلى مقدم البدن وهى التريية ، فلذا خصا بالذكر ، وإن كان مقر أجزاء منى المرأة مبيضها وأجزاء منى الرجل خصيته ، ولو جعل ما بين الصلب والترائب كناية عن البدن كله لم يبعد ، وكأن تخصيصها بالذكر لما أنها كالوعاء للقلب الذى هو المضغة العظمى فيه ، وإلا فالنخاع والقوى الدماغية والقلبية والكبدية كلها تتعاون في إبراز ذلك الفضل على ما هو عليه قابلاً لأن يصير مبدأ لشخص على ما بين في موضعه ، ولذا قيل : إن تصحيح الأعضاء الرئيسية موجب لقوة الجماع ، لأن شدة الإحساس باللذة من صحة الدماغ وقوة الانتشار من صحة القلب وكثرة الماء من الكبد والاعتدال من صحة الكلى .

وخروج المنى من الأصلاب والترائب أو من بينها وبين الترائب لا ينفى خروجه من غيرها ، وقد علمت وجه تخصيصها بالذكر وأنه أوفق بمقام الاستدلال ، لأن خروج السائل من العظام الصلبة معجز ، وخصوصاً إذا نظر لما اشتمل عليه من الحيوانات المنوية والبويضات الجرثومية فهو كقوله تعالى ( وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَّخِذُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَاءٌ يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ )<sup>(١)</sup> وكقوله تعالى ( الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً )<sup>(٢)</sup> وكقوله ( وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ )<sup>(٣)</sup> أى أن الذى بدأ خلق هذا

(٢) آية ٨٠ يس .

(١) آية ٧٤ البقرة .

(٣) آية ٧ السجدة .

وروحه الطبيعية شأن كل أثر يصدر عن الحى الناحى ويقولون إن ذلك وقت تخليق القلب وضرباته .

ونحن لانفى نوع هذه الحياة ولا أثر هذا النمو ، وإنما نقول : إن هذه الحياة المنبثقة فى الجنين قبل نفخ الروح حياة طبيعية محضة تشبه حياة النبات ، ليس لها ظاهرة سوى خاصة حركة النمو والتغير فى كَمِّ البدن وكيفية ، وهى ما تسميه الحكماء حياة التغذية والتنمية والتوليد أو الحياة الطبيعية ، وبعد نفخ الروح الإنسانى وتكوينها للبدن وآلاته وسريانها فيه بواسطة الروح الحيوانى المنبعث من التجويف القلبي . يتحصل نوع آخر من الحياة تندمج فيه الحياة الطبيعية للجنين ، بحيث تكون مصدراً لظاهرة الحس والحركة الإرادية ، ومبدأً مصححاً للعلم بالفكر والروية وغير ذلك من الآثار اللاتقة بنوع الإنسان ، وهو ما يسمونه حياة الحس والحركة والعلم والتميز .

فالحياة الأولى حياة حيوانية مترتبة على أرواح وقوى طبيعية ، والحياة الثانية حياة إنسانية مترتبة على ما ذكر ، وعلى الروح الإنسانى أى اللطيفة الربانية السارية فى البدن سريان الماء فى العود الأخضر أو المتعلقة به تعلق التدبير والتصرف ، وهم لا ينفون هذا النوع من الحياة ، وقد يعللونه بغير ما نعلله وليس ذلك موضع النظر .

وأهل الطب والتشريح يستندون فى كثير من مباحثهم إلى التجربة والمشاهدة والفكر ، وأهل الشرع يتمسكون مع ذلك بصريح النقل الذى لاتأباه قواعد العلم ولا ينبذه العقل السليم .

ومن هنا مع تباين الاصطلاحات قد يتوهم خلاف بين ماجاءت به الشريعة الغراء فى هذا الباب ونحوه ، وبين ما يذكره أرباب الصناعة فى ذلك ، وفى الحقيقة لا خلاف ، وإنما هو اختلاف فى النظر ووجهة البحث .

ولو عني أصحاب الصناعة الحديثة بما ورد به الشرع فى هذا الباب وأمثاله ، وفهوه على وجهه ، وما أثبتته النظريات الصحيحة ، والتجربة الكافية ، وأعطوه جانباً من العناية والتصرف الفكرى ، كما كان عليه الأوائل من أرباب هذه الصناعة فى كثير من مباحثهم ، كالشيخ الرئيس ابن سينا ، وصاحب التذكرة لاتسع لهم نطاق العلم ومجال الفهم وخرجوا عن كثير من المضائق الفنية التى تعترضهم أثناء تطبيق العلم على العمل ، وإن كان لايسع أحداً إنكار تقدم العلوم الصناعية فى هذا العصر ، وخصوصاً صناعة الطب والتشريح ، فقد تقدمت تقدماً باهراً ، وأصبح العارفون بها القائمون بمهمتها من الأجلة العظماء ، أكثر الله من أمثالهم وأورشهم علماً فيما يعملون وزادهم عملاً بما يعملون .

### المبحث الرابع

فى تعلق الروح بالبدن بعد انفصاله عن الرحم

تعلق الروح بالبدن بعد خروجه من بطن أمه أقوى وأظهر أثراً من تعلقها به حال وجوده جنيناً فى بطن أمه ، إذ مع هذا التعلق تخرج النفس من الظلمة إلى النور ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن الوحدة إلى الاشتراك ، وتدخل فى نشأة أخرى ودور آخر من أدوار الحياة ، وهو دور الشعور والإحساس والتعقل والعلم

والعمل ، تبدأ السير فيه إلى النهاية بوسائط محسوسة ، وجنود ظاهرة وباطنة وآلات وقوى دافعة وجالبة كما قال تعالى ( وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ <sup>(١)</sup> ) أى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة وتتوصلون بها إلى ما تحتاجون إليه من المرافق الدنيوية والسعادة الأخروية بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتذكروها بأفئدتكم وتتنهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية ، كى تعرفوا ما أنعم سبحانه به عليكم طَوْرًا غِبَّ طَوْرٍ فتشكروه باستعمال هذه الآلات والقوى فيما خلقت لأجله فيزيدكم كمالات فوق كمال حتى تصلوا إلى السعادة المطلوبة كما قال تعالى ( لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ <sup>(٢)</sup> ) أى لئن شكرتموه تعالى باستعمال تلك الآلات والقوى حسبما أرشدكم إليه أمره ونهيه لزدكم نعمة إلى نعمة ، وقوة إلى قوة ، روحانية وجسمانية ، دنيوية وأخروية .

فهذا دور التكميل والسعى إلى بلوغ المقصود ، وما قبله دور التخليق والتصوير وإتمام نعمة الوجود ، وإلى هذين الدورين أشار الله تعالى بقوله ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ

وَنُفِثَ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ نَحْنُ جُكُمٌ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِنَكُونُوا شُيُوخًا ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَى وَيَمْنُكُمُ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ <sup>(١)</sup> ) .

فالله سبحانه كما خلق الإنسان في الدور الأول متدرجا في أطوار مختلفة عناصر ، ثم أغذية ، ثم أخلاط ، ثم نُطْفٍ ، ثم عَلَقٍ ، ثم مُضْغٍ ، ثم عظام ، ولحوم ، ثم أنشأ خلقا آخر ينفخ الروح فيه أخرجه في الدور الثانى متدرجا في أطوار مختلفة طفلا ثم شابا ثم شيخا .

وله في كل طور من هذه الأطوار الثلاثة تدرج في قوته النظرية والعملية وكان الله أنشأ خلقا آخر بهذا التدرج الروحي .

وكما قوى البدن ونمت أعضاؤه كان تعلق الروح به أظهر ونمو حياته أتم وأكمل ، ولذلك كانت حركة الطفل وإحساسه في سن الطفولة دون ذلك في سن التمرع واليقوع ، فالروح تتدرج في هذه النشأة وتتمشى مع البدن من محسوس لمعقول ومن معقول لمحسوس ، حتى تصل إلى الغاية المطلوبة ، فتكون طفلا مع الطفل ، وشابا مع الشاب . وهكذا تتطور بأطوار البدن ، كما أن البدن يتطور بأطوارها ، ولها بكل عضو تعلق بناسبه يتدبر يليق باستعداده ، فتعلقها بعضوى الدماغ والقلب لما فيهما من القوى الإدراكية والإرادية ليس كتعلقها بسائر الأعضاء ، وتعلقها بذلك ليس كتعلقها بمثل الظفر والسن ، وكذا تعلقها بالبدن في حالتي النوم والسكر ليس كتعلقها به في حالتي اليقظة والصحو ،

إذ في هذه الحالة يضعف ضوءها وتفترق قواها المنبثقة في أفطار البدن كالشمس وقتي الشروق والغروب فإن أشعتها المنتشرة وقت الغروب ليست كالأشعة المنتشرة حال شروقها ، وحرارتها في هذين الوقتين ليست كحرارتها وقت الهاجرة .

وتقدم أن مركزها الأقوى الذي تنتشر عنه أنوارها وتوزع منه قواها هو المجموع العصبي المخي ، وأن مثله فيما يختص بالروح ونورها مثل الأعمدة الكهربائية والمواصلات التي تحدث النور الكهربائي ، حيث تتكاثف وتتراكم في المجموع العصبي ، ثم تنتشر منه في سائر أجزاء البدن بواسطة الروح الحيواني المنتشر في سائر أقطاره ، كالهواء والضوء المنتشر في أنحاء البيت .

### حمل الروح للبدن وعروجها به

وربما يظن بعض الناس أن البدن هو الحامل للروح والروح متقومة به ، وليس كذلك ، بل الأمر بالعكس كما ذكره صاحب الأسفار حيث قال : إن النفس هي التي تقوم الجسم وتحركه وتذهب به إلى الجهات المختلفة حيث شاءت ، فإذا أرادت صعوده بدلت ثقله خفة وصعدت به إلى عالم السماء والمنزل الأعلى ، وإذا أرادت هبوطه زادت ثقلها ، ولكن صعودها به إنما يكون ببدن روحاني من جنس تلك الدار لا من جنس هذه البنية الظلمانية الكثيفة اه .

وذلك إنما يكون بتغلبها عليه حتى يتحول عن هذه البنية الظلمانية ويصير روحانيا كما تقدم .

ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج معجزةً وبعض

الأولياء والأصفياء يقع لهم نحو ذلك كرامةً فلا يرجون من عالم الطبيعة إلى العوالم الروحية إلا بعد الإنسلاخ عن اللبوس البشري واتخلص من السكدر الطبيعي ، وهذا غير العروج بالصورة الروحانية ، وغير انطلاق الروح الذي أنبته الروحانيون للنفس حال اليقظة وحال النوم الطبيعي والصناعي ، فإنه لا تغلب فيه ، وإنما تفصل الروح عن البدن وتبقى مرتبطة به كما هو بسيل كهربائي ، وبعد الموت تخلع هذا الكساء الغليظ خلعا نهائيا ، ويبقى جسمها الروحاني المركب من المادة الأثيرية الأصلية كما تقدم .

ولعل هذا الجسم الروحاني هو المعبر عنه في كلام القوم بنور الروح وحجابها الذي تظهر به في صور مختلفة كما يشير إليه كلام صاحب الأسفار وغيره .

وفي كتاب [ حجة الله البالغة ] للإمام الدهلوي أن الإسراء به صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى ، ثم العروج به إلى سِدْرَةِ المنتهى . ثم إلى ما شاء الله كان بجسده الشريف في اليقظة ، ولكن في موطن هو برزخ بين المنال والشهادة جامعٌ لأحكامهما ، مظهر على الجسد أحكام الروح وممثل الروح والمعاني الروحية أجسادا ، ولذلك كان لكل واقعة من تلك الوقائع تعبير وقد ظهر لحزقيل وموسى وغيرهما عليهم السلام نحو من تلك الوقائع :

وكذا لأولياء الأمة ليكون علو درجاتهم عند الله كحلمهم في الرؤيا انتهى . وهذا هو الوجود بَيْنَ بَيْنٍ الذي أشرنا إليه في وجود الروح عند انسلاخها عن البشرية كما تقدم (١) .

(١) راجع المبحث الأول من المطلب الثاني .

وقد يستعان على التخلص من أنقال الطبيعة والحق بالعوامل المملكية بالرياضة والبعد عن الذائد والشهوات البدنية ، إذ كلما قوى البدن في جسميته ضعفت النفس في روحانيتها ، لأن قوتها ليست بهذه الأغذية بل بأغذية معنوية ، وهي اكتساب المعارف والكمالات والأعمال الصالحة ، وأما الأغذية الحسية فقد تورثها فتورا وضعفا وتنزع بها إلى البشرية السفلة والحيوانية الخضة .

### الكلام في توفّي عيسى عليه السلام ورفعته إلى السماء

وقد قيل في توفّي عيسى عليه السلام ورفعته المشار إليهما في قوله تعالى : ( إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ )<sup>(١)</sup> إن معنى توفّيه عليه السلام نقله من حالة البشرية إلى حالة المملكية ومعنى رفعه إليه تعالى رفعه إلى محل كرامته ومقرّ ملائكته وقد كان ذلك يقظة بيدنه الذي غلبت عليه روحه الطاهرة حين تأهل للرفع والبقاء بين عالم المملكوت إلى وقته المعلوم وبعثه المحتوم اهـ .

والصحيح أن رفع عيسى عليه السلام بيدنه الشريف حيا إلى السماء إنما كان بعد هذا التوفّي والانسلاخ كما يتوفّي الأنفس التي لم تمت في منامها ، ونزوله إلى الدنيا أخيرا وردّ بشريته إليه كما ترسل الأرواح إلى أبدانها يوم البعث ، وإلى هذا يشير قول بعض المفسرين : المراد بالتوفّي في الآية موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالمملكوت ، وهذا لا ينافي ما قيل إن المراد بقوله تعالى : ( إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ) أنه تعالى متوفّي شخصه في الأرض وآخذه وأفيا بروحه وبدنه

(١) آية ٥٥ آل عمران .

فيكون قوله ( وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ) كالمفسر لما قبله ، أو مستوف أجلك ومجيتك حتف أنفك لا أساط عليك من يقنلك<sup>(١)</sup> كما قال تعالى : ( وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ )<sup>(٢)</sup> والكلام كناية عن عصمته من الأعداء . وما هم بصدد من الفتك به عليه السلام ، لأنه يلزم من استيفاء الله تعالى أجله وموته حتف أنفه ذلك ، فإن هذا وذاك لا بد معه من توفّي قواه البشرية ليقاها لاتصاله بالملا الأعلى .

وعلى كل حال فالصحيح الذي عليه أهل الحق أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يمت ولم تقبض روحه قبل رفعه إلى السماء ، بل رفع حيا من غير وفاة ، ولا نوم وهو اختيار الطبري وغيره ، والرواية الصحيحة عن ابن عباس وكما هو الظاهر من الآية السالفة ( وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه ) والمصرح به في قوله صلى الله عليه وسلم « إِنْ عِيسَى لَمْ يَمُتْ وَأَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » وحكي أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، وأن أمه بقيت بعد رفعه ست سنين . قال الألوسي : وحكاية أن الله تعالى توفاه سبع ساعات ثم أحياه ورفعته إليه . ذكر ابن إسحاق أنها من زعم النصارى ، ولم في هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود ، ونقل شيئا منه ثم ردّه ، وعلى كل حال لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه قال بتوفّيه ، أي قبض روحه ورفعها دون بدنه إلى السماء ، بل رفعه تعالى بروحه وبدنه ، وإنما الكلام في معنى توفّيه وقد علمت ما فيه .

(١) وهو كما قيل إن المقدم في الآية مؤخر معنى أي إني رافعك إلى ، ومتوفيك بعد نزولك من السماء في آخر الزمان .

(٢) آية ١٥٧ : ١٥٨ النساء .

## الكلام في رجوع النفس إلى أصلها وما يقترب عليه من الآثار

تقدم أن النفس حين تعلقها بالبدن الكثيف واشتغالها بتدبير ما يحتاج إليه تسكون ضعيفة الوجود متغيرة غير ثابتة ، لأن مظهرها في هذه الحالة جرم بخارى في الدماغ أو القلب ، وهو دائم التحلل والتجدد حسب اختلاف أمزجة العضو الدماغى أو القلبى من جهة ما يرد عليه من التغيرات الداخلة والخارجة ، فإذا استراحت النفس من الأشغال الفكرية والحركات الضرورية ، وتعطلت الحواس عن فعلها إما بالنوم أو التنويم أو انصراف النفس إلى أعمال الدار الباقية بقوة فطرية أو مكتسبة ، رجعت إلى ذاتها وانكشف الغطاء عنها ، وفي هذه الحالة يمكنها أن تشاهد الصور بذاتها من غير مشاركة للحواس ، فإن لها في ذاتها سمعا وبصرا وشمًا وذوقا ولمسا ، كما يشهد بذلك ما يراه الإنسان في حالة النوم ، فإنه يسمع ويبصر ويذوق ويشم ويلمس ، مع أن حواسه الظاهرة معطلة ، بل حواس النفس أتم وأصفى ، والحواس الظاهرة كالأغشية لها مقيدة لإطلاقها محددة لإدراكها .

وسره أن الحواس الظاهرة ضعيفة الوجود ومحدودة التصرف بالنسبة للقوى العقلية ، ولذا قيل: وقع التضاد والتزاحم في الحسيات لقصور وجودها ، بخلاف العقليات ، فلها السعة في الوجود من غير تزاحم وتضابق ، فوجودها أتم وأكمل وأعلى وأشرف من الوجود الجسماني ، والشيء إذا اشتد خرج عن

نوعه إلى نوع آخر أعلى منه ، كدادة الجنين إذا كملت صورته الطبيعية فإنها تصير صورة إنسانية ينفخ الروح فيه ، ثم بعد انفصاله لا يزال يترقى في مراتب الوجود والسكالات حتى يصير إلى صورة عقلية ، فيصدق عليه ما كان مسلوبا عنه ، ويسلب عنه ما كان صادقا عليه ، كما سبقت الإشارة إليه .

وإذا كان للنفس مع بقاء تعلقها بالبدن أن ترجع بحواسها المتعددة وقواها المدركة والحركة إلى قوة واحدة هي ذاتها النورية الفياضة كما ترجع الحواس الخمس الظاهرة إلى حس واحد يجمعها وهو الحس المشترك ، فما ظنك إذا انقطعت علائقها عن البدن بالسكالية ورجعت إلى ذاتها وإلى مبدئها كل الرجوع ، فهناك تصير حواسها الباطنة إلى إدراك الأمور ، ولا سيما أمور الآخرة أشد وأقوى ، فتشاهد الصور الموجودة في تلك الدار ، وتكشف لها الأمور المناسبة لأعمالها ونياتها واعتقاداتها كما قال تعالى : ( فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ) وسيأتى لهذا مزيد .

## تفاوت إدراك النفوس وقواها الفطرية والسكسية

تقدم أن إدراك النفس بالقوى الفطرية الذاتية أتم وأقوى من الإدراك بالقوى السكسية الآلية ، وكذلك الفعل بالقوى الروحانية أشد وأقوى من الفعل بالقوى الجسمانية ، وبالضرورة ليست الأرواح في قواها الذاتية ، واستعداداتها النظرية وآلاتها البدنية متساوية ، بل بينها تفاوت وتفاضل لا تعصى تفاصيله ، ولا يعلم كنهه حقيقته إلا بارئ الأرواح والنسم .



وَنُصِبَ أَعْيُنُنَا مِنْ ذَلِكَ مَا يَغْنَى عَنِ الْبَيَانِ ، فَقَدْ سَمِعْنَا غَرَائِبَ وَشَاهِدْنَا  
عَجَائِبَ كَثِيرَةً مِنْ أَنْاسٍ لَمْ يَقْعَمُوا أَوْ تَعْلَمُوا قَلِيلًا ، وَمَوَاهِبَهُمُ الْفُطْرِيَّةُ فَرِيدَةٌ وَأَثَارُهُمُ  
الْعَالِمِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ جَلِيلَةٌ لَا يَبْنِي بِهَا كَسْبٌ كَاسَبٍ .

وليس ببعيد عنا ما نراه من آثار ذوى السلائق العربية والنفوس الصافية  
الذكية ، فَإِنْ لَهُمُ التَّدَحُّحُ الْمَعْلَى فِي إِنْشَاءِ الْأَسَالِيبِ الْبَدِيعَةِ وَفَهْمِ الْأَسْرَارِ الْبَلَاغِيَّةِ  
الْعَجِيبَةِ ، مِمَّا يَعْجِزُ عَنْ أَقْلٍ أَقْلَهُ مِنْ بَذْلُوا جَهْدَهُمْ وَاسْتَغْرَقُوا وَقْتَهُمْ فِي التَّعْلِيمِ  
وَالتَّعَلُّمِ ، وَذَلِكَ أَكْبَرُ شَاهِدٍ عَلَى تَفَاوُتِ النُّفُوسِ فِي مَوَاهِبِهَا الْفُطْرِيَّةِ وَتَفَاضُلِهَا  
فِي إِدْرَاكِ الْحَقَائِقِ الْكُسْبِيَّةِ ، وَانْظُرْ إِلَى النُّحُورِيِّ وَالصُّرْفِيِّ وَالْبَيَانِيِّ وَالْعُرُوضِيِّ  
فَإِنْ كَلَّا يَحْتَاجُ فِيمَا يَقُومُ بِهِ لِسَانُهُ ، وَيَزِنُ بِهِ شَعْرُهُ ، وَيُودِي بِهِ أَغْرَاضُهُ إِلَى  
كَسْبِ هَذِهِ الْعُلُومِ الصَّنَاعِيَّةِ ، وَذَوِ السَّلِيلَةِ وَالْمَوْهَبَةِ الْفُطْرِيَّةِ لَا يَحْتَاجُ فِي تَأْدِيَةِ  
هَذِهِ الْأَغْرَاضِ إِلَى اسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْعُلُومِ ، وَلَا إِلَى تَجَشُّمِ كَسْبٍ جَدِيدٍ لَتَأْدِيَةِ مَا يَرَادُ  
مِنْهَا ، وَشَتَانُ بَيْنَ مَا يُؤَدِّيهِ ذُو السَّلِيلَةِ بِسَلِيلَتِهِ الرَّاسِخَةِ وَبَيْنَ مَا يُؤَدِّيهِ كَاسِبُ  
هَذِهِ الْعُلُومِ الَّذِي رُبَّمَا يَعُوقُهُ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى غَايَتِهَا عَائِقُ الذُّسْيَانِ وَقَلَّةُ الْمَرَانِ  
وَالْعَمَلِ .

ثم إذا أضيف إلى تلك المواهب إلهام صريح أو تعليم صحيح أو جَوْلَانٍ فِي  
عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِالْحِكْمَةِ وَالنَّظَرِ ، وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْعَمَلِ أَدْرَكَتِ النَّفْسُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ ، كَمَا هِيَ ،  
وَبَلَغَتْ مِنَ الْكَمَالِ مَا يُمْكِنُ بَلُوغُهُ حَسَبَ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ ، وَظَهَرَ لَهَا مِنَ الْآثَارِ  
الْكُونِيَّةِ وَالْأَمْرِيَّةِ مَا يَبْلُغُ حَدَّ الْخَارِقِ الْمَعْجِزِ .

ولست تلك المواهب خاصة بقبيل دون قبيل ، بل هي عامة لأنواع البشر

كَأَنَّ تَعَالَى ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ  
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا <sup>(١)</sup> ) أَى جَعَلْنَاهُمْ قَاطِبَةً  
بَرًّا وَمُفَاجِرًا ذَوَى كَرَمٍ أَى شَرَفٍ وَمَحَاسِنِ حَسَنَةٍ لَا يَحِيطُ بِهَا نَظَاقُ الْحَصْرِ ،  
وَمِنْ خَصَصَهُ بِالْعَقْلِ أَوِ النُّطْقِ فَقَدْ أَرْتَكَبَ شَطَطًا ، وَادَّعَى غَلَطًا ، وَخَالَفَ صَرِيحَ  
الْعَقْلِ وَصَحِيحَ النُّقْلِ ، كَمَا ذَكَرَهُ الْأَلُوسِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ .

ومما يدلنا على ذلك دلالة واضحة ما نراه من آثار العلماء الباحثين في العلوم  
الطَّبِيعِيَّةِ وَالظُّوَاهِرِ الْكُونِيَّةِ ، وَمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنَ الْإِخْتِرَاعَاتِ الْحَدِيثَةِ ،  
وَالِاسْتِكْشَافَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالصَّنَاعَاتِ الْبَدِيعَةِ الَّتِي تَبْهَرُ الْعُقُولَ ، وَكَذَلِكَ مَا نَرَاهُ  
مِنْ بَرَاءَةِ أَرْبَابِ الْأَفْلامِ وَبَلَاغَةِ ذَوَى اللِّسَنِ وَالْبَيَانِ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَوَاهِبَ  
الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ لَا تَقْفُ عِنْدَ حَدٍّ وَلَا تَزَالُ فِي تَنْمُوٍّ مُسْتَمِرٍّ لَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ  
مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ مَا شَاءَ لِمَنْ شَاءَ وَلَهُ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ .

نعم إذا استمر هذا النمو العقلي والبحث الفكري واعتصم صاحبه بحبل الله  
المتين وتمسك بالدين القويم فإنه لاشك بالغ منتهى السعادة في الأولى والآخرة  
( وَمَنْ يَفْقَهِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ <sup>(٢)</sup> ) .

وبالجملة فتفاوت النفوس في ذلك وبلوغ بعضها حدَّ الخارق في الأعمال  
والمدارك تابع لاستعدادها الخاص وما يفاض عليها من واهب الصور . وليست  
إفاضة المواهب على النفوس محدودة ولا إشرافات أنوارها على بعض أفراد نوع  
الإنسان مرصودة ، بل لا تزال بمحض الفيض شاملة لسائر النفوس وإن اختص

بالقسط الوافر منها أصحاب العزائم الصادقة وأهل حضرة القدوس . ومنهم المحدثون كما ورد « إِنْ مِنْ أُمَّتٍ الْمُحَدَّثِينَ وَالْمُسَكَّلِينَ » ومنهم عمر رضى الله عنه والمحدث الملمم هو الذى يُلقَى فى نفسه الشيء فيخبر به حَدْسًا وفِرَاسَةً ، وهو نوع يخص به الله من يشاء من عباده ، كأنهم حَدَّثُوا بشيء فقالوه وَمَنْ هذا شأنه تكفيه إشارة الدلالة وأى دلالة :

يَكْفِي اللَّيِّبَ إِشَارَةً مَرْمُوزَةً وَسِوَاهُ يُدْعَى بِالْفَدَاءِ الْعَالِي

وذكر العلامة ابن خلدون : أن من النفوس البشرية ما يستند فى فهمه وأخباره عن الكائنات إلى نوع من الدلالة لا يمكن لغيره أن يستند إليه ، كالعزافين والنظرين فى قلوب الحيوانات وأكبادها وعظامها ، وتخطيط الألف ورسوم الأعضاء وغير ذلك من الدلالات التى يختص بفهمها وحل رموزها أصحاب هذه القطر ، ولا يمكن التعويل عليها لغيرهم ، وهذه كلها موجودة فى عالم الإنسان لا يسع أحدا جحدها ولا إنكارها اهـ .

والحاصل أن مرتبة الإلهام ، وقداسة النفوس فى الدلالة الروحية للخاصة أصحاب الكشف والفهوم بمثابة الأوضاع والعلوم فى الدلالة الآلية للعامة أصحاب النظر والرسوم .

### ظاهرة غريبة فى الإدراك بحاسة اللمس

ولقد تذكرت هنا حادثة غريبة فى بابها ، وهى أن رجلا بمدينة الأقصر فقد بصره بعد أن تعلم القراءة والكتابة ، فكان إذا أتى له بجواب أو كتاب مطبوع أو مخطوط بحروف غير بارزة يضع أصبعه على حروفه ويقرؤه بحاسة

اللمس كما يقرأ غيره الكتابة بحاسة البصر ، وبالضرورة لم يكن ذلك إلا بمضاعفة حاسة لمسه إلى حَدٍّ يستغنى به عن مضاعفة جرم الحروف إلى حَدِّ البروز ، لأن الإحساس بالشيء الدقيق أو البعيد الغائب عن البصر مثلا كما يحصل بتعظيم جرمه بآلة معظمة كالمنظارة يحصل بتعظيم حاسته ، كما فى موهبة زرقاء اليمامة ، فيما أضيف لبصرها حتى كانت كما قيل تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام . ولهذا صح لهذا الرجل البصير أن يقرأ المكتوب بهذه الرسوم التى لا يمكن لغيره ممن لم يكن له هذه الموهبة من العميان أن يقرأ بها ، ولا شك أن موهبة النفوس أتم وأكمل من موهبة الحواس .

### أكل الأرواح موهبة أرواح الأنبياء عليهم السلام

كما لا شك فى أن أكل الأرواح موهبة وأرقاها سعادة أرواح الأنبياء عليهم السلام ، وأكلها ذاتا وعلمًا وشرقا وفضلا ، وأنهم سعادة روح نبيينا محمد صلى الله عليه وسلم كما وردت به نصوص الكتب السماوية ، وأجمع عليه طوائف المسلمين ، والله در البوصيرى حيث يقول فى همز يته :

كَيْفَ تَرَقَى رُفَيْكَ الْأَنْبِيَاءَ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ  
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلَاكَ وَقَدْ حَالَ سَفَا مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ  
إِنَّمَا مَثَلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّا بَيْنَ كَمَا مَثَلُ النُّجُومِ الْمَاءُ  
أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصُدُّ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الْأَضْوَاءُ

ولذا كان تعلق أرواح الأنبياء بأبدانهم ليس كتعلق الأرواح بأبداننا ،

بل هو نوع آخر من التعلق ملائم لكمال أرواحهم واعتدال أمرجتهم . وقد قيل في قوله تعالى ( إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> ) إنه تعالى اصطفى أنبياء فصحاءهم من الصفات الذميمة وزينهم بالخصال الحميدة ، تصفية وتزينا لا تقين بذواتهم السامية ومراتبهم العالية ، ولذا وجب لهم من أمهات الفضائل كالعصمة والأمانة والصدق والتباعد والافتقار واستعجال عليهم من السفاسف والدنيا مالا يجب أو يمتنع في حق غيرهم ، وقد جعلوا من الأمم بمنزلة العقول من الأشخاص .

وذكر الحليمي في كتاب [ المنهاج ] أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يكونوا مخالفين لغيرهم في القوى الجسمانية والروحانية ، مدركة كانت أو محركة ، ظاهرة أو باطنة ، وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم فيما يختص بكمال القوة الباصرة أنه قال « زُوِيَتْ لِي الْأَرْضُ فَأَرَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا » وقال « أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاثَوْا فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءَ ظَهْرِي » يعني أن عينيه صلى الله عليه وسلم كما تبصران من أمامه تبصران من خلفه .

ونظير ذلك ما حصل للخليل عليه السلام كما قال تعالى « وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(٢)</sup> » فإن الله تعالى قوى بصره حتى شاهد الملكوت الأعلى والأسفل فأبصرهما في الجهات الست ، ومثل ذلك لا يستبعد في صفوة الله وخيرته .

(١) آية ٢٣ آل عمران .

(٢) آية ٧٥ الأنعام .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسمع وهو في الأرض أطيط السماء ، وروى أنه سمع دويًا وذكر أنه هوى صخرة فذلت في جهنم .

ثم قال الحليمي : ولا سبيل إلى استبعاد هذا ، فقد قيل إن فينا غورس الحكيم راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك ، ونظير هذه القوة ما حصل لسلیمان عليه السلام في قصة النمل ، فإن الله تعالى أسمع كلام النمل وأوقفه على معناه من مسافة بعيدة ، وتكلم صلى الله عليه وسلم مع الذئب والبعير وسمع كلامهما ، وقال يعقوب عليه السلام : « إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ » فأحس بها وشمها من مسيرة أيام .

وقال صلى الله عليه وسلم حين أكل من الذراع وأكل معه أصحابه « إِنَّ هَذَا الذَّرَاعُ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ » حتى قال صلى الله عليه وسلم في مرض موته « مَا زَالَتْ أَكَلَةُ خَيْبَرَ تَعَاوِدُنِي حَتَّى قَطَعْتُ أَبْهَرِي » فكان لها دخل في موته صلى الله عليه وسلم لينال رتبة الشهادة فلا يفوته رتبة من رتب الكمال ولذا لم يخبره الذراع قبل تناوله منه ، وإلى ذلك يشير البوصيري في همزيته حيث قال :

ثُمَّ سَمِعْتُ لَوَّ الْيَهُودِيَّةِ الشَّامَةَ وَكَمْ سَامَ الشَّقْوَةِ الْأَشَقِيَّةِ  
فَأَذَاعَ الذَّرَاعُ مَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ بِنُطْقٍ إِخْفَاؤُهُ إِبْدَاءُ  
أَيَّ إِخْفَاؤُهُ عَنِ الْحَاضِرِينَ إِبْدَاءُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد جعل الله تعالى النار بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام ، فتلقاها بمضاعفة القوة اللامسة فيه بدرجة تلاشت دونها حرارة النار الحارقة ، وقيل وهو

ظاهر الآية (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) أن الله سلبها خاصيتها من الحرارة والإحراق ، وأبقى فيها الإضاءة والإشراق ، أى كوني ذات برد وسلام غير ضارة ، وقيل : كانت على حالتها لكن الله تعالى جلت قدرته دفع أذاها عنه كما يشعر به قوله تعالى ( عَلَى إِبْرَاهِيمَ ) أى وهى باقية على حرارتها بالنسبة لغيره وعلى كل حال فهو آية باهرة .

وقد يقع نظيرها وإن كان دونها لبعض صلحاء الأمة الحمديدية كرامة لهم لمقابعهم النبي المحبوب صلى الله عليه وسلم .

وكان جبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل له رجلا ويكلمه بكلام يسمعه ومن كان بجانبه صلى الله عليه وسلم لا يراه ولا يسمعه ، وكذلك وقع لغيره من الأنبياء ، وأحياناً كان يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس ، ولا يسمعه غيره من الحاضرين ، وكان جبريل يدارسه القرآن والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه .

وقد ورد في قوة حوامهم الباطنة كقوة الحفظ والذكاء وقوام الحركة ، كما وقع في الإسراء والمعراج ، ورفع عيسى وإدريس وإلياس إلى السماء ، ما يدل على أنها بغاية القوة وأنها مخالفة لغيرها من قوى البشر .

وبالجملة فنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صنف مخالف لسائر النفوس في قواها الظاهرة والباطنة ، ونعوتهم وصفاتهم التابعة لها يجب أن تكون مخالفة لسائر النفوس والصفات التابعة لغيرها ، ضرورة أن هذه النفوس والآثار من لوازم الذات ، فإذا كانت الروح في غاية الصفاء والشرف ، والبدن في غاية الصفاء والطهارة ، كانت القوى المحركة والمدركة وما يتبعها من الصفات

في غاية الكمال ، لأنها جارية مجرى أنوار فائضة من جوهر الروح واصلة إلى البدن .

ومتى كان الفاعل والقابل في غاية الكمال ، كانت الآثار في غاية القوة والشرف والصفاء ، ولذا قيل : إن صفات الأنبياء وقوام لذاتية من خوارق العادات ، وأنه لو وفق للناظرين في دعوى رسالتهم أن يقفوا على كمال تلك النفوس لما احتاجوا في التصديق برسالتهم إلى معجزة الأنعال ، فإن فضيلة الصدق والأمانة مثلاً إذا بلغت حد الكمال والإعجاز لا يقع معها كذب أو خيانة والمعجزة الفعلية التي يطلبها المرتاب أو المعارض في دعوى الرسالة لم تخرج عن كونها من نوع الخارق الذي قد يشبهه بخارق آخر بخلاف الصفات التي جبلوا عليها ، فإن خارقها لا اشتباه فيه ، وقد آمن كثير من الصحابة وغيرهم بمعجزة النبوة غير ملتفت لتلك الخوارق والمعجزات الظاهرة التي لا يعول عليها في إيمانه إلا العامة ، وأصحاب الأنظار الجلية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

### أصناف النفوس البشرية وكلام ابن خلدون في ذلك

وقد ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته : أن النفوس البشرية على ثلاثة أصناف :

« صنف » عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة وانوامة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية

والتصديقية التي للفكر في البدن ، وهذا في الأغلب نطاق الإدراك البشري الجسماني ، وإليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم .

« وصنف » متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنة ، وكلها وجدان لانطاق لها ، وهذه مدارك العلماء الأولياء أهل العلوم الدنية والمعارف الربانية ، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة في البرزخ .

« وصنف » مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة إلى الملكية من الأفق الأعلى ليصير في لحظة من اللحظات ملكاً بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقه ، وسماع الكلام النفساني ، والخطاب الإلهي في تلك اللحظة ، وهؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم جعل الله لهم في الانسلاخ من البشرية في تلك اللحظة - وهي حالة الوحي - فطرة فطرهم الله عليها وجبلة صوّرهم فيها ، ونزهمهم عن موانع البدن وعوائقه بما ركب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوحمة ، وركز في طباعهم رغبة في العبادة فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة ، فإذا انسلاخوا عن بشريتهم وتلقّوا من الملأ الأعلى ما يتلقونه وعاجوا به على المدارك البشرية منزلاً في قواها لحكمة التبليغ ، فتارة يسمع دويّاً كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي أتى إله ، فلا ينقضى الدوي إلا وقد وعاه وفهمه . وتارة يتمثل له الملك الذي يأتي إليه رجلاً فيكلمه ويمى ما يقوله ، والتلقى من الملك والرجوع إلى المدارك

البشرية وفهمه ما ألقى عليه كله كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر ، ولذلك سمّي وحياً لأن الوحي في اللغة الإصرار .

وعلمة هذا الصنف من البشر أن يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين مع غطيظ كأنه إغماء في رأى العين ، وفي الحقيقة هو استغراق في لقاء الملك الروحاني بإدراكهم الخارق عن مدارك البشرية بالسكينة .

ومن علامته أيضاً أن يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والذكاء ومجانبة المذمومات والرجس أجمع وهو معنى العصمة وكأنهم مفطورون على التنزه عن المذمومات وكأنها منافية لجلبتهم ، ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة ، فجعلها في إزاره فانكشف ، فسقط مغشياً عليه حتى استتر بإزاره ، وكان لا يقرب البصل والثوم وسائر الطعومات المستكرهة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني أناجي من لاتناجون .

ومن علامته أيضاً وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم ، ودعاهم إلى الدين والعبادة ، وأن يكونوا ذوي حسب في قومهم حتى يكون لهم عصبية وشوكة تمنعهم من أذى الكفار ليبيلّغوا رسالة ربهم ، ويتم مراد الله في إكمال دينه وملته .

وبالجملة فالأنبياء صلوات الله عليهم قد اصطفاهم الله من البشر وفضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم ويأخذون بحجراتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة .

ومن خواصهم التي لا تنفك عن ذواتهم العلية مزية الصدق والأمانة والفظانة التي هي مدار أمر النبوة والرسالة، فهم خيرة الله من خلقه انتهى .

ومن ذلك تعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يتلقوا الوحي، ولا أسرى بهم، ولا عرجوا إلى الملأ الأعلى، ولا أتوا بالخارق المعجز إلا بعد التجرد الفطري، والانسلاخ عن اللبوس البشري، والتحقق بمقام العبودية لله عز وجل الذي هو أعلى المقامات، كما يشير إليه قوله تعالى : ( سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ) .

وكذلك الأولياء الذين منحوا كرامة الخارق لا يمشون على الماء، ولا يطيرون في الهواء، ولا تطوى لهم الأرض، ولا يجوبون الطول والعرض إلا بعد التجرد عن الأكدار الطبيعية والعوائق البشرية والتحقق بمقام وراثة العبودية النبوية وإن كان هناك فرق بين المقامين وأى فرق ؟ .

### تفاوت النفوس في الانسلاخ عن البشرية

اعلم أن انسلاخ النفس عن لبوس البشرية وعوائق الطبيعة الجسمية يقع على وجوه شتى، وفي حال دون حال، وأكمله ما يقع للشخص مع حفظ ناموس الطبيعة ورسوم الشريعة، فتجده وهو في هذا المشهد يأكل ويشرب ويبيع ويشترى ويصلي ويصوم ويذكر ويحج ويتزوج ويعامل الناس بأنواع المعاملات على وجه أنم وأكمل، جامعاً بين المشهدين قائماً بأحكام المواطنين كأن روحه تشهد ما هناك وتحفظ ما هنا، كالتائم تسبح روحه في عالم الخيال، وتصعد إلى

المبادئ العالية، وترى ما ترى ومع ذلك لها اتصال بالبدن يحفظ عليه حياته ويستبقى آثاره إلا أن هذه تفضل نفس التائم بحفظ الحركة والشعور على وجه لا تلم فيه .

وهذا النوع من الانسلاخ يقع للأنبياء والأكمل من الأولياء، وهم أصحاب التمكن، ودونه مراتب متفاوتة وأنواع شتى لا يعرفها إلا الواجدون .

وبالجملة فالانسلاخ عن البشرية يرجع إلى تجرد النفس ونزوعها إلى مبدئها الأول، وعالمها الروحاني بخلع صورة ولبس صورة أخرى، فهو نوع من تطورات النفوس في حركاتها الصاعدة، وتمثل في عالم الظهور بأمثال متباينة عكس نشأتها الطبيعية وأطوارها البدنية .

ومن طالع كتب الصوفية وتأمل فيها وقف على كثير من غرائبها، ولا أظنك بعد هذا ترتاب في معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو تعود إلى إنكار كرامات الأولياء والله تعالى القدرة الباهرة وله أن يختص من يشاء بما يشاء . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

### المبحث الخامس

#### في تعلق الروح بالبدن حالة النوم

تبقى الروح الإنسانية متعلقة بالبدن حالة النوم تعلقاً دون تعلقها اليقظي بقدر ما يتخيل من التفاوت بين حالة الشخص في نومه وحالته في يقظته فهو تعلق جزئي بين بين، أى اتصال من وجه ومفارقة من وجه، وذلك أن الروح الحيوانى المنبعث

من التجويف القلبي في سائر أجزاء البدن إذا انكشف ناحية القلب وهدأت حرارته الطبيعية ، خمدت الحواس ، وفترت القوى التي هي آلات التدبير والتصرف ، فتتمكن النفس من مفارقة البدن مفارقة جزئية ، أي مع بقاء نوع اتصال بالبدن لحفظ حياته وتدبير ما يحتاج إليه في هذا الموطن .

ومعلوم أن نوع هذه الحياة دون الحياة اليقظية وأنها يتفاوتان قوة وضعفا تفاوتاً يرجع إلى التفاوت بين درجتى التعلق اليقظي والتعلق النومي وآثارهما المختلفة .

ومن هنا قيل : إن النوم مفارقة الروح للبدن مفارقة جزئية ، أو فترة طبيعية تهجم على الشخص تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك ، ويسمونه : الموت الأصغر ، وقسمه الفقهاء إلى ثقيل ، وخفيف ، وطويل ، وقصير وبنوا على ذلك أحكاماً .

والطبيعيون وأهل صناعة التنويم يقولون : إن الإنسان إذا نام خرجت روحه التي يعقل بها الأشياء عن البدن ، أو هجعت عن تدبيره ، ولها شعاع متصل به يعبر عنه بالسيال الكهر بآى فيرى الرؤيا بتلك الروح ، وتبقى الحياة وما يتبعها من الآلات والقوى ، وإذامات فارقتها النفس مفارقة كلية وتلاشت روحه الحيوانية .

وعلماء الشريعة على هذا المعنى ، إلا أنهم لم يعللوا هذا الفتور الطبيعي المؤدى إلى تلك المفارقة بأكثر من أن عمل اليقظة لما كان موجبا لِكَلَال الأعضاء والقوى احتاج البدن إلى السكون والراحة ، لتعويض ما تحلل منه ،

فالنوم عندهم كمقدمة بعث جديد لتلك القوى ، ولذا قيل إنه محلل للفضلات ، مزيل للثخمة ، مريح للنفس والبدن .

وكأن عمل اليقظة يوجب ما ذكر يوجب أيضاً انكماش الروح الحيوانى ناحية القلب ، فيتخمد الحواس ، وتفتر القوى ، وعند ذلك تفارق الروح الإنسانية البدن ويفتر تعلقها به عن تعلقها حال اليقظة كما تفتر حياتها عن حياتها اليقظية .

وبالجملة : فالفتور النومي كما يمتري الأعضاء والقوى يمتري الروح الحيوانى وتعلق الروح الإنسانى ، وبالنوم تستعويض الحواس والأعضاء ما فقدته من القوة حال اليقظة ، وريثاً تتم هذه الاستعاضة يقنبه الإنسان من سباته ويتأهب للفكر والعمل ، ويعود الجسم صالحاً للحياة اليقظية بالتنقية والنضج وتقوية الفكر والحس ؛ فالنوم مع كونه نوعاً من المرض وموتاً أصغر مُعدٌّ لنوع آخر من الحياة والصحة والحركة والشعور .

ونقل ابن القيم عن عكرمة ومجاهد أن الإنسان إذا نام فإن له سيباً يجرى فيه الروح وأصله في الجسد فيبلغ حيث شاء الله ، وما دام سيبه ذاهباً فالإنسان نائم ، فإذا رجع إلى البدن انتبه الإنسان ، وكان بمنزلة شعاع الشمس وهو ساقط بالأرض وأصله متصل بالشمس اهـ .

والسبب بالمشاة والكسر: مجرى الماء، فالروح به تروح عن البدن مادامت في تيار سيلها الشعاعى وتعود إليه بعودته .

والطبيعيون الباحثون في ظاهرة النوم يعللونه « تارة » بأن عمل اليقظة يولد مواد خضمية تجلب الشعور بالنوم وتنفحل به « وتارة » بتأثير المواد القلوية

الميكروبية في المراكز العصبية ، فالنوم عندهم تسمم ذاتي يحدث من تأثير المواد القلوية ، وبه تفرز تلك المواد من الجسم ويزول الاضطراب والتعب الذي حصل فيه « وتارة » بشحن المخ بمتحصلات الإفراز السمية .

وبالجملة : فسواء قلنا إن النوم يحصل من المواد الحمضية التي تتكون من عمل الأعضاء في اليقظة ، أو من المواد القلوية التي تؤثر في المراكز العصبية ، أو من شحن المخ بمتحصلات الإفراز السمية فذلك لا يتنافى مع ما ذكره علماء الإسلام الذين لا يعينهم البحث عن مثل هذه الأسباب الغامضة .

وعلى كل حال فالروح لا تزال متعلقة ببدن النائم ، حافظة لحياته ، مدبرة لشئونه اللاتقة به في هذا الموطن ، وفي هذه الحالة قد ينكشف لها من عالم الغيب والشهادة ما لا ينكشف لها حال تعلقها باليقظة .

### الرؤيا المنامية

ومن هذا الرؤيا المنامية ، فإنها من خواص النفس الإنسانية لا يخلو عنها أحد من البشر غالبا ، وقد جعلها الشارع من المبشرات فقال : « لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ » قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ » ووقوع ما يقع منها للبشر غالبا إنما هو من غير قصد ولا قدرة عليه ، وقد تكون بقصد الشيء عند النوم وشغل النفس به ، وقد تكون بسبب أدعية وأذكار وآيات تتلى عند النوم ، فيرى الإنسان ما يتشوف إليه ويقصده إما بعينه أو بمثاله ، فإن كشف النفوس في عالم الخيال

- كما في إحياء العلوم وغيره - قد يكون بحكاية الخيال وتمثيله ، وقد يكون بحكاية المعنى المتلقى صريحا من المبادئ العالية كما يقع خارجا فلا يحتاج إلى تعبير ، وقد لا يكون كذلك فيحتاج إلى التعبير .

وتأويله يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة ، والفصول وأحوال الأشخاص وما اعتاده الرأي في تصور المعاني بصور تلائمها أو تباينها وما أخذ من عالم الخيال وتأليفه تارة يصدق وتارة يكذب فيكون أضغاث أحلام .

وفي كتاب [ الروح ] لابن القيم : أن الرؤيا على ثلاثة أنواع : رؤيا من الله ، ورؤيا من الشيطان ، ورؤيا من حديث النفس ، والرؤيا الصحيحة أقسام : ( منها ) إلهام يلقيه الله سبحانه وتعالى في قلب العبد ، وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام ، كما قال عبادة بن الصامت وغيره : أي يلقيه في نفسه من غير إسماع له بحرف أو صوت ، وهو في الأنبياء وحى لا مصرية فيه ولا مزاحمة قطعا ، وفي غيرهم ليس كذلك . ( ومنها ) مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها . ( ومنها ) التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم . ( ومنها ) عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له . ( ومنها ) دخول روحه إلى الجنة ومشاهدتها . ( ومنها ) أن يرى النائم غيره من الأحياء يحدثه ويخاطبه وبينهما مسافة بعيدة ، بأن يضرب ملك الرؤيا للنائم مثلا أو يكون حديث نفس من الرأي مجرد له في منامه ، وقد تتناسب الروحان وتشتد علاقة إحدهما بالآخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث صاحبه وإن لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما ، وقد شاهد الناس من ذلك عجائب لا تحصى .



قال بعض السلف : إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف وتتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لا فيها من خير أو شر قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعتها ومعارفها ، لا يشتبه عليه منها شيء ؛ ولا يغفل فيها فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصير لهذا الإنسان ، من خير وشر في دينه ودنياه ، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته ، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه ، وتارة يحذر من معصية ارتكبها أو همَّ بها ، وتارة يحذر من مكروم اعتقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ، إلى غير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحسانا وتذكيرا وتعريفا ، وكل من كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة من منام رآه أو رؤى له ؟ وكل من استغنى وأصاب كنزا أو دفيناً من منام ؟ وكل ترقى نفوس مرئيين على أيدي شيوخ عارفين بسبب الرؤيا الصالحة التي يراها المرئيد السائر إلى الله تعالى أو يراها له شيخه العارف الصالح كيف وهو وارث من أنوار النبوة كما قال صلى الله عليه وسلم : « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوءَةِ » وكما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما سيكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى نزل قوله تعالى ( لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ) ، وبالجملة : فعالم الخيال والرؤيا عالم واسع لا تنتهي أطرافه .

والقول بأن العلوم كلها كامنة في النفس وإنما اشتغالها بعالم الحس يحجبها عن مطالعتها ، فإذا تجردت كل التجرد كما في الموت أو بعضه كما في النوم رأت

منها بحسب استعدادها - ليس على إطلاقه فإن تجرد النفس لا يطلعها على علم الله الذي بعث به رسوله وعلى تفاصيل ما أخبر به عن الرسل الماضية والأمم الخالية ، وتفاصيل المعاد ، وأشراف الساعة ، وتفاصيل الأمر والذم ، والأسماء والصفات والأفعال ، وغير ذلك مما لا يعلم إلا بالوحي ( انظر كتاب [ الروح ] لابن القيم ، و [ إحياء العلوم ] للغزالي ) .

ولا يخفى أن بعض ذلك قد يخالف ما صح أن عمر رضى الله عنه كان يسبق الوحي أحيانا فيما يراه ويخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعض أصحابه وإن كان يقظة كما قال في قصة الأذان وغيرها ، اللهم إلا أن يقال : إن عمر رضى الله عنه ، إنما أخبر بالحكم فيه دون الحكم .

### التنويم المغناطيسى وغرائبه

التنويم المغناطيسى هو تسلط روح الشخص المنوم على روح المنوم « بالفتح » وهو المسمى بالوسيط ، بحيث يصير تحت تصرف المنوم وإرادته ، وعند تلقين المنوم ، وتسلط إرادته على روح الوسيط يحصل لبدنه غشية ولحواسه وقوى أعضائه فترة كفترة النائم نوماً طبيعياً ، وذلك هو النوم الصناعتى الناشئ من التنويم المغناطيسى الذى هو من تأثير الأرواح وتفاعلها لامن تأثير الطبائع ووظائفها ، ولذا كانت آثاره الغريبة ومشاهداته العجيبة من أصرح الأدلة على وجود الروح الإنسانى وعلى سريانها في البدن .

وأهل هذه الصناعة يذكرون له طرقاً عديدة ، منها : أن الشخص المنوم

يحدق بصره إلى الوسيط أو يبادره بالإشارات والحركات المغناطيسية ، أو يضع بالقرب من عينيه مادة لامعة ينظر إليها بتحديق بصره ، أو يسمعه باتصال أصواتا ملحنة أو يبهته برمية نور كهربائي ساطع ، أو يشد على إبهامه شدا خفيفا ، أو يلقنه النوم بإطباق جفنيه ويأمره بعنف أن ينام ، إلى غير ذلك من الطرق المتنوعة ، ويقولون : إنه متى تكرّر تنويم الشخص سرّات عديدة سهل تنويمه ولو بحركة جزئية أو نفخة واحدة .

ومع ذلك فالروح الإنسانية في هذه الحالة لاتزال متعلقة بيدن النائم ، حافظه لحياته ، مدبرة لشئونه اللاتقة به في هذا الموطن ، كما تقدم في النوم الطبيعي . وقالوا أيضا : إن المنوم قد يبقى على جزء من الحرية والاختيار ، وقد يصل إلى درجة يكون فيها تحت تصرف منومه خاضعا لإرادته مقتنعا بكل ما يوجهه به ويوجهه إليه تمام الاقتناع والخضوع ، حتى لو أوهمه مثلا أنه ملك عظيم أخذ في الحال شكل العظمة والأبهة ، وأعطى نفسه جميع صفات الملوك في الكلام والحركة ، وإن أوهمه أنه فقير ذليل خضع واستكان وتقمص سائر صفات الفقراء البائسين .

وقد روت مجلة المجلات الفرنسية كما في دائرة المعارف الوجدية : أن رجلا نوم زنجيا وأوهمه أنه ذئب ضار ، فانبعثت منه صفات الذئب وهام على وجهه في الأسواق فقتل ثمانية أشخاص وحاول نهش لحومهم .

وبالاختصار يكون المنوم تحت سلطان المنوم ، فيريه ويسمعه أشخاصا وأصواتا لا وجود لها ، ويجعله يحس بما لا حقيقة له إلا في مخيلته ، فإن أعطاه قدحا من الماء وأوهمه أنه خمر سكر وانتعش ، وإن أمره بأكل بصلة حريفة

وأقنعه بأنها كثرى لذينة أكلها وتلذذ بها . وكل هذا من تأثير الأرواح وتأثيرها وإلا فالطبيعة البشرية لا تصالح لهذا التفاعل ، ومع اشتغال روح المنوم بالتأثير في روح الوسيط وشغل روح الوسيط بإظهار تأثيرها منها لايزال كلا الروحين متعلقا بيدنه حافظا لحياته مدبرا لشئونه .

وهذه المسألة كانت معروفة عند قدماء المصريين والسكلدانيين وغيرهم من الشعوب القديمة ، إلا أنه لم يتحدث بها في أوربا إلا في سنة ١٧٧٠ وأول من تكلم بها الدكتور الألماني ( مسمر ) فإنه قرر أن في الإنسان سبيلا مغناطيسيا لايعرف كنهه ينبعث منه بالإرادة ويؤثر على الأشياء والأشخاص تأثيرا خاصا ، وأخبر أنه طبب به الأمراض العصبية فنجح ، فلقى هذا الأستاذ من علماء وقته ما كان يلقاه كل من يدعى وجود شيء غير المادة ، لأن الإلحاد كان ضاربا أطنابه في جميع القارات المتعدية إلا أن مسمرا لم نثنه هذه الزعاج ، واستمر يصول من يصوله إلى أن كثر أشياعه وتلامذته ، وانتصر هذا المذهب انتصارا باهرا حتى أغرى كثيرا من الماديين بالخوض في هذا الباب ، فتبين لهم صدق الداعين إليه ، وأن بجانب المشاهدات المحسوسة المادية التي تنطبق على علم الفيسولوجيا أشياء أخرى خارقة للطبيعة لم يستطع أحد تفسيرها إلى الآن ، ولا تنطبق على أي قانون تشريحي ، وهذه الخوارق للطبيعة ثبتت بطريقة محسوسة لا تختمل الشك - وجود الروح ، لأنها فضلا عن كونها تشذ عن قوانين التشريح تعارضها وتلاشيها ، فالنوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة بأخرى لم تزل مكتسبة بالمادة كما سيأتي في تحضير أرواح المتوفين .

فن ضمن عجائب النوم المغناطيسى التى تهدم قوانين الفيسولوجيا فقد المنوم للإحساس بكل ما يصيبه من غير منومه فيمكنك أن تقطع جسمه إرْبا إرْبا بدون أن يتألم بذلك ، ولا أن يستيقظ ، وليست هذه المشاهدات مقتصره على فقد الحس ، بل دالة على أمور أخرى مهمة ، كالإخبار بالمغيبات ، ورؤية الأشياء البعيدة ، والنفوذ إلى أسرار الوقيين أمامها ، والبعيدى عنهم ، مما لا يكاد يصدقه الإنسان لولا أنه محقق من المشاهدات الحسية والتواتر العلمى الذى لا يحسن الشك فيه . ومن ذلك قراءة الأفكار وظهور شبح الإنسان فى مكان بينما يكون صاحبه فى محل لم يتحرك ، واستخراج القوة الحيوانية من الجسد ( أنظر دائرة المعارف للأستاذ محمد فريد وجدى ) .

وقد أسلفنا أن الروح ليس لها وجود خاص ولا شخصية معينة ، وأنها تظهر فى هيأتها الطبيعية كما تظهر فى غيرها ، وتروح وتغدو ، وتسبح فى العوالم الأخرى وفى أسرار الطبيعة حسبما أتيح لها فى عالم التقدير .

وقد شوهد لكثير من الأولياء والصالحين كرامة لهم كما شوهد لغيرهم ممن لم يتدين بالدين الإسلامى ، فقد اتفق كما ذكرته جرائد لندن بتاريخ ٢٧ مارس سنة ١٩٠٥ عن الميجر ( السير كلون ) أحد نواب الإنكليز أنه كان ملازماً للفراس بسبب انحراف صحته ، وحضر طيفه فى البرلمان الإنكليزى أثناء انعقاد الجلسة وشهده الحاضرون ، والحادثة مبسوطه فى رسائل الأستاذ محمد مختار الباجورى .

وقد ذكروا أن العلامة السكولونيل مدير مدرسة الهندسة فى باريس توصل بالتنويم المغناطيسى إلى إخراج روح الإنسان ، وأنه استمر يؤثر على

شخص بعد تنويمه ويزيده نوما حتى وقع فى شبه موت ، ففقد الحس والحركة ، وجهد جسمه ، ولم تمكن مخاطبته ، فعمد إلى تنويم شخص آخر نوماً وسطاً ثم سأل عما أصاب الأول ، فقال : إن روحه خرجت وجلست بجانبه على بعد ما فإزال يتلمس تلك الروح حتى قال له النائم نوماً وسطاً : إن يدك الآن على ساقها فأثر السكولونيل على تلك الجهة بمشط فحدث فى الحال جرح على ساق المنوم ، مع أن بينه وبينه أكثر من متر ، ثم أخذ فى إيقاظ ذلك المنوم ، فلما وصل إلى حالة وسطى أخذ يرفوه ويستطفه أن يزيده نوماً حتى يتم خروج روحه متعللاً بأن الحياة الأرضية سجن مظلم ، وأن روحه لما خرجت كانت تسبح فى الوجود مطابقة بلا قيد ، وأنها رأت من لذات الحياة ما لم تكن تحلم به وهى فى الجسد ، وأنها لم تكن متعلقة بيدها إلا بخيط دقيق ، فلم يصغ السكولونيل إلى كلامه وأيقظه ، فلما وصل إلى الحياة الاعتيادية لم يذكر مما جرى له شيئاً ، فأعاد تنويمه فتذكر كل ما حدث له أولاً .

كأن له حالتين من الوجود : حالة تغلب فيها الروح على الجسد فيعيش الإنسان معيشة روحية . وحالة يغلب فيها الجسد على الروح فيعيش الإنسان كما يعيش فى حالة جسدية ، ولومات نهائياً انتقلت روحه جزاء عمله من خير أو شر . وفى كتاب الأستاذ محمد فريد وجدى [ على أطلال المذهب المادى ] أن هذه أمور خارقة للعادة تحققت علمياً وتكررت تجاربها ملايين المرات فى أقطار العالم المتمدن منذ سبعين سنة وهى التى حولت إلى المذهب الروحانى رءوسا استعصت على كل مؤثر فى الأرض ، وأصبحوا يعترفون بثبوت العالم الروحانى والاتصال بالأحياء التى فيه وقيام الروح مجردة عن المادة .

وهناك أدلة ترجح أن من هذه الأرواح التي تظهر للمجربين أرواح الموتى (منها) تكلم الروح بلغة المتوفى الخاصة واستخدامها عبارته المألوفة وتذكير أهله بحوادث قديمة كانوا نسوها لبعد العهد به ، ولا يدرىها أحد سواهم (ومنها) دلالة أهلها على أمكنة أوراق ومستندات ضائعة وضعها المتوفى في تلك الأماكن قبل موته اهـ . وإلى غير ذلك من الحوادث التي تدل دلالة واضحة على ثبوت الروح الإنسانى واتصال أرواح الأحياء بالأموات وأن لها آثاراً كونية وأمريّة وتصرفاً حال الحياة وبعد الممات في هذا العالم الحسوس ، وأن تصرفها بعد مفارقتها لهذا اللبوس البشرى والهيكَل الجسمانى البدنى أتم وأكمل .

ولعل في هذا إقناعاً وهداية للذين يتمشّدون بغير بيئة فينكرون تصرف أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم لظنهم أن الروح كالبدن تموت وتفتى ، وإن بعض الظن لائم وجهل عظيم ، فإن الأرواح ليست كذلك ، بل هى لا تزال حية باقية عالمة مطلقة التصرف بإذن الله تعالى .

### ظاهرة غريبة لروح أحد التوأمين

يقع في بعض بلاد الصعيد بمصر وفي المناطق الحارة لأحد التوأمين أن ينام في مكان وروحه تسرح في بيوت الجيران متشكلة في صورة كلب أو قط تأكل وتشرب حتى تشبع فيشبع التوأم ، وإذا اتفق أن أحداً ضرب هذه الصورة المثالية فأنزف فيها أو كسر عضوًا من أعضائها ظهر الضرب والكسر في بدنها الأصلى عند عودتها إليه ، وإذا حبست وطال حبسها أو ضربت حتى

ماتت مات ذلك التوأم ، ولهذا تجد أقرباء التوأم إذا نام يلاحظونه ويوصون الجيران بعدم التعرض لمثل هذه الصورة خشية أن تكون صورة التوأم .

ولعل التوأم الذى تقع له هذه الظاهرة دون أخيه هو الذى يكون حظ روحه من أعراض النطفة وأطوارها أقل من حظ روح التوأم الآخر ، فيكون استعداد الروح للتجرد وقدرتها على التشكل لهذه الحالة أقرب ، واتصال سببها ببدنه أتم وأوفق .

وبما نقلناه في النوم المغناطيسى وغرائبه وما ذكرناه عن ابن القيم وغيره في أحكام الروح وآثارها الكونية يمكن تخريج هذه الظاهرة وأمثالها .

وتقدم أن للروح سبباً متصلاً بالبدن تسبح في تياره عند خروجها منه حالة النوم وتعود إليه عند عودته ، وأن كل ما يحصل للصورة المثالية المتشكلة من هذا السبب يحصل لبدنه الأصلى ، عند عودتها إليه .

وأهل صناعة التنويم يعبرون عنه بالسيال الكهربائى ، وبغلاف الروح ويقولون بواسطته ينتقل إلى بدنه الأصلى عند عودتها إليه ما انطبع في شكلها الروحانى من المؤثرات المادية إلى آخر ما أسلفناه في هذا الموضوع ، وهذا السبب هو المعبر عنه عند السادة الصوفية بحجاب الروح وبنور الأرواح .

### ظاهرة أخرى لنقل السم من بدن إلى بدن آخر

وكذلك ظاهرة نقل السم من بدن إلى بدن آخر ، فقد وجد ببعض الجهات بالصعيد أن بعض أهل العزائم والرقى يأتى إليه قريب الملدوغ من العصبة أخوه أو ابنه من بلد بعيد فيرقيه برقية يتلوها عليه مرة أو أكثر ، فينتقل الألم من

الملدوغ وهو في بلده إلى ذلك القريب فيعيد الرقية عليه مرة أخرى حتى ينصرف الألم ، وذلك مما لا شك في وجوده ، وإنما الكلام في تصويره وفهمه ، وقد علمت أنه لا سبيل إليه إلا من طريق هذا التوجه الروحاني ، وتأثير عزيمة المأذون بتلاوتها بواسطة هذه الصلة الخاصة بين القريب وقريبه التي هي كالصلة بين الروح والبدن فيما يصل من أحدهما إلى الآخر ، فكما أن صاحب الرقية إذا باشر الملدوغ برقيته وقد انتشر السم في بدنه أمكنه بتوجه روحه وتأثير عزمته أن يجمع السم في موضع اللدغ ، ثم يصرفه ، كذلك يمكنه أن يجمعه من بدن الملدوغ إلى بدن قريبه بواسطة الصلة التي بينهما وسرّ العزيمة بحيث ينتقل إليه كما ينتقل الأثر من الروح إلى بدن الأصل ، ومن بدنهما إليه ، كأنهما جسم واحد ؛ فالراقي ينفت روح كلمته ويوجه سرّ عزمته للتأثير في بدن الملدوغ أو بدن قريبه تأثيراً ينشأ عنه إيقاف حركة السم وردّه إلى جهة مبدئه وإبطال آلامه وضرره .

ولا غرابة في ذلك بعد ما سمعته من حوادث التنويم وخوارقه ، وأن بعض الأطباء توصل به إلى معالجة المرضى بطريق الانتقال .

وقد وجد الآن مجرّز نباتي إذا شرب الملدوغ منه قطرة أو قطرتين في جزء من الماء اجتمع السمّ في موضع اللدغ أو انصرف مرة واحدة .

وكذلك روح النوشادر إذا فصد محل اللدغ ووضع عليه قطرة أوقف حركة السم .

وبالجملة : فالنذير الطبي الآن وآثاره العجيبة في الأبدان وغرائب التنويم المغناطيسي ومشاهداته أكبر شاهد لتحقيق هذه النظرية وأمثالها ، بل نقول :

إنه لا مانع من أن يترقى صاحب هذه العزيمة الروحية كما ترقى الطبيب المادي ، أو توجد نفس أو عزيمة أقوى من نفس وعزيمة هذا الراق ، فيحصل التأثير بواسطة قرابة أعم من قرابة العصبية أو بصلة أخرى كصلة الصحبة والجوار ، أو بلا صلة أصلاً ، أو بمجرد التوجه النفساني بدون عزيمة ، فإن صدق التوجه وعلم النفوس وعجائبها وأسرار الحروف وغرائبها غير محدود .

وليس ذلك بمستغرب ولا عزيز على القدرة الباهرة ، فإن الذي وضع الخوارق والمزايا في العقاقير والمادان والأحجار وخص البعض بقوة الجذب والبعض بقوة الدفع ووجه نفوس البشر إلى استكشافها ومعرفة آثارها استكشافاً مستمراً غير محدود ، كما هو مشاهد فيما أظهرته علوم الصناعة في الأمم الراقية ، قادر على أن يضع أسرار العجيبة في جواهر النفوس ولطائف الأرواح ويؤجّه من شاء من خلقه لمعرفتها والوقوف على دقائق أسرارها .

ولا يؤجّه في هذا أو ذاك إلا نفوساً متأهبة وأرواحاً صالحة متأهلة يمكنها أن تقف على الدقائق وتستخرج كنوز الحقائق ، وتكتشف أسرار الطبيعة ، وتستنتق صامت الخليقة ، وتجري البواخر الشاحنة مسلّحة تحت الماء كما تحلق بها في الهواء تحليق الطيور في جو السماء .

والحاصل أن من أراد أن يخوض في هذا السرّ المصنوع ويقف على أحكام الأرواح والنفوس ودقائق الصناعات الغريبة والمشاهدات العجيبة التي لانصر إلا عن نفوس عالية متأهبة كاملة لا بد أن يستحدث لنفسه فطرة أخرى وعقلاً آخر غير العقل الذي اهتدى به إلى معرفة الجسمانيات وأحكامها البادية ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

## المبحث السادس

### في تعلق الروح بالبدن في البرزخ

تقدم أن الروح موجودة حية باقية بعد الموت ، إما في نعيم أو عذاب ، وأنها بالموت تنقطع عن البدن انقطاعاً كلياً ، وتخلع هذا الكساء الطبيعي واللبوس البشري خلعا نهائياً وهو معنى موتها المشار إليه بقوله تعالى ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ )<sup>(١)</sup> أى مفارقة لبدنها الطبيعي الحسوس مفارقة كلية ، ثم تعود إليه هامدا فاقد الحس والحركة الآلية فتتعلق به نوعاً آخر من التعلق لا كالتعلق النومي الذي يكون باتصال شعاع النفس بالروح الحيواني الطبيعي نوع اتصال ، ولا كالتعلق اليقظي الذي يكون بسريان الروح في البدن ، أو باتصالها به اتصال تدبير وتصرف آلي ، فإن الروح في هذين التعلقين مقيدة بعلائق البدن وآلاته مشغولة بتدبيره الطبيعي لا يسعها أن تفارقه كلياً مادامت الروح الحيوانية باقية فيه ، وفي هذا التعلق البرزخي ليست كذلك لتلاشي الروح الحيواني وذهاب قوى البدن وآلاته بالموت ، وإنما هو تعلق روحي برزخي من قبيل الروح لا من قبيل البدن يحصل عند إعادة الروح إليه فيوجب له حياة غير حياته المعهودة وما يتبعها من الحس والحركة كما نص عليه الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم . ولولا بيانه لهذا التعلق وآثاره ما وسع أحداً أن يخوض في هذه النشأة الغامضة ، فإنها ليست من مجال العقول ، بل الحس يشهد بخلافها وإن كانت

(١) آية ١٨٥ آل عمران .

شهادته فيها غير مقبولة لأنها من عالم الغيب والحس من عالم الشهادة فلا بد لإدراكها من حس آخر غير هذا الحس .

والبرزخ في اللغة يطلق على الحاجز بين الشيئين ، ويطلق على ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى وقت البعث وهو المراد هنا فن مات فقد دخل البرزخ وقال الفراء في قوله تعالى ( وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ )<sup>(٢)</sup> البرزخ من يوم يموت إلى يوم يبعث .

والقول بأن الروح باقية بعد الموت وأنها تعاد إلى البدن على وجه يوجب له الحياة المذكورة هو الصواب الذي ذهب إليه أهل الحق للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها وإعادتها إلى البدن بعد المفارقة ، فهي في عالم البرزخ حية باقية تتعلق بأبدانها فتحيا بحياتها الذاتية ببقى البدن أو تفرق ، وتستمر كذلك إلى النفخة الأولى المشار إليها بقوله تعالى ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ )<sup>(٣)</sup> فقيل إنها تصعق أى تموت بهذه النفخة ككل من لم يمت ، وإليه ذهب جمهور العلماء . وقيل : لا تصعق ، بل تبقى حية ، فمن شاء الله بقاءهم ممن ورد فيهم الحديث ، كجبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت ، وحملة العرش ، ورضوان ، والخور العين ، ومالك خازن النار ، والزابانية ، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يصعقون بهذه النفخة وإنما يغشى عليهم ثم يفيقون .

(١) آية ١٠٠ المؤمنون .

(٢) آية ٦٨ الزمر .

وأول من يُفَيِّقُ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، قيل : إلا سيدنا موسى عليه السلام فإنه لا يُصْعَقُ ولا يُغْشَى عليه لأنه صُعِقَ في الدنيا مرة فجوَّزى بها .

ثم بعد أربعين سنة ينفخ في الصور النفخة الثانية وتسمى « نفخة البعث » فيجمع الله الأرواح في الصور عندها وفيه أُنْقَبُ بعددها فتخرج منها الأرواح إلى أجسادها فلا تخطيء روح جسد صاحبها ، وإليه يشير قوله تعالى ( ثُمَّ نَفْخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ) أى يَقلِّبونَ أبصارهم في الجهات نظر المبهوتين إذا فاجأه خطب ، أو ينتظرون أمر الله فيهم ، وقد دلت الآية على أن النفخة اثنتان : الأولى : للموت ، والثانية : للبعث ، والجمهور على أنها ثلاث : الأولى : للفرع كما قال تعالى ( وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ )<sup>(١)</sup> والثانية : للموت ، والثالثة : للإعادة والبعث .

### إعادة الروح إلى البدن في قبره وحياته بها وكلام ابن القيم في ذلك

وفي كتاب [ الروح ] لابن القيم : وقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مسألة إعادة الروح إلى الميت في قبره ، وأغنانا عن أقوال الناس فيها حيث صرح صلى الله عليه وسلم بإعادة الروح إلى البدن في حديث البراء بن عازب وغيره ، وهو حديث مطول بين فيه صلى الله عليه وسلم كيفية إخراج الملائكة

(١) آية ٨٧ للنمل .

الروح من البدن وصعودهم إلى السماء ورددًا إليه للسؤال حيث قال صلى الله عليه وسلم : « فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ قِيَامَتِهِ مَكَانَ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ » الخ رواه الإمام أحمد وأبو داود ، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد .

وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده<sup>(١)</sup> : هذا الحديث إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء ، فلا وجه للقول بضعفه ، وذهب إلى القول بموجبه جميع أهل السنة والحديث ، فقالوا بحياة الميت في قبره وإحساسه حياة برزخية وإحساساً كذلك خلافاً لما زعمه ابن حزم<sup>(٢)</sup> حيث قال : ومن ظن أن الميت يحيا في قبره فخطأ فقد رده ابن القيم وغيره بأنه إن أراد به الحياة المعهودة في الدنيا التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ . كما قال : والحس والعقل يكذبه كما يكذبه النص ، وإن أراد به حياة أخرى غير هذه الحياة بأن تعاد إليه الروح إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا فيحيا بها حياة غير هذه الحياة ليسأل ويمتحن في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله صلى الله عليه وسلم « فتعاد روحه في جسده » وساق أحاديث كثيرة في هذا الباب تدل دلالة ظاهرة على إعادة الروح إلى أجسادها في القبور للسؤال ورد السلام والرحيم والعذاب إلى غير ذلك في أى وقت شاء الله ردها إليه ولا معنى لإعادتها لأجسادها إلا تعلقها بها على الوجه اللائق بهذا الموطن .

(١) المتوفى سنة ٥٣٩٥هـ . (٢) في كتاب الملل والنحل .

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه وشرع السلام على الموتى بصيغة خطاب الحاضر الذى يسمع وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن تعود روحه إليه فيرد عليه السلام، وأنه صلى الله عليه وسلم يرد على من سلم عليه، وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، فيخاطبهم بمخاطبة الأحياء، وهم يسمعون كلامهم ويردون سلامهم، كما ورد به الحديث الصحيح، وصح أن القبور تخاطبهم وأن الموتى يقرءون القرآن في قبورهم، وأن طالب العلم إذا مات حريصا عليه بعث الله له ملكا يعلمه في قبره، وأخرج ابن عباس قال: ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هِيَ الْمَانِعَةُ هِيَ الْمُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

وقد صح أن كثيرا من الأولياء كان يصلى في قبره ويقرأ القرآن متلذا متقنعا بذلك.

وحديث «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ» الخ معناه: إذا مات هذا الهيكل المخصوص وتلاشت قواه البدنية بانتقال روحه من دار الدنيا إلى دار البرزخ انقطع عمله التكليفى الدنيوى، وهذا لا ينافى أن لروحه بعد ذلك عملا آخر لا تكليف به كعمل أرواح النائمى والملائكة المطهرىن.

وأما قوله تعالى (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الشُّمَّ الدُّعَاءَ)<sup>(١)</sup> وقوله تعالى (وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ)<sup>(٢)</sup> فالمراد بالموتى فيه وبين فى القبور الهيكل المخصوص، لأنه المستقر فى القبر والميت المتلاشية حواسه وقواه البدنية دون روحه، ولأن المقصود تشبيه الكفار بهذه الجثث التى فقدت حواسها وتلاشت قواها حيث لم يعوا ما يسمعون فى الدنيا ولم ينتفعوا به، شبهوا وهم أحياء صحاح الحواس بهذه الأبدان الهامدة التى لا تحس ولا تسمع، وتشبههم بالشم فاقدى السمع الذين يُنْعَقُ بهم فلا يسمعون، وبالعمى فاقدى البصر حيث يضلون الطريق، وإذا هُدُوا لا يهتدون ظاهرا فى أن المراد بالموتى ومن فى القبور ماذكر ولا شك أن هذه لا تسمع ولا تسمع، فلذا وقع تشبيه الكفار بهم، وهذا لا ينافى أن أرواح الموتى تسمع وتسمع لأنها حية باقية سميعة باصرة كما تقدم، بل هى أسمع من أرواح الأحياء كما قال صلى الله عليه وسلم فى أهل قليب بدر «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْ هَؤُلَاءِ» (انظر تمام المبحث فى الرسالة الثانية فى حكم التوسل بالأنبياء والأولياء عليهم السلام لكاتب هذه الأحرف).

والحاصل أن إعادة الروح للبدن فى البرزخ إعادة توجب له حياة وأثرا لاثنين بهذا الموطن مما أثبتته الشرع ثبوتا لا ينبغى النزاع فيه، والعقل السليم لا ياباه، وإذا كان النائم روحه لها اتصال بجسده وهو حى وحياته غير حياة

(١) آية ٨٠ النمل.

(٢) آية ٢٢ فاطر.



المستيقظ والنوم شقيق الموت ، فالميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حالة متوسطة بين الحي والميت الذي لم ترد روحه إلى جسده .

وفي إحياء العلوم للامام الغزالي : ومثل الميت مثل الزمّن إلا أن الزّمانه تعطل بعض الأعضاء والموت يُعطل كلّ الأعضاء ، وكلّ الأعضاء وما فيها من القوى الجسمانية آلات للروح والروح هي المستعملة لها ما دامت الأعضاء على وضعها الخاص ونظمها الطبيعي ، فإذا خرج البدن عن هذا النظام لا يمكن للنفس أن تستعمله على النحو الذي كان لها حين تعلقها به قبل خروجه عن هذا النظام ولا أن تتعلق به أو بأجزائه تعلق السريان الذي كان لها في الحياة الدنيا ، لأن ذلك إنما يكون بواسطة الأجهزة والقوى المنتشرة في سائر الأعضاء ، وقد بطل ذلك بالموت ، إلا أن الروح تعود إلى البدن وتعلق به نحوًا من التعلق لا يكون بهذه الوساطة الباطلة سواء بقي البدن أو بلى وتفرق اه .

والأحاديث والآثار الدالة على ردّ الروح إلى البدن وإعادتها إليه لا تدل على أنها تعود إليه دائماً ، وفي كل حال ولا أنها تتعلق به تعلقًا يوجب له الحياة المعهودة وما يتبعها من الحس والحركة وحاجة الطعام والشراب حتى يجب تأويلها وصرفها عن ظاهرها ، فإن ذلك النوع من الحياة قد بطل بنزع الروح من البدن ومفارقتها له وتلاشي قواه وآلاته .

## بيان المغايرة بين التعلق البرزخي والتعلق الدنيوي

### واختلاف آثارها

وإعسا تعلق الروح بالبدن في البرزخ نوع آخر من التعلق مغاير للتعلق الدنيوي مغايرة كلية يكون من قبيل الروح لامن قبيل البدن ، أي أن البدن في هذا الموطن لا يقتضيه كما اقتضاه في موطن الدنيا ، ولذا كان غير مشروط بالبنية والتأليف ولا بتلك الآلات والقوى وما يتبعه من الحياة كذلك .

ومن تأمل كيف أنشأ الله الجنين في بطن أمه وكيف أعدّه لتعلق النفس به ونفخ الروح في أجزائه عرف أن التعلق البرزخي وآثاره مغاير للتعلق الدنيوي مغايرة كلية ، وأن هذه النشأة على عكس النشأة الأولى ، ولذا عبر الشارع عن تعلق النشأة الأولى بالنفخ للمادى الجسماني ، وعن هذا التعلق بالإعادة والرد فهو تعلق روحاني محض يكون للروح ومن قبلها مهما كان البدن بقي أو تفرق قُرب أو بُعد ، فإن الأرواح في تعلقها بالأشباح وارتباطها بها لا تتوقف على قرب أو مماسة ولا يحول بينها وبين ملاحظتها واتصال آثارها بها أي حائل مهما غلظ وصلب واشتدت كثافته ، فليس إشراق الأرواح على أبدانها وتعلقها بها كما إشراق الشمس في الأفق يحول بينها وبين ما تشرق عليه تحوم الأرض وشواخص الجدران ، بل نسبة الشواخص الكثيفة إلى أضوائها كنسبة الهواء اللطيف إلى أشعة الشمس ، فكما أن الهواء لا يمنع نفوذ أشعة الشمس إلى ما تقع عليه كذلك هذه الشواخص الكثيفة لا تمنع أضواء الأشعة الروحية من

الوصول إلى أشباحها ، وربما كانت بجانبها ألطف من الهواء بجانب أشعة الشمس .

وكما نشاهد وقوع أشعة الشمس على الجسم وهو ملتئم الأجزاء في مكان واحد مثل ما نشاهدها عليه وهو مفرق الأجزاء في أمكنة متباعدة كذلك الروح في تعلقها بالبدن واتصال أشعتها به لا فرق بين كونه مجموعا أو مفرقا ، بل الأشعة الروحية في ذلك أتم وأكمل .

ولا نعني بالتعلق الروحي إلا وقوع أشعة الروح واتصالها بأبدانها على وجه تصل به آثارها إليها كيفما كانت وأينما تكون ، أما كُنْهُ هذا التعلق ومقدار نفوذه وما يترتب عليه من الآثار فلا يعلمه إلا باري الأرواح والنَّسَم كما قال تعالى ( أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ) .

### وصول اللذة والألم إلى البدن بواسطة التعلق البرزخي

واعلم أن كل ما يصل إلى الأرواح في هذه النشأة من اللذة والألم يصل إلى الأبدان بواسطة هذا التعلق والإشراق وإن لم يكن تعاقب حلول وسريان ، يشهد لذلك ما تقدم في تعلق النوم ، فإن ما يصل إلى الروح من اللذائذ والآلام في هذه الحالة يصل إلى البدن ، مع أن الروح مفارقة له ، كما أن ما يصل إلى الأبدان في نشأة الدنيا يصل إلى الأرواح بواسطة تعلقها بأبدانها وإن كان هذا محسوسا وذاك غير محسوس .

ومما يقرب هذا وذاك ما نبهده حال اليقظة من تدبير الروح للأشياء المنفصلة

عنها فإن الملك العادل قد يدبّر أطراف مملكته وهو بعيد عنها ، وكما أحس بتقدم رعيته واستتباب الأمن والراحة بين أفراد أُمته أدرك لذة الملك وشعر بما تشعر به أُمته من التمتع والراحة ، والعكس بالعكس ، متى كانت نسبة الرعاية بينه وبين أُمته محفوظة على الوجه المطلوب فإن ارتباط الملك العادل بأُمته كارتباط الروح بالجسد ولذا قيل : إن نفوس الأنبياء بمنزلة العقول للأُمم ، وقد ورد « السلطان ظل الله في أرضه » ومظهر آثاره في خلقه .

### السرف في أن اللذة والألم في البرزخ غير محسوسين

والسرف في أن الأحوال التي تحصل للميت في قبره من عذاب أو نعيم ليست أمرا محسوسا مشاهدا أن المتأقّي لها أولا وبالذات هو الروح ولا تتلقاها إلا روحانية ، فلا تصل إلى البدن إلا كذلك ، وحينئذ لا يمكن إدراكها والوقوف على حقيقتها بهذه الحواس المادية المشروط إدراكها بشرائط مخصوصة ، ومن هنا صح أن يقال : إن الميت يأكل ويشرب ويفرح ويتألم ويعذب وينعم ، كما وردت به الآثار الصحيحة ، وأن ذلك أمر حقيقي وعدم إحساسنا بهذه الأمور عند نظرنا جثة الميت لا يدل على نفي شيء منها ، بل يجب أن لا تكون محسوسة لنا لأنها ليست من جنس ما يحس كما عرفت ، وإن وقع مشاهدتها لأحد من الخلق فإنما يكون ذلك خرقا للعادة معجزة أو كرامة .

وهذا لا يدل على ضعف هذا النوع من التعلق كما أشرنا إليه فإن الإحساس بالأمر شيء والقوة والضعف شيء آخر كيف والروح في هذا الموضع لا معاق

عكس هذه القضية ، وهو أن ما يصل إلى الروح يصل إلى البدن لوجود التعلق بينهما مع عدم السريان في كلتا الحالتين .

### وصول النعيم والعذاب إلى البدن قبر أو لم يقبر

ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونيمة الواردين في الأحاديث وغيرها اسم لعذاب البرزخ ونيمة ، وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى : ( وَمِنْ وَرَأِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) وهذا البرزخ هو الموطن الأصلي لأرواح الموتي ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب أو النعيم ناله فيه نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، حتى لو أكلته السباع أو حرق حتى صار رمادا ، أو نسف في الهواء ، أو صلب ، أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب والنعيم ما يصل إلى أصحاب القبور .

ومن ظن غير هذا فقد أخطأ واستكثر على قدرة الله تعالى ما هو من مشمولاتها ، وقد ورد أن بعض الناس أوصى بنبيه أن يحرقوا جسمه ويذروا بعضه في الرياح ويلقوا البعض الآخر في البحر لينجو من العذاب ففعلوا ، فأمر الله سبحانه البحر والبر بجمع ما ألقى فيهما ثم قال له : قم ، فإذا هو قائم بين يدي الله تعالى فسأله : ما حلاك على ما فعلت ؟ فقال : خشيتك يا رب وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه ، ولو دفن الرجل الصالح في تابوت ملؤه النار لأصاب جسده وروحه من نعيم البرزخ نصيبه وحظه ، ولو علق الميت العاصي على رؤوس الأشجار لأصاب جسده وروحه من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، فجعل الله

لها من قبيل البدن ولا هي مشغولة بتدبير شؤونها ، إذ لا شأن له في هذه النشأة وإنما الشأن للأرواح وقواها العقلية الذاتية ، فهي التي تتلقى ما يتاح لها أولا وبالثبات على الوجه اللائق بالعالم الأسمى ، فما كان من الكيفيات والأحوال الروحية المحضة تلقته واختصت به بدون أن ترتبط بالبدن ، وما كان مشتركا بينها وبين البدن تلقته وتعلقت به نوعا من التعلق يكون سببا في وصول الأثر إليه ليأخذ حظه منه حسبما وردت به النصوص .

وبالجملة : فالعذاب والنعيم في البرزخ واقع على النفس والبدن جميعا ، كما هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، إلا أنه تارة تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ، وتارة تعذب وتنعم متصلة به والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحالة مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن .

وهناك أقوال أخرى لا يلتفت إليها ، ولا أظنك بعد هذا ترتاب في وصول النعيم واللذة أو العذاب والألم إلى البدن من طريق الروح مع تجردها عنه وعدم سريانها فيه ، فإن الشك في ذلك وقوف مع حجاب هذه الحالة الدنيوية المحسوسة ، وقد علمت أن حالة البرزخ نشأة أخرى ومثل ما بين النشأتين مثل ما بين المعقول والمحسوس .

وحالة النوم وعالم الخيال أكبر شاهد على ذلك ، ويزكيه ما تقدم في التعلقات السابقة من حوادث النوم المغناطيسي ، ومن تأمل قول الحكماء وأئمة الصوفية بتجرد الروح عن البدن حال الحياة وأن كل ما يصل إلى البدن واصل إلى الروح بواسطة تعاقبها به تعلق التدبير والتصرف كما أشرنا إليه لا يرتاب في

المواء على هذا ناراً وسموماً والنار على ذلك برّدا وسلاماً ، لأن عناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وصانمها يصرفها كيف شاء ، ولا يستعصى عليه منها شيء أرادته ، ولا شك أن العذاب والنعيم لا بد أن يقع على حيّ شاعر حياة وشعوراً لاثنين به وبموطنه الخاص .

والروح حية شاعزة بالذات كما تقدم ، والبدن سواء بقي مجتمعاً أو تفرقت أجزاؤه عند رد الروح إليه وتعلقها به يحيا حياة برزخية .  
ولسكون هذا التعلق من قبل الروح كما تقدم وليس للبدن ما يوجب تقييد النفس واشتباكها به أى اشتباك كانت الروح في حالة البرزخ مرسلّة تتردد على البدن وتتعلق به عند ما يؤذن لها تعلقاً أقوى وأكمل من التعلق الأول ، وما دام لم يؤذن لها في العودة إليه والتعلق به لا ترتبط به أحكام الروح وآثارها ولا يصل إليه من ذلك شيء .

وبالجملة فحركة الأرواح وسكونها في عالم البرزخ منوطة بإذن الله على لسان ملائكته ، وفي عالم الدنيا منوطة بالتكاليف الواردة في الشرائع على لسان الرسل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) .

### أعمال الأرواح في البرزخ

وَمَا تُنْعَمُ بِهِ أَوْ تُعَذَّبُ

وقد تواترت الروايات الصحيحة والرئي من أصناف بنى آدم على فعل الأرواح بعد موتها ، وأنها تقرأ القرآن ، وتصلي ، وتخبّر أرواح الأحياء عند لقاءها ، وتقضى حوائج الناس ، وأنها تقدر على ما لا تقدر على مثله حال

اتصالها بالبدن في الدنيا من هزيمة الجيوش الكثيرة بالعدد القليل متمثلة أو غير متمثلة .

وظاهر أن ذلك إنما هو لبعض الأرواح التي يؤذن لها في ذلك ، وأنها تنعم بالاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التي تلقتها من مشكاة أنوار النبوة والإرادات والهمم الزكية ، وأن الله ينشئ لها وللبدن من أعمالها نعيماً ينعمها به في البرزخ فيصير لها روضة من رياض الجنة ، وقد ينشئ لها من الفيض الإلهي مثل ذلك وفوقه ، كما أن الأرواح التي بضد ذلك تعذب بالاعتقادات السيئة الباطلة التي كانت حظها حال اتصالها بالبدن ، وبالإرادات والشهوات الدنية ويضاف إلى ذلك عذاب آخر ينشئه لها ولبدنها من الأعمال التي اشتركت معه فيها ، وهذه هي المعيشة الضنك ، وتلك هي المعيشة الراضية الهنية في البرزخ ، كما ورد « الْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفْرِ النَّارِ » فالناس يرون فيه مقاعدهم ومنازلهم من الجنة والنار ، وأجسامهم في البرزخ تنعم وتعذب بنعيم الأرواح وعذابها ، والدخول التام الكامل في مقاعدهم الخاصة ، ومنازلهم التي أعدت لهم إنما يكون يوم القيامة .

كل ذلك مروي عن الصادق المصدوق ، فلا وجه لاستبعاده بعد الورود ، ولا للشك فيه وقوفاً مع حجاب الحس والنظر الجلي ، فإن مدركات الحس بإزاء ما يدركه العقل وما يقف دونه كذرة في الوجود بأسره ، وقد جاء في أرواح الشهداء أنها تعلق<sup>(١)</sup> في شجر الجنة ، أى تأكل العُلقة وتنام الأكل والشرب

(١) كينصر ويسمع ، والعلقة بالضم : شجر يبق في الشتاء تعاق به الإبل حتى تدرك الربيع ، وتطلق على كل ما يتبلغ به من العيش .

واللبس والتمتع إنما يكون إذا رُدَّتْ إلى أجسادها يوم القيامة ، وهذا ليس خاصاً بالشهداء ، بل يعم كل مؤمن كما هو ظاهر حديث « نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ تَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ » والمؤمن عام يشمل الشهيد وغيره .

والآثار الواردة في الشهداء لاتدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين في الجنة ولا سيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع .

والحاصل أن القول المنصور الذي ينبغي التعميل عليه في مسألة عذاب القبر ونعيمه هو ما أشرنا إليه ، وهو أن المؤمن ينعم بروحه وبدنه في البرزخ ، والكافر يعذب بروحه وبدنه كذلك ، كما أن كليهما يستوفي تمام ذلك يوم القيامة إلا أنه إذ ذاك يصير الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً لا تبعية فيه لأحدهما على الآخر ، لأن كلا منهما روحاني محض ومنشأ نشأة قابلة لمباشرة أحكام هذا الموطن على وجه مستمر خالد .

ومن تأمل في هذه الأحكام والعبر ، وأجال فكره فيها جولة البصير ، وأعطى هذا الموضع حقه من العناية والفهم زال عنه كل شبهة ، وتبين له أن ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمته ، وكونه حفرة من حفر النار ، أو روضة من رياض الجنة ، مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه ، وضعف إدراكه .

وَكَمْ مِنْ غَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

## تعدد المعاد والبعث

وفي كتاب [ الروح ] لابن القيم أن الله تعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين ( لِيَجْزِيَ ) فيهما ( الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) وفي الحديث الصحيح « وَنُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ » فأثبت صلى الله عليه وسلم بعثاً أول ، وقد ذكر سبحانه وتعالى هاتين القيامتين في سورة المؤمنون وسورة الواقعة ، وسورة القيامة ، والفجر ، وغيرها من السور ، واقتضى عدله ، وأوجبت أسماؤه وكاله المقدس أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به ، ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه فالبرزخ أول دار الجزاء ، وعذابه ونعيمه أول عذاب الآخرة ونعيمها كما دل عليه القرآن والسنة الصحيحة دلالة صريحة ، ففي الحديث الشريف : « يُفْتَحُ لِلْمُؤْمِنِ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَنَعِيمِهَا ، وَالْفَاجِرُ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُوءِهَا » ومعلوم أن البدن يأخذ حظه من هذا الباب كما تأخذ الروح حظها ، ولا يكون ذلك إلا بإعادة الروح إلى البدن في البرزخ وتعلقها به وهو البعث الأول ، فإذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب إلى مقعده الذي هو داخله ، وهذان البابان يصل منهما إلى العبد في هذه الدار أثر خفي محجوب بالشواغل البدنية ، والغواشي الحسية ، والعوارض المادية . وقد يحس به كثير من الناس وإن لم يعرف سببه ، ولا يحسن التعبير عنه ، فإذا مات كان وصول ذلك الأثر إليه من ذينك البابين أكمل ، فإذا بعث يوم القيامة

كل وصول ذلك إليه ، فحكمة الرب سبحانه وتعالى منظمّة في ذلك أكل نظام في الدور الثلاث .

\* \* \*

إذا علمت هذه الأصول فليس من الممتنع أن تُردّ الزوح إلى الميت والمصلوب والفریق والمحرق ، ونحن لا نشعر به ، لأن ذلك الرد نوع آخر من التعلق غير التعلق المهود ، فهذا المعنى عليه ، والمسكوت ، والمبهوت ، أرواحهم متعلقة بأبدانهم ، وهم أحياء ولا نشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاءه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة غير نوع الألم واللذة الدنيوية ، ولا نحس به ، لأن النار التي في القبر والخضرة التي فيه ليستا من نار الدنيا ولا من زرعها ، وإنما هما من نار الآخرة وخضرتهما ، وهما أشد من نار الدنيا وخضرتهما ، وأن الله سبحانه وتعالى يحمي التراب والحجارة التي فوق الكافر وتحته حتى يكون أعظم حرباً من جمر الدنيا ، ومع ذلك لو مسّها أحد من أهل الدنيا لم يحس بها .

\* \* \*

وقد أوجد الله لنا في هذه الدار آية الكهر باء نوراً من الأنوار الثاقبة ، وروحا من الأرواح الفعالة السارية ، إذا تسلط تيارها على جسم كثيف أو شفاف لطيف نشأ عنها من الآثار الغريبة ، والأفعال العجيبة ما يبهّر عقول البشر ، ولا يحيط به إلا واهب القوى والقدر ، ومع ذلك قد لا نحس بها ، ولا بحركة ما هي فيه ، ولا نراه وهو بفاية القوة موجود محقق كما في تيار الأثير المتوسط بين قاعدتي التلغراف اللاسلكي وغيره من المخترعات الحديثة .

## أحكام الأرواح في عالم البرزخ

واعلم أن للأرواح في عالم البرزخ مع أبدانها نشأة أخرى غير هذه النشأة المحسوسة ، فقد ورد أن الروح قد تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت ردّ الله عليه روحه فتردّ عليه السلام وهي في الملاء الأعلى ، أو تحضر إلى القبر إما بذاتها أو بمثلها أسرع من البرق والضوء حسبما يؤذن لها .

وقد علمت أن الروح في عالمها ليست من جنس ما يعهد في عالم الأجسام إذا شغلت مكاناً لا يمكن أن تتصل بغيره على أي نحو من أنحاء الاتصال ، بل الروح تكون فوق السموات وتتصل بأبدانها في القبور وتردّ السلام وتسلم بالمسلم وتسمع كلامه ، ولا يحجبها حاجب في عالم الملك أو عالم الملكوت ، كما ورد بذلك صحيح الأخبار ، فيجب الإيمان به ومعناه ما علمت .

وإذا لم يتسع بطانك<sup>(١)</sup> لفهمه ، والإذعان به ، فهو أضيق من أن يتسع للإيمان بالنزول الإلهي إلى سماء الدنيا كل ليلة وهو على عرشه استوى ، بل هو القاهر فوق عباده وعلوه من لوازم ذاته ، وكذلك دُنُوهُ عشية عرفة من أهل الموقف ومجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه وإشراق الأرض بنوره ، ولكن التصديق بهذا له قلوب خلقت له وأهلت لمعرفته ( أَفَنُ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ) . ( وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ) .

(١) البطان ككتاب : حزام القتب .

(وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) . انظر [ كتاب الروح ] لابن القيم .

### المبحث السابع

في تعلق الروح بالبدن يوم بعث الأجساد

تقدم أن الروح بعد مفارقة البدن تبقى حية منعمة أو معذبة ، وأن البدن تابع لها في ذلك عند ردها إليه ، وأن إحياءه بتعلقها به في البرزخ هو البعث الأول والبعث الثاني يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى المحشر فالحساب فالجنة أو النار ، وبهذين البعثين جاءت آيات الكتاب والسنة ، واقتضى عدله وحكمته جعل معادى هذين البعثين دارى جزاء للمحسن والمسيء كما قال تعالى : ( لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ) ولكن توفية الجزاء وكاله إنما يكون يوم المعاد الثاني في دار القرار كما قال تعالى : ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) وهو اليوم العظيم الذى يقوم الناس فيه لرب العالمين .

ويوم القيامة قيل : من يوم تنفخ الأرواح في أجسادها إلى ما لا نهاية له ، وقيل : إلى دخول أهل الجنة في الجنة ودخول أهل النار في النار ، وهو أول يوم القرار المستمر الدائم الذى لا نهاية لنعيمه وعذابه .

وتعلق الروح بالبدن يوم بعث الأجساد يكون بالنفخ في الصور ويبقى مستمرا لا نهاية له ، وهو أقوى وأكمل من التعلقات الأخرى ، إذ هو تعلق

لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، وهو المشار إليه بقوله تعالى ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ )<sup>(١)</sup> وقوله تعالى : ( ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ )<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى : ( وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ )<sup>(٣)</sup> ، وعند ذلك يساقون إلى المحشر ، وهو الموضع الذى يقفون فيه من أرض المقدس المتبدلة التى لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم والجزاء فيه من نوع الجزاء الأول .

ولا فرق في المحشر بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك ، وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش والحشرات وسائر الهوام على ماذهب إليه جماعة وصححه النووي .

وذهب طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى وإليه مال الغزالي .  
والسقط<sup>(٤)</sup> الذى لم يتم له تسعة أشهر إن نزل قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التى لا روح فيها ، وإن ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجلال والطول .

وأول من تنشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم فهو أول من يبعث كما أنه أول داخل في الجنة .

والحشر عبارة عن سوق الناس جميعاً إلى الموقف ، وسوقهم من الموقف إلى

(٢) آية ٦٨ الزمر .

(٤) مثله الأول .

(١) آية ٥١ يس .

(٣) آية ٤١ ، ٤٢ ق .

الجنة أو النار هو الحشر الثاني ، وهذان الحشران في الآخرة ، وهناك حشر آخر في الدنيا ، وهو إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام المشار إليه بقوله تعالى (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) <sup>(١)</sup> وهم يهود بنى النضير الذين نقضوا صلحهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الجيش إليهم وكانوا بقرية خارج المدينة يقال لها زهرة ، فحاصروهم إحدى عشرة ليلة حتى طلبوا منه الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء ، فجلوا إلى أريحاء وأذرعات بالشام ، وكانوا من سبط لم يصيبهم جلاء قط ، وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام ، وهو أول حشرهم ، وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام ، وآخر حشرهم حشر يوم القيامة . قال ابن عباس رضى الله عنهما : من شك أن الحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الأول ، وسائر الناس الحشر الثاني ، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا « امضوا فانكم أول الحشر ونحن على الآخر » .

وروى أنه حين ينفخ إسرافيل في الصور يقف هو أو جبريل عليهما السلام على صخرة بيت المقدس وينادى بالحشر يقول : يا أيها العظام البالية ، والأوصال المتقطعة ، واللحوم المتفرقة ، والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن في فصل القضاء فتخرج الأرواح من الصور إلى أصحابها كما قال تعالى (يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) <sup>(٢)</sup> أى ذليلين خاضعين

من خشية الله تعالى ذاهبين إلى الحشر في سرعة متناهية (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) .

ونقل أبو عبد الله سيدى محمد عlish مفتى السادة المالكية في فتاويه ، أن الخلائق كلهم آدم وأولاده جميعا يقفون في الحشر ، ومعهم الجن والوحوش والأنعام والحشرات والهوام ، ويحيط بالجميع ملائكة السماء الأولى وهم قدرهم عشر مرات ، ثم يحيط بهم ملائكة السماء الثانية ، وهكذا إلى السابعة ، وملائكة كل سماء تزيد على ماتحتها عشر مرات وتتزاحم الخلائق ويتدافع بعضهم على بعض كما صرحت بذلك الأخبار . اهـ

ثم اختلف في البعث فقليل بإعادة المدوم في السكل ، أى أن الله يعدم السكل ولو لحظة واحدة في بعض الأبدان ثم يعيده ، وقيل : يجمع ما تفرق من الأجزاء كذلك ، وذهب بعض المحققين إلى أنه بإعادة ما انعدم بذاته من الأجزاء وتأليف ما تفرق منه .

### نشأة الآخرة غير نشأة الدنيا

وسواء كان البعث بإعادة المدوم أو يجمع ما تفرق من الأجزاء فالأجزاء الدنيوية لما لم تكن بحسب نشأتها الأولى مستعدة للبقاء الأبدى ولا للنعيم والعذاب الذى لا يقدر قدره ولا يكيّف أمره ، بل كان استعدادها للاضمحلال والفناء ، فإذا أعيدت في هذه النشأة الأخرى فلا بد أن يجعلها الله تعالى في نشأة مغايرة للأولى مستعدة للبقاء غير قابلة للفناء ، مهية لما تلقاه من النعيم البالغ أو العذاب



الذى لا يطيقه أصلب أجسام الدنيا كالحديد والفولاذ ، عكس هذه النشأة الدنيوية ، وتكون الأرواح فيها أقوالب الأبدان والأبدان من جنس أرواحها كما ذكره ابن القيم وغيره .

وأن جميع الإدراكات من سمع وبصر ولذة وألم لا تكون متفرقة في مواضع من البدن ، كما هي في نشأة الدنيا ، بل كل جزء منها سميع بصير متلذذ متألم كما تقضيه نشأته .

وقد ورد في أجسام أهل الجنة أنها شفافة لا ظلال لها وأنهم يتمتعون بكل أجزاءهم والله يقول في شأنهم ( وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ <sup>(١)</sup> ) ونزع غل الطبيعة وما فيها من الظلمة والكثافة والتنافر والتضاد ، كفاية عن إبداعها على الوجه المشروح إبداعاً لا ثقاً بهذا الموطن المستديم وقدرة الله لا يتعاضلها شيء كما قال ( وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٢)</sup> ) .

وقد أخرج ابن جرير عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى عجوز من بنى عامر فقال : من هذه العجوز يا عائشة ؟ فقالت : إحدى خلاتي ، فقالت : ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة ، فقال عليه الصلاة والسلام « إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجُزُ » فأخذ العجوز ما أخذها ، فقال صلى الله عليه وسلم « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ » وأحاديث « ضَرَسُ الْكَافِرِ فِي جَهَنَّمَ كَأُخْدٍ » وفي رواية : « يَمْلَأُ زَاوِيَةَ مِنْ زَوَايَا جَهَنَّمَ »

(١) آية ٤٧ الحجر .

(٢) آية ٦١ الواقعة .

ودخول أهل الجنة في طول ستين ذراعاً ، وغير ذلك من الأحاديث صريحة في تغاير النشأتين .

وبذلك يتضح ما ذكره بعض المحققين أن الموت والبعث ابتداء حركة الرجوع إلى الله تعالى والقرب منه لا العود إلى الخلقة المادية ، والجنث الكشيفية الظلمانية التي ليست صالحة للبقاء السرمدي في الآخرة ، وأنه إنما سعى يوم البعث يوم القيامة لأن فيه يقوم الروح مستغنياً عن هذا البدن الظلماني الكثيف ، قائماً بذاته وبذات أخرى مبتدعة ومنشأة ، والبدن الأخرى قائم بالروح بعكس ما في الدنيا حيث قام الروح بالبدن الطبيعي فيها ، والتكاليف الشرعية إنما وضعت تمهيداً لذلك ، فإن الغرض منها تكميل النفوس وتخليصها عن هذا العالم وإطلاقها عن أسر الشهوات وقيد الأمكنة والجهات حتى تكون لها السلاطة في تلك الدار ظاهرة وباطنة ، وهذا التكميل والتخليص لا يحصلان إلا بتبديل هذه النشأة الدائرة بالنشأة الباقية وهو موقوف على معرفتها والإيمان بها ، وأنها الغاية المقصودة من وجود الإنسان ، وما لم تفت هذه النشأة لا توجد تلك ، وسرمد البقاء الدنيوي غناء وشقاء .

ومن وجه آخر قد شبه الله سبحانه إعادة الموتى في النشأة الثانية بإحياء الأرض بعد موتها حيث قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَثَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ <sup>(١)</sup> ) ،

(١) آية ٥٧ الأعراف .

وقال : ( وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ <sup>(١)</sup> ) .

فجعل بعث الموتى من القبور ونفخ الأرواح فيهم وعودتهم إلى الحياة كإحياء الأرض الموت بالماء وازدهارها بالنبات وتحركها به ونضارتها بنخضرتها ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهو على كل شيء قدير ، فكيف يستبعد عاقل ؟ بل كيف ينكره بصير .

وبين جل شأنه أن النشأة الأولى في بني آدم كانت من ماء مهين متدرجة في بطون الأمهات في أطوار شتى خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ، وفي آدم عليه السلام كانت من تراب استحبال إلى طين لازب ، ثم إلى صلصال كالنفخار من حمأ مسنون ، ثم سواه الله تعالى بقدرته الباهرة وأعد له نفخ الروح فيه وبعث الحياة في جسده الإنساني حتى صار بشرا سويا ثم اجتباه إليه وصار نبيا .

وقد فصل هذه الأطوار في أبي البشر وذريته في كثير من الآيات ليعلم الحجة على منكري البعث كما يشير إليه قوله تعالى : ( وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ) بعد أن بين لهم بقوارع الحجج قدرته على البعث ، وأنه لا يعجزه من أمره شيء بقوله تعالى : ( وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ) من الأطوار والشؤون والصفات والأحوال .

كما بين تعالى أن النشأة الأخرى ليست كالنشأة الأولى ، بل هي نشأة إبداع من التراب لجميع من في القبور لا فرق بين آدم وذريته على غير المعهود في الأولى وأطوارها المتعاقبة المتدرجة . كما يشير إليه

قوله تعالى : ( وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا أُخْرَاجًا ) وقوله : ( مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ) وقوله تعالى : ( وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ) وقوله تعالى : ( إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدُنَّا مُحْضَرُونَ ) وقوله تعالى : ( فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَكْرُ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُمِطِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ ) .

ولا إخالك بعد هذا إلا على يقين من تغاير النشأتين وأن الأولى لم تكن للبقاء السرمدي ، وإنما كانت موطئة للنشأة الثانية السرمدية ، وأن ذلك يقتضي التغاير لا محالة .

\*\*\*

وأما قوله تعالى : ( كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ) وقوله تعالى : ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) فليس فيه دلالة على تماثل النشأتين في كل شؤونهما وإنما سيق دليلا على أن القادر على الخلق أولا قادر على الإعادة ، بل هي أهون عليه في مدارك العقول لأن من قدر على الأولى التي على غير مثال ودون حصول مواد فهو على النشأة الأخرى المسبوقه بالمثال والأجزاء أقدر وأقدر فكيف يكذب بالنشأة الأخرى من علم النشأة الأولى وعجائبها وأطوارها بالمشاهدة والتعريف . وظاهر أن تماثل النشأتين بالنسبة لقدرة الخالق جل شأنه لا يعني تماثلهما في الذات وسائر الشؤون ، فافهم ترشد .

## الكلام في أن المعاد هو المبدأ

أو مثله ونفى القول بالتناسخ

فعلم أن الذاتين نوعان تحت جنس يتفقان من وجه ويفترقان من وجه آخر ، وإلى الوجهين تشير آيات الكتاب ، ومن هنا قيل المعاد هو المبدأ تارة وقيل مثله تارة أخرى ، ولا يلزمه القول بالتناسخ الذى هو محال عند أهل الحق ، لأن ذلك لو لم يكن البدن المحشور مؤلفا من الأجزاء الأصلية للبدن الأول على الوجه المذكور ، وأما إذا كان مؤلفا منه فلا يستحيل إعادة الروح إليه ، وليس ذلك من التناسخ فى شيء ، وإن سمي مثل ذلك تناسخا كما قال المحقق الدوانى كان مجرد اصطلاح فإن الذى دلّ على استحالة الدليل هو تعلق نفس زيد ببدن آخر لا يكون مخلوقا من أجزاء بدنه الأصلية ، وأما تعلقه بالبدن المؤلف من أجزائه الأصلية نفسها ولو مع تشكّلها بشكل مخالف للشكل السابق فهو الذى نعينه بالحشر الجسماني ، وكون الشكل والاجتماع للشخص غير الشكل الأول والاجتماع السابق لا يقدح فى المقصود ، وهو حشر الأشخاص الإنسانية بأعيانها ، فإن زيدا مثلا شخص واحد محفوظ وحدته الشخصية من أول عمره إلى آخره بحسب العرف والشرع ، ولذلك يؤخذ شرعا وعرفا بعد التبدل بما لزمه قبله ، فكما لا يتوهم أن فى ذلك تناسخا لا ينبغي أن يتوهم فى هذه الصورة أيضا وإن كان الشكل الثانى مخالفا للشكل الأول كما ورد فى الحديث « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ » ، « وَإِنَّ ضِرْسَ الْكَافِرِ

مِثْلُ أُحْدٍ » ، « وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ جُرُذٌ مُرْدٌ مَكْحُولُونَ » .

والحاصل أنه لا يعنى بالحشر الجسماني إلا أن تجتمع الأجزاء الأصلية وتحلها الحياة وإن اختلف التركيب بالشخص ، فزيد هو زيد لغة وشرعا وعرفا ، وكيف يعد مثل ذلك تناسخا أو يوجب مغايرة بين المبدأ والمعاد .

وقد وقع الاتفاق على أنه فى كل عشر سنين يزول جميع أجزاء البدن التى كانت فى أول العمر ويحدث بدن آخر مع أن هذا لا يعد تناسخا بإجماع النافين للتناسخ ومثبتيه ولا يوجب التغاير \* هذا ما يؤخذ من الدوانى وغيره .

وفى كتاب [ الروح ] لابن القيم أن البدن فى هذه النشأة خلق خلقا أمرىّا على وجه شبهه بالروحانيات مجردا عن الامتزاج والتركيب من الأعضاء والأمشاج فلذا كان باقيا دائما لا يقبل الفساد والتغيير ، وفى النشأة الأولى خلق خلقا كونىّا تقلب فيه من طور إلى طور ومن حال أدون إلى حال أعلى ، والغرض من هذه التطورات والتحويلات ، إنما هو التقرب من المبدأ الفعال والكمال اللائق بحال الإنسان وذلك لا يوجد فى العالم الأدنى ، بل فى عالم الآخرة التى فيها الرجعى وفيها الغاية والنتهى .

فموضوع النشأة الأولى شبهه بالمادة للنشأة الثانية وفترة البرزخ إعداد لقبول صورتها ، وإن قلنا بالإعادة عن عدم فإن تجدد الأمثال مع ما بينها من التناسب والاشتراك فى مبدأ التدبير والتصرف لا ينافى شخصيتها ، ولا أن الأولى كموضوع للثانية .

## الفرق بين تعلق الروح بالبدن في الدنيا

وبين تعلقها به في النشأة الآخرة

ولما كان تعلق الروح في النشأة الأولى بالبدن المادى الكثيف المكوّن من الأخلاط الغليظة والطباع المتباينة القابلة للتغير والفساد ، كان تعلقا محدودا مقدر الآثار متناهى الأحكام حسبما تقتضيه حالة إطلاقه .

وحقيقة هذا التعلق وإن كانت مجهولة لنا جهلا ناشئا من جهة الروح إلا أن أحكامه وآثاره معروفة محسوسة نظرا لذلك القابل المحسوس والقالب الملموس ، والنفس لارتباطها به وصيغتها بصيغته واحتياجها إليه في اكتساب علومها ومعارفها وسائر أعمالها وتصرفاتها أصبحت كجزء منه سارية فيه مفتية بانتهائه ، فكما يفسد البدن بخروجه عن نظمه الطبيعى كذلك تفسد النفس بخروجها عن كونها البدنى ، وتخلص إلى تعلق روحانى ذى أحكام وآثار مبيّنة لتلك الأحكام والآثار التى نشاهدها في نشأة التعلق الأول .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل دور الأكوان ثلاثا : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، ولكل دار أحكاما تختص بها ، وركب الإنسان من بدن ونفس .

وأدار أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت النفوس خلافه .

وأدار أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتأملت بألمها ، والتذت براحتها ، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ، والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم ؛ فالأبدان في دار الدنيا ظاهرة ، والأرواح خفية في أبدانها ، والأرواح في البرزخ ظاهرة ، والأبدان خفية في قبورها ، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيمًا وعذابا كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيمًا وعذابا .

وفي الدار الآخرة أدار أحكامها على الأرواح والأبدان معا لأن الأبدان من جنس الأرواح ولهذا المجانسة كانت الصلة بين الأرواح وأبدانها في دار القرار أتم وأكمل منها في دارى الدنيا والبرزخ .

وقد علمت أن نور الحياة وإشراقها عند رد الروح إلى البدن وتعلقها به في نشأة البرزخ أتم وأكمل منهما في النشأة الأولى ، وإن كان أثر هذا محسوسا وذاك غير محسوس ، فإن الإحساس بالشئ غير وجوده وكأله ، وقد نصوا على أن وجود الأرواح في أنفسها أقوى وأكمل من وجود الأشباح وأن آثارها أبهر وأتم من آثارها ، ومع ذلك هذه ترى وتحس وتلك ليست كذلك ، وهاهؤذا وجود الله تعالى الذى هو أتم وأكمل من كل وجود ، بل هو مصدر سائر الوجودات لا يرى في هذه الدار ولا يحس وتلك مع ضعفها وإمكان وجودها محسوسة مشهودة .

## رؤية الله في الآخرة

بعميون أخرى غير العميون الدنيوية

وكذلك في دار الآخرة لا يرى جل شأنه ولا يحس إلا بعميون مخلوقة له وبحسب لا نطق باستعداد الرائي كما نقله الألوسي عن بعض المحققين في تفسير قوله تعالى (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ<sup>(١)</sup>) فإذا رفع الحجاب بينه تعالى وبينهم ينظرون إليه وينظر إليهم عز وجل ، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية فيرونه سبحانه ، لكن لا من حيث ذاته البحت ، ولا من حيث كل تجلٍ حتى تجليه بنوره الشعاعي الذي لا يطاق ، بل بتجلٍ مطابق لهم وملائم لاستعدادهم وهذا الحجاب على ما قال السادة الأول من قبلهم لا من قبله وأنشدوا :

وَكُنَّا حَسِبْنَا أَنَّ لَيْلَى تَبَرَّقَعَتْ وَأَنَّ حِجَابًا دُونَهَا يَمْنَعُ اللَّهَنَا  
فَلَا حَتَّ فَلَا وَاللَّهِ مَا نَمَّ حَاجِبٌ سِوَى أَنْ طَرَفِي كَانَ عَنْ حُسْنِهَا أَعْمَى  
وهذا الحجاب غير الحجاب المشار إليه في حديث : « حِجَابُهُ النُّورُ  
لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَذْرَكَهُ بَصَرُهُ » وحديث :  
« إِنَّ لِلَّهِ دُونَ الْعَرْشِ سَبْعِينَ حِجَابًا لَوْ دَنَوْنَا مِنْ أَحَدِهَا لَأَخْرَقَتْنَا سُبُحَاتُ  
وَجْهِ رَبِّنَا » .

وفي اللسان : وسبحات وجه الله أنواره وجلاله وعظمته التي تحجب العباد عنه ، ولو انكشف شيء منها لأحرق كل من وقع عليه ذلك النور كما خر

(١) آية ٢٢ - ٢٣ القيامة .

موسى على نبينا وعليه السلام صمغاً وتقطع الجبل دكا لما تجلى له الله سبحانه وتعالى في هذا النحو من التجلي ، فالحجاب المطلوب رفعه حجاب الخلق كما أن الحجاب المستور عنهم حجاب الخصاص ، وهو حجاب السُّبُحات والنور ، والحجاب المطلوب بقاؤه لئلا يمكن رؤية ذاته تعالى في عَرَصات القيامة ، والجنسة حجاب التنزل والتجلى المطاق لهم ، بل هو المرئ للخلق بالذات دون بحت الذات ، إذ لا معنى لرؤية ذاته تعالى عند المحققين إلا رؤية حجابيه ، كما أنه لا معنى لرؤية ذواتنا إلا رؤية ألوانها وأضوائها فهو للذات العلية بمنزلة حجاب الألوان والأضواء في الحوادث . لا تبصر إلا بها ورؤيتها رؤية موضوعاتها .

## المطلب الثالث

في معنى الحياة والموت

وفيه مباحث :

### المبحث الأول

فيما يطلق عليه اسم الحياة

اعلم أن اسم الحياة جاء لعدة معان كلها ترجع إلى صفة في الحى ، تمثل معنى ظهوره وكال وجوده وتستتبع من الآثار في كل نوع ما يليق بمرتبة وجوده :  
لحياة الأرض المشار إليها بقوله تعالى (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْبَرَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) وبقوله جل شأنه :

( فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ) تمثل معنى ظهورها وكال وجودها وتستتبع من الآثار ما يليق بها .

وكذلك حياة النبات والحيوان والإنسان .

وحياة كل نوع من تلك الأنواع تغاير حياة النوع الآخر منها ، حياة الأرض غير حياة النبات والحيوان ، وحياة النبات غير حياة الحيوان ، وحياة الحيوان غير حياة الإنسان ، وحياة كل صنف من أصنافها مغايرة لحياة الصنف الآخر ، وحياة المادى السكثيف غير حياة الروحانى اللطيف ، وحياة الدنيا غير حياة البرزخ ، وحياة البرزخ غير حياة الآخرة ، بل وحياة أفراد النوع الواحد قد تكون متغايرة لأسباب طارئة كحياة الصحة فإنها غير حياة المرض ، وحياة الأمن غير حياة الخوف ، وحياة الشجاعة غير حياة الجبن ، وحياة الفرح غير حياة الحزن ، وحياة الجوع غير حياة الشبع ، وحياة الإغماء أو السكر غير حياة الإفاقة ، وحياة النوم غير حياة اليقظة غيرية تستتبع في تفاوتها وتفاصيل آثارها تنوع العوالم واختلاف القوابل ومؤثراتها المتفاوتة .

ومع ذلك لحقيقة الحياة كحقيقة الروح من الأسرار الخفية التى تمثل للعقول بالرسوم والآثار ، شأن الحقائق الغامضة ، يعبر عنها تارة بأسبابها ، وتارة بنعوتها وآثارها ، ولذا اختلف التعبير عنها ، ولكل قوم لهجة فى بيانها : فاللغوى يطلقها ويريد منها تارة ما قبل الموت كما قال تعالى : ( خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ) وتارة يعنى بها الرزق كما يقال : أحيا الأمير الجند : أى رزقهم ، وأحيا الطائر فرخه رزقه : أى حمل إليه ما ينتفع به

من الغذاء ، وقوله تعالى ( فَلَمْ نُحْيِيْنَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ) أى نرزقه رزقا حلالا ، والحى من النبات ما كان طريا يهتز ، والحى المسلم ، ومنه قوله تعالى ( وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ) والحى الشهيد كما قال تعالى ( وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) وأرض حية مخصبة كما ورد « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ » وأحييت النار نفخت فيها حتى تحيا إلى غير ذلك مما جاء فى موارد اللغة والسنة والكتاب .

ونقل الآلوسى عن بعض المتكلمين أن الحى فى أصل اللغة كل شىء كان كاملا فى جنسه ؛ ألا يرى أن عمارة الأرض الخربة تسمى إحياء الموات ، والصفة المسماة فى عرف المتكلمين حياة إنما سميت بها لأن كمال الجسم أن يكون موصوفاً بها فلا جرم سميت تلك الصفة حياة ، وكمال حال الأشجار أن تكون مورقة خضرة فلا جرم سميت هذه الحال حياة .

فالفهم الأصلى من الحى كونه واقعا على أكل أحواله وصفاته وذلك لا يتم فى الله إلا أن يكون كاملا على الإطلاق ، والكمال كذلك لا يكون قابلا للعدم لا فى ذاته ولا فى صفاته الحقيقية أو السابية أو الإضافية اهـ .

والمراد الإضافية التى يوجب سلبها عنه نقصا فى حقه تعالى . فصفة الحياة على هذا المعنى فى حقه تعالى تساوق وجوب الوجود .

والتكلم يعبر عنها فى الحادث بالصفة الوجودية القائمة بالذات المستتعبة للحس ، والحركة ، أو المصححة لمن قامت به العلم ، وفى الله صفة وجودية حقيقية قائمة بذاته لا يدرك كنهها ، ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه .

والطبيعى يطلقها تارة على القوة التابعة للاعتدال النوعى التى تُفيض عنها سائر القوى الحيوانية ، وتارة يطلقها على قوة التغذية ، أو قوة الحس ، أو قوة تقتضى الحس والحركة ، وتقدم عن الحرث بن أسد المحاسبي أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية ، وأن العقل للنفس بمنزلة الحياة للجسم ، فيقال : نفس حية : أى ذات حياة ، أى غريزة بها يتهيأ الإنسان لإدراك العلوم النظرية .

والحكمة يطلقون اسم الحياة على حياة التغذية والتنمية والتوليد ، ثم حياة الحس والحركة ، ثم حياة العلم والتمييز ، ثم حياة الصورة السكالية التى هى النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس الإنسانية ، وبهذا المعنى الأخير يعرفونها كما يعرفون النفس بأنها كمال أول لجسم طبيعى إلى آخر ما تقدم <sup>(١)</sup> .

كل هذه المعانى يطلق عليها اسم الحياة إما حقيقة أو على ضرب من التأويل . والمعنى المبحوث عنه هنا هو الحياة التابعة لتعلق الروح الإنسانى بالبدن وأجزائه ، وهى المعبر عنها فى تعريف النفس بالضوء المنتشر فى قول الإمام الرازى وغيره ، والنفس عبارة عن جوهر مشرق روحانى إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الأعضاء ، فذلك الضوء المنتشر هو الحياة الإنسانية ، فالحياة أثر فائض عن تعلق الروح بالبدن منتشر فى سائر أعضائه انتشار ضوء الشمس فى الهواء والأرض والماء . فالنفس كالشمس ، والحياة كالنور الفائض عنها ، فكما أن كل جسم وصل إليه نور الشمس تحول من الظلمة إلى الضوء ، فكذلك كل عضو يصل إليه نور الروح يتحول من الجادية إلى الحياة .

فى النشأة الأولى إذا تسكون البدن وتم استعداداه وهو المراد بقوله تعالى : ( فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ) أنفذ الله فيه الروح الإلهى داخل أعضائه نفاذ النار فى الفحم والماء فى الورد فأحياء بعد موته وذلك قوله تعالى ( وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ) فإن النفخ عبارة عن اشتعال نور الروح فى الجسم بعد تسويته باستعداداه كما تقدم وذلك النور المنتشر فى سائر الأعضاء هو الحياة الإنسانية .

وفى النشأة الثانية : إذا أذن الله للروح أن تعود إلى بدنها بعد إمساكها عادت إليه واتصلت به فأشرق ضوءها على كل جزء منه ، وذلك الضوء المتصل بأجزاء البدن هو الحياة البرزخية .

وفى النشأة الثالثة : يوم يبعث الله الخلائق من قبورهم ويُنفخ فى الصور تتعلق كل روح بصاحبها تعلقاً سرمدياً لا ينفد ولا يبيد فيشرق ضوءها على أبدانها الروحية إشراقاً أتم وأكمل من الإشراق الأول ، وهذا الضوء الباهر هو الحياة الأخرى .

وقد يطلق اسم الروح على نفس هذا النور كما تطلق الشمس على الضوء التابع لها . وإذا كملت الروح وتغلّبت أحكامها على أحكام البدن قوى تعلقها به وكل ما يتبعها من الحياة وأنواع التصرفات قوة يخرج بها البدن عن حدّ الطبيعة ويصير روحانياً محضاً لا يمنع من الدخول فى المضائق فقد المسام ، ولا يدفعه عن الوصول إلى الحقائق بُعد المقام .

## حياة الجماد وما وقع فيها من الخلاف

واختلف في نوع الجماد ، هل له حياة خاصة تستتبع نوعا من الشعور بما يصدر عنه لا ثقابه ؟ قيل : لا ، وكل ما ورد في آي القرآن مسنداً إلى الجماد ، بل وإلى النبات والحيوان الأعجم من التسبيح والتحميد والسجود والركوع والنطق والشهادة والخشية وغير ذلك ، مما لا يصدر إلا عن عاقل عالم ، فعلى ضرب من التأويل والتجوز . وقيل : نعم فقد نقل الآلوسی عن بعض المحققين في تفسير قوله تعالى (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ<sup>(١)</sup>) أن لكل شيء حياة وعلم لا ثقلين به ، ولا يطلع على حقيقة ذلك إلا اللطيف الخبير . فكل مافي العالم حي عالم ، لسكنه متفاوت المراتب في العلم والحياة .

ونقل الشعراني عن شيخه الخواص أنه قال : كل جماد يفهم الخطاب ويتألم كما يتألم الحيوان .

وقال الشيخ الأكبر قدس سره : إن المسمى بالجماد والنبات له عندنا أرواح بطّنت عن إدراك غير أهل الكشف إياها في العادة ، فالكل عندنا حي ناطق غير أن هذا المزاج الخاص يسمى إنساناً لا غير بالصورة ، ووقع التفاضل بين الخلائق في المزاج والكل يسبح الله تعالى كما نطقت به الآية (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ) ولا يسبح إلا حي عاقل عالم عارف بمسبحه ، وقد ورد أن المؤذن يشهد له مدى صوته كل شيء من رطب ويابس ، والشرائع والنبوات

(١) آية ٤٤ الإسراء .

مشحونة بما هو من هذا القبيل ، ونحن زدنا مع الإيمان بالأخبار الكشف إلى آخر ما قال .

واستأنس له بعضهم في هذا المقام بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه للحمى « يَا أُمَّ مِلْدَمَ إِنْ كُنْتُ آمَنْتُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَأْكُلِي اللَّحْمَ وَلَا تَشْرَبِي الدَّمَ وَلَا تَفُورِي فِي النَّفَمِ وَانْقِلِي إِلَى مَنْ بَرَعُمُ أَنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَهَةٌ أُخْرَى ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » .

وروى عن عمر رضي الله عنه أنه ضرب الأرض بالدرة حين تزلزلات وقال لها إني أعدل من عليك ، وغير ذلك من الأخبار .

وظاهر أنه لا أحد يقول : إن شعور الجمادات كشعور الحيوانات أو حياتها كحياتها الظاهرة بحيث يدركها كل أحد حتى يكون العمل بظاهر هذه الأخبار خلاف حس العقلاء فيجب ارتكاب التأويل والتجوز ، بل هو نوع من الحياة والشعور لائق باستعداد قابله .

ومن علم عظم قدرة الله تعالى وأنه سبحانه لا يعجزه شيء ، وأن المخلوقين على اختلاف مراتبهم لاسيما المنغمسين في أحوال العلائق والعوائق الدنيوية والمسجونين في سجين الطبيعة الدنية لم يقفوا على عشر العشر مما أودع في عالم الإمكان ، ونقش بيد الحكمة على برود الأعيان - سلم ما جاء به الصادق عليه الصلاة والسلام ، وإن خالف ما عنده نسب القصور إلى نفسه ، فرب فكر يظنه المرء حقاً وهو من الأوهام ، كما لا يخفى على من أنصف ولم يتمسف .



وقد تقرر في الأصول أنه يجب العمل بالظواهر المتضاربة ، ولا تصرف عن ظواهرها إلا لقاطع ، ويؤيده ما ذكره ابن القيم في كتاب [ الروح ] حيث قال : وقد جعل الله في الجمادات نوعا من الشعور والإدراك تسبح به ربها وتسقط الحجارة من خشيتها ، وتسجد له الجبال والشجر ، ويسبحه الحصى والماء والنبات ، قال تعالى ( وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ<sup>(١)</sup> ) وليس التسبيح هو مجرد دلالتها على الصانع كما قيل ، لأنه لو كان كذلك لم يقل « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » فإن كل عاقل يفقه دلالتها على الصانع ، وقال تعالى ( إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ<sup>(٢)</sup> ) والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين ، وقال تعالى : ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ<sup>(٣)</sup> ) . والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس ، وقد كان بعض الصحابة يسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وسمعا حنين الجذع اليابس في المسجد . - هذا -

وإذا كانت هذه الأجساد فيها الإحساس والشعور فالأجسام التي فيها الروح والحياة أولى بذلك ، بل أولى ثم أولى ، لأن الروح التي هي السبب في إفاضة نور الحياة والحس والحركة ترد إلى أبدانها وتعلق بها نوعا من التعلق أقوى وأكمل

(١) آية ٤٤ الإسراء .

(٢) آية ١٨ ص ٣ .

(٣) آية ١٨ الحج .

من التعلق الأول ، فلا جرم تكون الحياة التابعة لهذا التعلق أتم وأقوى شعورا من الحياة الأولى وإن لم نحس بها في هذه النشأة .

ثم روح الجاد مغايرة لروح الإنسان مغايرة كلية ، لأن هذه جوهر منزل من عالم الأسماء ، وتلك عرض متقوم بغيره من عالم الخلق ، فلا تنافي بين ما تقدم من اختصاص النفس الناطقة بنوع الإنسان وبين ثبوت روح للجاد .

إعادة الله الحياة للأبدان بعد موتها في عالم الدنيا

وفي كتاب [ الروح ] لابن القيم ، وقد أشهد الله عباده في هذه الدار إعادة الحياة الكاملة إلى بدن قد فارقت الروح ، فتكلم ومشي وأكل وشرب وتزوج وولد له « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ<sup>(١)</sup> » وهم قوم من بنى إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم فهربوا منه فأماتهم الله ، ثم أحياهم بدعاء نبيهم حزقييل عليه السلام فعاشوا دهرا ، ( أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ؟ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طُعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ<sup>(٢)</sup> ) والذي مر على هذه القرية هو العزيز بن شرحيا كما أخرجه الحاكم :

(١) آية ٢٤٣ البقرة .

(٢) آية ٢٥٩ البقرة .

مرّ على بيت المقدس وهو متخرب ، وكان راكباً على حمار ومعه سُلّة تين وقدحٌ عصير ، فقال : استعظماً لقدرة الله تعالى أنّى يحى هذه الله بعد موتها ، وكالذين قالوا لموسى ( لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ) وهم الذين خرجوا مع موسى ليعتذروا إلى الله من عبادة العجل ، فقالوا : ( لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ) ثم أحيام الله بعد موتهم لعلهم يشكرون ، وكأصحاب الكهف ، وكقصة إبراهيم عليه السلام فى الطيور الأربعة .

فإذا أعاد الله الحياة التامة إلى هذه الأجساد بعد ما بردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يعيد إليها بعد موتها حياة برزخية غير مستقرة وغير هذه الحياة يقضى بها أمره فيها ويستنطقها بها ويعذبها وينعمها بأعمالها ، وهل إنكار ذلك إلا مجرد تكذيب أه بزيادة وإيضاح .

### المبحث الثانى

#### فى معنى الموت

قد علمت معنى الحياة المبحوث عنها ، وأنها تكون دنيوية وبرزخية وأخروية والموت يقابلها فيما عدا الأخير .

وقد اختلفت عباراتهم فى بيان معنى الموت « فمنهم » من رسمه بأنه وصف وجودى يضاد الحياة « ومنهم » من رسمه بعدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً « ومنهم » من عرفه بفساد بنية الحياة وتعطل القوى والآلات البدنية تعطلا

كلياً ، أو انطفاء الحرارة الغريزية ، أو خروج الروح من البدن ومفارقة إياه كلياً إلى غير ذلك من العبارات التى تنبىء عن مفهومه ولوازمه .

وكلها تستلزم انقطاع التعلق الذى كان بين الروح والبدن ، وبطلان الحياة التابعة له كما قال تعالى ( اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) وإمساكه سبحانه التى قضى عليها الموت وبطلان الحياة التابعة له لا ينافى ردّ الروح إلى جسد الميت ردّاً يوجب له نوعاً من الحياة غير الحياة المهدودة ، فيكون حياً بحياة روحية برزخية ، ميتاً ببطلان حياته المحسوسة المادية الدنيوية .

وتقدم أن موت النفوس المشار إليه بهذه الآية وآية ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) ونحوها معناه مفارقة أجسادها وخروجها عنها لا أنها تعدم وتضمحل كما تعدم الأبدان ، وفى الحقيقة تفسير موت النفوس بالمفارقة المذكورة تفسير باللازم ، وإلا فموت النفوس كما يشير إليه كلام ابن القيم وغيره هو فساد وجودها الجسمانى وخروجها عن كونها البدنى وتخلصها إلى تعلق روحانى ، فإن النفس لها فى ذاتها كون ذاتى روحانى ، وحين تعلقها بالبدن وارتباطها به وصيغتها بصيغته حتى تصير كجزء منه لها كون عرضى مادى ، فكما أن موت البدن فسادُهُ بخروجه عن نظمه الطبيعى وتأليفه البدنى ، كذلك موت النفس فسادها بخروجها عن كونها البدنى وتخلصها إلى تعلق روحانى ذى أحكام وآثار مبيّنة للأحكام والآثار التى تشاهد فى نشأة التعلق الدنيوى ، وباعتبار هذا الوجود الروحانى تبقى حية عالمة حتى تردّ إلى جسمها للنعم أو العذاب ، وتعلق به تعلقاً يستتبع نوعاً من الحياة غير الحياة المعروفة ، كما دلت عليه الفصوص الصريحة .

وقد نصوا على أن البنية ليست شرطاً عند أهل السنة في قيام صفة الحياة وما يتبعها بمحالها كما يدل عليه قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟) قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ؟ قَالَ بَلَىٰ! وَلَكِنْ لِيَبْطِئَنَّ قَلْبِي، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِنَّكَ لَمُؤْتٍ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا، ثُمَّ أَذْهَبْنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَفِيًّا) جعل الله سبحانه وتعالى كل واحد من تلك الأجزاء والأعضاء حياً قادراً على السعي والحركة، وإذا كان هذا في الحياة الدنيوية وما يتبعها من الحس والحركة فما بالك بالحياة البرزخية؟ لا ريب أنها كما تقوم بالأجزاء مجتمعة تقوم بها متفرقة، وما أظن أحداً من أهل السنة، بل ولا من غيرهم يقول باشتراط البنية في هذه الحياة البرزخية التي لا شعور لنا بها.

### المبحث الثالث

في أن حياة البرزخ حقيقية

وإن كنا لا نحس بها

وجمهور السلف على أن هذه الحياة حياة حقيقية كما شرحناه وأنها للروح والجسد وإن كنا لا ندرکها في هذه النشأة، وعن صرح بهذا القول ابن عباس وقتادة ومجاهد والحسن وعمر بن عبيد وواصل بن عطاء والجبائي والروماني، وجماعة من المفسرين، لكنهم اختلفوا في المراد بالجسد بالنسبة إلى حياة الشهداء فقيل: هو هذا الجسد الذي هدمت بنيته بالقتل ولا يعجز الله تعالى أن يحل به حياة تكون سبب الحس والإدراك وإن كنا نراه رمة مطروحة على الأرض،

لا يتصرف، ولا يرى فيه شيء من علامات الإحياء، فقد جاء في الحديث: «أَنَّ الْمَيِّتَ الْمُؤْمِنَ يُفْسَحُ لَهُ مَدَدٌ بَصَرُهُ» ويقال له: «نَحْمُ نَوْمَةَ الْعَرُوسِ» مع أننا لا نشاهد ذلك، إذ البرزخ شيء آخر بمعزل عن أذهاننا وإدراكنا، وقد جعل الله أمر الآخرة وما كان متصلاً بها غيباً، وحجبه عن إدراك المكلفين في هذه الدار كما قال تعالى (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحَ (الْحُلُقُومَ) وَأَنْتُمْ حِينَتٌ تَنْظُرُونَ - وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) وقد ورد صحيحاً أن الملك يمد يده إلى الروح ويقبضها ويحاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعون، ثم تخرج فيخرج لها نور كشعاع الشمس، ورائحة أطيب من ريح المسك، والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمون، ثم تصعد بها الملائكة، ثم تأتى فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول: قدموني قدموني أو إلى أين تذهبون بي؟ ولا يسمع الناس ذلك، وإذا وضع في لحدّه وسوّى عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة من الوصول إليه، بل لو نقر له حجر فأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه، فإن هذه الأجسام الكثيفة لا تمنع خرق الأرواح لها، بل الجن لا يمنعها ذلك، فقد جعل الله الحجارة والتراب للملائكة والروحانيات بمنزلة الهواء اللطيف، واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات، وللبدن بالتبع فيكون البدن في لحد أضيق من ذراع وقد فسخ له مد بصره تبعاً لروحه.

وبالجملة: فالشؤون البرزخية وأحوالها مغايرة للشؤون الدنيوية مرة واحدة، فقياسها عليها إن لم يكن تقريباً لتدريب العقول قياس فاسد وتمثيل عاطل، وحينئذ لا مانع من قيام حياة الشهداء بأبدانهم المقتولة.

وقيل : إنها تقوم بجسد آخر على صورة الطير أو على صورة أبدانهم في الدنيا تتعلق به أرواحهم ، وإن شئت قلت تتمثل أرواحهم في هذه الصور ، لأن الأرواح في غابة اللطافة وفيها قوة التجسد والتشكل كما يشعر به ظهور الروح الأمين عليه السلام في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه ، وبهذا يجمع بين الأحاديث الواردة في أرواح الشهداء وحياتهم وسيأتي له مزيد .

### الكلام في شهداء الحرب ومن ألحق بهم

وفي شرح الشيخ عبد السلام اللقاني على جوهرة والده عند قوله :

وَصِفْ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ وَرِزْقُهُ مِنْ مُسْتَهْطِ الْجَنَّاتِ

مانصه : أى أعتقد وجوب اتصاف هيكلكم شهيد الحرب بالحياة الكاملة لقوله تعالى ( وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ) وأن حياتهم حقيقة لظاهر الآية ، وأنهم يرزقون كما يشتهون كما ترزق الأحياء بالأكل والشرب واللباس وغيرها ، وشهيد الحرب هو المؤمن المقتول في حرب الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى بدون مقارفة سبب مؤثم ، ومثله كل مقتول على الحق ، كالمجروح في قتل البغاة ، وقطاع الطريق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهو لاء كلهم أحياء حياة حقيقية كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام اه .

لحياة شهيد الحرب ومن ألحق به وهو شهيد الآخرة كالمطعون ، والمبطون ، والمؤذن احتساباً ، والعالم العامل بعلمه ، وحافظ القرآن الملازم لتلاوته العامل

بأحكامه ، ونحوهم ممن نص الشارع على إلحاقهم بشهيد الحرب في الثواب حياة حقيقية قائمة بأبدانهم وإن كانت متفاوتة فإنها في الملحق دونها في الملحق به .

وشهيد الآخرة لا تجرى عليه أحكام شهيد الحرب في الدنيا ، فإنه يغسل ويكفن بأركان الموتى ويصلى عليه بخلاف شهيد الحرب ، فإنه لا يغسل ولا يصلى عليه<sup>(١)</sup> ويكفن في ثيابه لقوله صلى الله عليه وسلم : « زَمَلُوهُمْ بِثِيَابِهِمْ ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمِسْكِ » أى لقوم بثيابهم كان الدم في الجسد أو في الثوب ، فلاجل ذلك لا يغسل ولا يكفن بالبياض ، وقيل لمالك أبلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة ؟ قال : لا ولا أنه صلى على أحد من الشهداء .

وحاصل ما في المقام أنهم اتفقوا على أن حياة الأنبياء عليهم السلام حياة حقيقية قائمة بأبدانهم الأصلية ، وأنها أتم وأكمل من حياة الشهداء . واختلفوا في حياة غيرهم من الشهداء ومن ألحق بهم ممن ورد في حقهم أنهم أحياء ، هل حياتهم قائمة بأبدانهم الأصلية أو بأبدان أخرى ؟ والحق أن حياتهم حقيقة وأنها قائمة بأبدانهم ، وكون أرواح الشهداء أو غيرهم في حواصل طيور خضر ، أو في أمثال روحانية على صورة أبدانهم لا يمنع قيام الحياة بأبدانهم لاتصال أرواحهم بها مع كون مقرها تلك الحواصل أو الأمثال ، فإن هذه الحواصل والأمثال ، كسيب الروح لا تمنع من اتصالها بالبدن الأصلي .

(١) اختلف في الصلاة على الشهيد ، فذهب أبو حنيفة وأصحابه والثوري والمزني والحسن إلى أنه يصلى عليه ، وذهب المدنيون والشافعي وأحمد إلى أنه لا يصلى عليه ، وقال في متني الأخبار : وقد رويت الصلاة بأسانيد لم تثبت اه .

بل قيل : وليس ببعيد إن جميع البوتى لا فرق بين شهيد وغيره أحياء لاتصال أرواحهم بأبدانهم الأصلية نوعاً من الاتصال يوجب لأبدانهم هذه الحياة الغيبية البرزخية ، وإن كانت تلك الحياة متفاوتة ، ففي الأنبياء أتم منها في الشهداء ، وفي الشهداء أتم منها في غيرهم على تفاوت في ذلك الغير ، والانقطاع الكلى الذى حصل بالموت إنما هو انقطاعها عن البدن برفع التعلق الذى كان اقتضاؤه من قبيل الروح والبدن جميعاً ، والتعلق البرزخى إنما هو من قبيل الروح فقط وليس للبدن فيه اقتضاء ، فيجوز أن ينقطع كلياً ثم يعود من قبيل الروح ، فيكون البدن حياً بعودته ، ولا يكون حياً عند عدمها ، ويجوز أن ينقطع جزئياً مع نوع اتصال بالبدن ، فيكون البدن بهذا الاتصال الجزئى حياً حياةً برزخيةً دون حياته عند عودة الروح إليه لاستيفاء الجزء الأول ، كاتصال الروح بالبدن حال النوم الذى تتوفى فيه الروح فتفارق البدن مفارقة جزئية مع كونها متصلة به اتصالاً يحفظ عليه حياته الحسية .

### الحياة البرزخية ليست ثابتة مستقرة في كل بدن

وعلى هذا فالحياة البرزخية التى يقتضيها الجزء نعيماً وعذاباً ليست ثابتة مستقرة لكل بدن ، بل قد وقد حسبما يأذن الله تعالى برّد الروح إلى البدن طبقاً لما فى علمه القديم الذى لا اطلاع لنا عليه ، إلا من طريق الوحي على لسان من لا ينطق عن الهوى .

وهذا فى غير الأنبياء والشهداء ، أما حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

فثابتة مستقرة باتفاق ، وقد جاء فى الحديث « أَنْبِيَاءُ اللَّهِ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَكُنْ يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ »<sup>(١)</sup>

وذكر الآلوسى عن بعض مشايخه أن الموت ليس بعدم محض بالنسبة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإنهم موجودون أحياء وإن لم نرهم ، وأنه إذا نفخ نفخة الصعق صُعِقَ كل من فى السماء والأرض وَصَفَعَتْهُ غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ مَوْتٌ وَصَعَقَتَهُمْ غَشَى ، فإذا كانت نفخة الصور عاش من مات وأفاق من غَشَى عليه ، ولذا وقع فى الصحيحين « فَأَنَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيَّقُ » اهـ .

وهذا لا ينافى أن الأنبياء يموتون وتنزع أرواحهم من أبدانهم فى الدنيا كما تنزع الأرواح من أبدان غيرهم ، وإنما الذى اختصوا به مع حفظ أجسامهم عن التفرق والبلى كما ورد أن الأرض لا تأكل أجسادهم - أن أرواحهم مع كونها فى عليين متصلة بأبدانهم دائماً بحيث لا ينقطع شعاعها عنها ولا تفارقها الحياة المستمدة من أنوار أرواحهم الباقية الساطعة ، فحياتهم البرزخية وسطاً بين حياتين ، ونوراً جامعاً بين طرفين ، وسراً من أسرار الكون ، يحمل أعباء نبوتهم الدائرة حول مركز نبوة خاتم الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

وقد علمت أن أرواحهم مغايرة لسائر الأرواح وأن لها من المواهب اللدنية ، والنعوت الذاتية والقوى للملكية والبشرية ما ليس لغيرها من الأرواح ، وبقدر ما لها من تلك المواهب والقوى يكون إشراقها على أبدانها ، وإفاضة أنوار

(١) ولذا قال صلى الله عليه وسلم وهو محتضر « اللهم الرفيق الأعلى » .

الحياة وآثارها ، ولتجردها في البرزخ يكون أمر التعلق أتم وأكمل ، وآثاره أقوى وأقوم .

وأما حياة الشهداء فقد علمت ما فيها، وأنها لنفس أبدانهم أو لأبدان أخرى تتعلق بها أرواحهم .

والحق الأول فهي حياة مستقرة ثابتة كحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن كانت دونها قوةً وأثراً للفرق الواضح بين أرواح المعصومين وغيرهم ، وأين الثرى من الثريا ، وأنوار الشرج من أضواء الشموس ؟ ! وقد علمت حياة غيرهم وأنها تابعة لإعادة الروح إلى البدن وتعلقها به ، إن وقتاً فوقتاً ، وإن دائماً فداًماً حسبما هو متاح لهم ، ولا يعلم كنه ذلك ولا يقف على تفاصيله إلا مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير .

واختار المحقق الآلوسي القول بأن أرواح الشهداء بل وغيرهم متعلقة بأبدان أخرى غير أبدانهم الأصلية ، وأن أرواح الشهداء ثبت لها هذا التعلق على وجه يمتازون فيه عن عداهم إما في أصل التعلق أو في نفس الحياة أو نفس المتعلق به مع ما ينضم إلى ذلك من البهجة والسرور والنعيم اللائق بهم<sup>(١)</sup> .

وفيه أن هذا القول مع كونه خلاف ما ذهب إليه الجماعة يلزمه إما وقوع العذاب والنعيم على بدن آخر لم يقترف حسنة أو سيئة أو عدم فائدة التعلق به إن قلنا إن المعذب والمنعم في البرزخ هو الأرواح فقط أو هي مع أبدانها الأصلية .

(١) راجع تفسيره في سورة البقرة لقوله تعالى ( ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ) .

نعم إن قلنا تتعلق بها أو تتمثل بنفسها صورة في البرزخ وأحياناً قد تعود إلى جسمها الذي كانت فيه عند العذاب أو النعيم ، وتعلقها بالبدن الآخر أو تتمثلها أحياناً إنما هو لأمر آخر لا يمنع من وصول النعيم إلى بدنها الأصلي فلا مانع من هذا القول<sup>(١)</sup> .

وقد علمت مذهب الجمهور وأنه لا مانع من تعلق الأرواح بأبدانها الأصلية مهما تفرقت أجزاؤها ، وأن العذاب والنعيم تارة يقع على كل منهما ، وتارة يقع على الأرواح فقط ، وأنه لا مانع من أن يقال إن نفس هذا التعلق البرزخي عند رد الأرواح إلى أبدانها وإفاضة نور الحياة على أجزائها يورثها نشأة أخرى بها تكون الأجزاء الأصلية صالحة لقبول العذاب والنعيم ، وعلى هذا الشكل اللائق بهذا الموطن إذ لو كانت الأجزاء الأصلية باقية في هذه الحالة على نشأتها الأولى لما قبلت ولا أطاقت العذاب والنعيم البرزخي ، وحينئذ لا داعي إلى القول بتعلق الأرواح ببدن برزخي مغاير لهذا البدن الكثيف .

### المبحث الرابع

في امتياز الأنبياء بأحكام في حياتهم البرزخية

ومعلوم أن للأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحكاماً يمتازون بها ، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ولقي فيها سيدنا

(١) هذا القول مجرد احتمال ولا يفتي بعده .

موسى عليه السلام كما في حديث فرض الصلاة ، وقد أخبر أنه : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » إلى غير ذلك مما يحصل من جميعه القطع بأن للأنبياء ميزة على غيرهم في هذه الأحكام ، وأن موتهم إنما هو راجع إلى أنهم غُيِّبُوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء كما تقدم .

وقد نصوا على أن شئون الأرواح مع أبدانها في البرزخ تختلف باختلاف قوتها وضعفها وصغرها وعظمتها فللأرواح العظيمة الكبيرة من ذلك ما ليس لمن هو دونها كما أن شئون الأرواح في الدنيا تتفاوت حسب تفاضها في كيفياتها وإبطائها وإسراعها ، والمعاقبة لها وعدم المعاقبة ، فالروح العالية المطلقة من التصرف وقوة النفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله تعالى والتعلق به ما ليس للروح المقيدة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه .

وروح المصطفى صلى الله عليه وسلم في إطلاقها وكال ذاتها وقوة إشرافها أعظم الأرواح وأكملها على الإطلاق ، بل هي روح الاستمداد ومظهر الفضل والإمداد ، وكذا أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالنسبة إلى أرواح من دونهم من الأولياء والأصفياء وعامة الخلق فهي أكمل وأفضل من أرواحهم ، وفيما بينهم في الدور الثلاث أكمل وأنتم وأقوى من حياة غيرهم .

وقد نصوا على أنه صلى الله عليه وسلم لا يزال وهو في برزخه يتلقى من الله ما يفاض على روحه الشريفة من الرحمت مما لا يحيط به علم ملك أو بشر ، ولا تزال له الوساطة العظمى في الوجود ولن تزال ، وأنه لا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الوساطة لذهب كما قيل الموسوط صلى الله عليه وسلم .

وقد ألف الإمام البيهقي كتابا عظيما في حياة الأنبياء جمع فيه أدلة كثيرة تدل دلالة واضحة على حياة الأنبياء عليهم السلام وتصرفاتهم في قبورهم ، وللجلال السيوطي رسالة في ذلك سماها [ أنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء ] وللعلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي قصيدة في حياة الأنبياء وما يتعلق بها أخذنا من الأحاديث الواردة في ذلك — منها :

تواترت الأدلة والنقول	فما يُحصى المصنف ما يقول
بأن المصطفى حيٌّ طرِيٌّ	هلالٌ ليس يطرُقه أفول
وأن الجسم منه بقاع لحْدٍ	كَوَزْدٍ لا يدنُّه الذبول
وأن الهاشمي بكل وصف	جَمِيلٍ لا يغيِّره الحلول
وأن الدود لا يأتي إليه	كذا الآفاتُ ليس لها وُصول
ولم تأكل له الغبراء لحما	ولا عظاما وأُثْبِتَ ما أقول
وتأتيه الملائك كلَّ وقت	تحِيَّيه وتسمَعُ ما يقول
وتأتيه بأرزاق حسان	وبرٍّ حيث يأمرها الجليل
وصومٌ ثم حَجٌّ كل عام	يجوز عليه بل لا يستحيل
ويظهر للصلاة بماء غَيْبٍ	ويقضيه بذا ورد الدليل
يصلِّي في الضريح صلاة خمسٍ	دواما لا يَمَلُّ ولا يَمِيل
كذا الأعمال تُعرَض كل يوم	عليه كئِيسرٌ بها الرسول

ومنها :

ويلقاهم إذا وفدوا عليه وينظرهم إذا ازدحم القُفُول

ويسمهم إذا صَلَّوْا عليه . بأذنيه فقَصَّرَ يا مَلُول  
ومن لم يعتقد هذا بَطْله يقينا فهو زنديق جهول

## المطلب الرابع

### في مستقر الأرواح في البرزخ

هذه المسألة من المسائل التي ليس للرأى فيها مجال ، وإنما طريق معرفتها  
السمع ، وللعلماء فيها أقوال كثيرة ذكرها ابن القيم في كتاب [ الروح ] وتكلم  
على كل قول منها وذكرها غيره أيضا ، وفي هذا المطلب مباحث .

## المبحث الأول

### في أن مستقر الأرواح متفاوت

والذى ينبغى التعميل عليه كما دلت عليه الأخبار الصحيحة أن مستقر  
الأرواح مختلف ومتفاوت . فمستقر أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أعلى  
عليين فقد صح أن آخر كلمة تكلم بها صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ  
الْأَعْلَى » ودعاؤه مستجاب وإخوانه معه على سُرُرٍ متقابلين وإن تفاوتت منازلهم  
كما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء .

ومع كونها في أعلى عليين لها اتصال بأبدانهم الشريفة ، وإشراق عليها  
- كما إشراق أشعة الشمس على وجه البسيطة وجِزءها في السماء - يحفظ عليها  
حياتها البرزخية كما يحفظ اتصال الروح ببدن النائم .

وقد تكون أرواحهم مستغرقة في حضرة الشهود وعالم المسكوت ، وعند  
مايسلم عليها أحد يؤذن لها فتلتفت إليه وهي في مكانها وتردُّ عليه السلام .

وقد تنتقل إلى مقر أبدانها الشريفة كبح البصر وتردُّ عليه السلام كما هو  
ظاهر حديث « مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي فَأَرُدُّ عَلَيْهِ  
السَّلَامَ » فإن الظاهر منه ردُّ ذاتها إليه ، ويحتمل ردُّ نظرها ، وليس لنظر  
الأرواح حدٌّ مقدَّرٌ ، بل ما بين السماء والأرض بالنسبة إليها كقاب  
قوسين أو أدنى .

ومستقر أرواح الشهداء في الجنة ترد أنهارها وتأن كل من ثمارها وتأنى إلى  
قناديل معلقة بالعرش كما ورد به الحديث .

وورد في أرواح أطفال المؤمنين ما هو قريب من ذلك .

وروى ابن عباس عن كعب قال : جنة المسأوى جنة فيها طير خضر ترعى  
فيها أرواح الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم  
من الجنة بكرة وعشيا . ولعل هذا كما قال ابن حبيب في عوالم الشهداء وما تقدم  
في خواصهم ، أو لعل هذا في شهيد الآخرة كالغريق والمبطون ، وما تقدم في  
شهيد الحرب ، ومع ذلك فهذا النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم منها فهم في  
الجنة وإن لم يصيروا إلى مقاعدهم منها .

ومستقر أرواح المؤمنين قيل في الجنة أيضا ، وإليه ذهب الإمام الشافعى ،  
فقد أخرج الإمام مالك عن كعب بن مالك مرفوعا : « إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ »



يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup> حَتَّى يَرِجَهُ اللهُ تَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ حِينَ يَبْعَثُهُ »  
أى إنها فى صورة طائر إلى أن تبعث فتخلع هذه الصورة وتلبس صورة البدن ،  
وروى ابن مندّه من حديث أم بشر مرفوعاً ما هو نص فى أن مستقر أرواح  
المؤمنين نحو مستقر أرواح الشهداء . وقال وهب بن منبه إن الله فى السماء السابعة  
داراً يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين .

ثم هذا لا ينافى ما تقدم من أن أرواح الموتى تتلاقى مع أرواح الأحياء ،  
وتعود إلى بدنهم لرد السلام ونحوه بالصورة التى هى عليها .

وأما أرواح الكفار فستقرها سَجِّينٌ كما ورد به الخبر الصحيح ،  
وفى حديث أم بشر « إِنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ سُودٍ تَأْكُلُ مِنَ  
النَّارِ وَتَشْرَبُ مِنَ النَّارِ وَتَأْوِي إِلَى جُحْرِ النَّارِ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا لَا تُلْحِقْ بِنَا  
إِخْوَانَنَا وَلَا تَوْتِنَا مَا وَعَدْتَنَا » .

وقيل : مستقر أرواح الموتى أفنية قبورهم ، وحكى هذا ابن حزم عن عامة  
أهل الحديث واستدل له بعضهم بحديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْفَدَاةِ وَالْعَشْيِ إِنْ كَانَ  
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ،  
يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ تَعَالَى » وروى أنه صلى الله عليه وسلم حين زار  
الموتى قال « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ » .

(١) العلوق : هو الأكل والرعى ، والمأكول هو الملققة بضم العين ، والملق بالتحريك ،

ورجح ابن عبد البر أن مستقر أرواح ماعدا الشهداء بأفنية القبور ، وردّ بأنه  
إن أراد أنها لا تفارق الأفنية فالنصوص على خلافه ، وإن أراد أنها تتردد عليها  
فلا تكون مستقرها ، وقد يقال : إن المستقر لا يقتضى استمرار القارّ وأبنته فى  
مقرّ بل قد يفارقه لمقتضى ويعود إليه ، كالمنزّل يسكنه الإنسان فيفارقه لقضاء  
حواله ثم يعود إليه طالبت غيبته عنه أو قصرت .

وعول بعض المحققين على أن الأرواح - حيث كانت - لها اتصال  
بأبدانها ، لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى ، وبذلك ترد السلام وتعرف المسلم ،  
ويعرض عليها مقعدها من الجنة أو النار ، وهى باقية فى مستقرها ، وقال  
بعضهم : لا مانع من انتقالها من مستقرها وعودها إليه فى أسرع وقت حيث  
شاء الله .

وقالت طائفة : مستقر الأرواح مطلقاً فى السماء الدنيا عن يمين آدم عليه  
السلام وعن شماله ، أخذاً بما فى الصحيحين عن أبى ذر من حديث المعراج .  
وقد أجيب عنه بأن المراد أنه عليه الصلاة والسلام يرى هذين الصنفين من جهة  
يمينه ومن جهة شماله وهو يجمع كون أرواح كل فريق فى مستقرها من الجنة  
أو النار ، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجنة والنار فى صلاة الكسوف وهو  
فى الأرض ، والجنة ليست فيها ، ورآهما وهو فى السماء والنار ليست فيها .

وفى الإفصاح : أن النعم من الأرواح على جهات مختلفة : منها ما هو طائر  
فى شجر الجنة ، ومنها ما هو فى حواصل طير خضر ، ومنها ما يأوى إلى قناديل  
تحت العرش ، ومنها ما هو فى حواصل طير أبيض ، ومنها ما هو فى حواصل طير  
كالزراير ، ومنها ما هو فى أشخاص صور الجنة ، ومنها ما هو فى صورة تخلق

من ثواب أعمالهم ، ومنها ما تسرح وتتردد إلى جنتها وتزورها ، ومنها ما تنلقى أرواح المقبوضين وما سوى ذلك منه ما هو في كفالة ميكائيل عليه السلام ، وما هو في كفالة آدم عليه السلام ، وما هو في كفالة إبراهيم عليه السلام انتهى . قال القرطبي وهو قول حسن : يجمع الأخبار حتى لا تتدافع ، وارتضاه الجلال السيوطي ، وأخرج ابن أبي الدنيا عن مالك قال : بلغني أن الأرواح مرسله تذهب حيث شئت ، وهو وإن صح ليس على إطلاقه .

وذكر أبو عبد الله سيدي محمد عlish في فتاويه : أن الأرواح بعد مفارقة الأشباح كلها مستقرها البرزخ ، وهو شيء عظيم خلقه الله تعالى على هيئة القرن ، فيه أنقب بعدد الأرواح ، أسفله ضيق وأعلاه متسع ، كانت فيه الأرواح قبل حلولها في الأشباح وتعود إليه بعد خروجها منه ، وكل روح لها اتصال معنوي بجسدها حيث كانت ، وأرواح المؤمنين لا حرج عليها فتكون بأفنية القبور أي جوانبها من عصر الخميس إلى صبح السبت ، وأرواح الكفار مسجونة في سجين كما وردت بذلك الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه وسلم .

وقيل في مستقر الأرواح غير ذلك .

### المبحث الثاني

في أن للأرواح<sup>(١)</sup> وإن اختلف مستقرها جَولاناً في عالم الملك

والذي ينبغي أن يعول عليه مع ما ذكر أن الأرواح وإن اختلف مستقرها

(١) يريد أرواح المؤمنين وإلا فأرواح غيرهم في سجين .

بمعنى محلها الذي أعطيته بفضل الله تعالى جزاء عملها ، لكن لها جَولان في ملك الله تعالى حيث شاء جل جلاله ، وهي متفاوتة في ذلك حسب تفاوتها في القرب والرافى من الله تعالى ، حتى أن بعض الأرواح الطاهرة تظهر فيراها من شاء الله تعالى من الأحياء ، فقد قيل إن بعض أكابر الصالحين كان يزور بعد موته أولاده ويتفقد حالتهم ويقضى حوائجهم - وأن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ، وقد تتلاقى أرواح الأموات والأحياء مناما ، ولا ينكر ذلك إلا من يجعل الرؤيا خيالا لا أصل له ، وذلك لا يلتفت إليه ، فقد صح أن ثابت بن قيس بن شماس خرج مع خالد بن الوليد إلى حرب مسيلمة ، فاستشهد رضى الله عنه ، وكان عليه درع نفيسة ، فرَّ به رجل من المسلمين فأخذه ، فبينما رجل من الجند نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له : أوصيك بوصية وإياك أن تقول هذا حلم فتضيعها ، إني لما قتلت أمس مرة بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ، ومنزله في أقصى الناس ، وعند خبائه فرس يستن<sup>(١)</sup> في طوله وقد كفا على الدرع برمة وفوق البرمة رمل ، فأت خالدًا ففره أن يبعث إلى درعى فيأخذه ، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له : إن على من الدين كذا وكذا ، وفلان من رقيقى عتيق ، فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الارع وأتى بها ، وحدث أبا بكر رضى الله عنه برؤياه ، فأجاز وصيته وقد ذكر ذلك الحافظ ابن عبد البر وغيره .

وهناك قصص كثيرة مثل هذه القصة ، وأغرب منها ذكرها ابن القيم

(١) يستن : يعدو لمرحه ونشاطه ، الطول : حبل يشد به قوائم الدابة .

وغيره ، وقد سمعنا من مشايخنا سماعا فاشيا ، أن الشيخ المنوفي رحمه الله شيخ الشيخ خليل بن إسحاق المالكي استمر بعد وفاته زمنا يقضى حوائج أولاده المنزلية ، وبعض الأرواح يحبس في قبره أوحيث شاء الله تعالى ، كروح من يموت وعليه دين استدانه في محرّم لا مطلقا كما هو المشهور .

وبالجملة : من تأمل فيما أسلفناه واطلع على الآثار الواردة في هذا الباب وكان له بها فضل اعتناء عرف أنها حق يصدق بعضها بعضا ، وأنه لا تعارض بينها ، فإن للروح شأنا غير شأن البدن ، وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وفي الأرض تتصل بقضاء القبر وبالبدن ، وهي أسرع شيء حركة وانتقالا ، صعودا وهبوطا ، وأنها تنقسم إلى مرسلّة ومسجونة ، وعُلوية وسُفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ، ولذة ونعيم ، ألم وعذاب أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن في الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر ، وأسباب السعادة والشقاء ، ومع ذلك كان لها في هذه الدار وهي متعلقة ببدنها الأصلي تصرف بأبدان أخرى تفعل بها فوق ما تفعله بالبدن الأصلي كما نص عليه السادة الصوفية وغيرهم .

## المطلب الخامس

في الأولياء وكراماتهم في الحياة وبعد الممات

وفيه مباحث :

### المبحث الأول

في تعريف الولي شرعا . وتعريف الكرامة . وأدلة نبوتها للأولياء

الوليّ شرعا : هو العارف بالله تعالى وصفاته حسبا يمكن . المواظب على الطاعات . المجتنب للمعاصي . المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات الدنيوية ، كما يشير إليه قوله تعالى ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ) .

\*\*\*

وقد نص علماء الكلام وغيرهم على أن الكرامة : هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهره الله تعالى بلا سبب على يد مسلم كامل العرفان غير مُدَّعٍ للنبوة ، قالوا والكرامة ليست لازمة لكل وليّ ، إذ حقيقة الولي شرعا لا تقتضيها ، وهي عند القوم ليست من المراتب المقصودة ، وقالوا الكرامة جائزة بل واقعة .

واستدلوا على جوازها بأدلة كثيرة :

منها أن وجود الممكنات مستند إلى قدرته الشاملة لجميعها ، فلا يمتنع شيء

منها على قدرته ، ولا شك أن الكرامة أمر ممكن ، إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته .

وأيضاً لو امتنع إظهار الكرامة فذلك إما لأن قدرة الله تعالى لا تصلح للتعاق بالخلق ، وذلك قدح في شمول قدرته ، وإما لأن المؤمن ليس أهلاً له وهو بعيد ، لأن معرفة الله والتوفيق لطاعته أشرف العطايا وأجزلها ، وإذا لم يبخل الفيض بالأشرف فلأن لا يبخل بالأدون من باب أولى .

وأيضاً إذا أحب العبد ربه وتقرّب إليه بالطاعة لا شك أنه تعالى يحبه كما قال تعالى ( يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ) فإذا بلغ العبد في طاعة ربه مع عجزه إلى حيث يفعل كل ما أمره الله تعالى به فإنه لا بُدَّ في أن يفعل الرب مع عظم قدرته وسعة جوده ولو مرة واحدة ما يريد العبد أو ما يكرمه به ولو لم يردّه من الخوارق .

وإذا وقع إعطاء الرب عبده المسمى استدراجاً فلأن يعطى عبده الصالح الذي لا يستأنس بكرامته ولا يأمن من مكره ، بل كلما أطاعه وتقرّب إليه فأعطاه ازداد خشية منه ورهبة - من باب أولى .

ومن هنا قال الحكماء : إن النفس إذا كملت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم السفلى كما تتصرف في جسدها .

واستدلوا على وقوعها بأمور :

منها - قصة مريم حيث حملت بلا ذكر ، ووجد الرزق عندها بلا سبب ، وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة ، وجعل هذه الأمور معجزات لذكرها

وإرهاصا لعيسى مما لا يقدم عليه منصف ، وإتماماً لكرامات لمن ظهرت على يديه ، وإن كانت معجزات مصدقة لنبيه .

ومنها - قصة آصف بن برخيا وهي إحضاره عرش بلقيس<sup>(١)</sup> من مسافة بعيدة في طرفة عين كما قال تعالى : ( أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ) الآية ، ولم يكن ذلك معجزة لسلطان عليه السلام إذ لم يظهر على يده مقارناً لدعواه النبوة .

ومنها - قصة أصحاب الكهف ، وهي أن الله سبحانه وتعالى أبقاهم ثلاثمائة سنة فأزید نيكاً أحياء بلا آفة ولم يكونوا أنبياء إجماعاً .

ومنها - على ما روى ضرب عمر رضى الله عنه الأرض بالدرة حين وقعت الزلزلة بالمدينة وقال لها : اسكني بإذن الله فسكنت ، وكتابه على الخرقه حين التهمت النار في بعض دور المدينة « يا نار اسكني بإذن الله تعالى » وألقيت فيها فانطفأت في الحال .

ومنها - ما روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حملت جنازته إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله ، هذا أبو بكر بالباب ، فإذا الباب قد فتح ، فإذا هاتف يهتف على القبر أدخلوا الحبيب إلى الحبيب .

ومنها - ما روى أن عمر رضى الله عنه بعث جيشاً إلى العراق وأمر عليه سارية ابن زُبَيْن ، فبينما عمر يوم الجمعة يخطب إذ صاح في خطبته يا سارية الجبل الجبل فسمع سارية وهو بمكانه وقت خطبته هذا الصياح ورأى شخص عمر هنالك فأسند ظهره إلى الجبل فهزم الله الكفار وظفر المسلمون بالغنائم الجمّة ، ذكره ابن خلدون .

(١) وفي بعض التفاسير أن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام .

ومنها ما روى عن أنس قال : سررت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال : مالي أراكم تدخلون على وآثار الزنى ظاهرة عليكم فقلت : أوحى نزل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا ولكن فإسرة صادقة<sup>(١)</sup>.

ويروى عن كثير من الصحابة مثل هذا ، وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ووقائع مشهودة مشهورة بين الناس في كل عصر لا ينكرها إلا معاند .

\*\*\*

والظاهر أن هذا مفروض مع بقاء الولي على الصورة البشرية وظهور الخلق عنه حال تعلق روحه ببدنه الطبيعي ، فإذا تغلبت روحه على بدنه وانسلخ عن البشرية أو تمثلت روحه بصورة أخرى حال حياته فلا نزاع في أنه يظهر على يديه من خوارق العادات ما شاء الله أن يظهر ، لأنها خوارق بالنسبة إلى غيره أو بالنسبة له قبل التغلب ، وكذا الحال إذا فارقت أرواحهم أبدانهم بالموت ، بل هو أولى وأجدر ، فإن الأرواح في هذه الذنشاء تكون أتم وأكمل سواء سمي ذلك كرامة أو لم يسم .

وبالجملة : فتحت أذن الله للروح في شيء لتعلمه أو تفعله خارقا للعادة أو لا تصرف فيه حسبما هو مأذون لها وما هو مقضى في علمه الأزلي مما لا يتجاوز حد الإمكان الروحي والسكسب الإنساني ، والأولياء كالأنبيا عليهم السلام ،

(١) وهي كرامة أكرم الله بها .

بل والملائكة والجن وجميع أرواح البشر لا يسمعون أن يستقلوا بخلق فعل من الأفعال ضررا أو نفعاً ، موتاً أو حياة كما يخلق الله تعالى ، وإنما لهم المشيئة والسكسب والله تعالى هو المنفرد بالخلق والإيجاد كما قال تعالى : ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) وقال : ( وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ) فهذا أمر لا نزاع فيه عند المثبتين لكرامة الأولياء وغيرهم . والمعتزلة القائلون بأن العبد يخلق أفعال نفسه لا يفكرون أنها لا تقع إلا بإذنه .

### كلام الصوفية في الفرق بين المجنون والولي المجذوب

علم مما تقدم أن الولي شرعا هو العارف بالله تعالى وصفاته حسبما يمكن المواظب على الطاعات ، المجتنب للعاصي ، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ، والقوم قد يطلقونه على المجذوب الذي جذبه الحق إليه ، ولم يحفظ رسم الشريعة عليه لفقد عقل التمييز فهو غير مكلف باتفاق ولا يطلق عليه اسم الولي عند أهل النظر بل هو داخل في حد المجنون<sup>(١)</sup>.

(١) ذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته : أن من لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين البهائيل الذين خلقوا من أول نشأهم على البله وفقدوا العقل الذي يناط به التكليف ، وهم أشبه بالمجانين وليسوا منهم لأنهم لم يفقدوا نفوسهم الإنسانية ، بخلاف المجانين فإنهم فقدوها ، ولذا التصقوا بالبهائم ، ولاتزامهم وجهة لا يخلون عنها أصلا من ذكر أو عبادة لكن على غير الشروط الشرعية لعدم تكليفهم ، بخلاف المجانين فإنهم لا وجهة لهم أصلا ، ولأنهم كثيرا ما يتصرفون في الناس بخير أو شر لعدم توقفهم على الإذن لكونهم غير مكلفين ، بخلاف المجانين فإنهم لا تصرف لهم أصلا . ويقع للبهائيل من الأخبار عن المغيبات عجائب ، وإنما يعرفهم من يفهم عنهم من أهل الذوق والوجد .

والفرق بينه وبين المجنون أن هذا مسلوب معوِّض فهو فاقد واجد ، أى فاقده نور العقل والتمييز في مشهد ، واجد له في مشهد آخر ، والمجنون مسلوب غير معوِّض .

والجذب كالمجنون يكون متقطعاً فيكلف صاحبه في وقت دون وقت ، ومطبقاً فلا يكلف صاحبه أبداً وظهور الخوارق على يد المجاذيب أكثر من ظهورها على يد الولي الشرعي الكامل ، وتقدم أن الكرامة ليست لازمة لكل ولي ، وأنها عند القوم ليست من المراتب المقصودة .

### كرامة الولي معجزة للنبي

ثم الكرامة التي تظهر على يد الولي تكون معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة على يد ولي من أمته ، لأنه يظهر بها صدقه في ولايته ، وصدقه في ولايته يستلزم صدقه في ديانته التي هي الإقرار باللسان والتصديق بالقلب برسالة رسوله والمتابعة له في أوامره ونواهيه ، وإلا لم يكن ولياً ، وذلك يستلزم تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في دعواه الرسالة ، وفي كل ما يباينه عن الله تعالى .

والحاصل أن الأمر الخارق للعادة بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم إذا أظهره الله على يديه يكون معجزة له بغير واسطة ، وإذا أظهره على يد ولي من

= والفقهاء ينكرون عليهم أنهم على شيء من تلك المقامات ، ولكن فضل الله عظيم ، يؤتيه من يشاء من عباده ، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها ولا على التكليف ، وما دامت نفوسهم موجودة فإن الله تعالى يخصها بما شاء من مواهبه اهـ ملخصاً . والهاليل : هم المجاذيب في اصطلاحهم ، وفي اللغة الهلول : السيد الجامع لكل خير .

أتمه يكون معجزة له بالواسطة ، وبالنسبة إلى الولي الذي أظهره على يديه يكون كرامة له ومعجزة لنبيه .

وتعرفهم الكرامة والمعجزة بما ظاهره التباين بينهما كلياً ، إنما هو في المعجزة والكرامة بدون واسطة لا مطلقاً .

\*\*\*

### الفارق بين المعجزة والكرامة

ثم لابد في خارق المعجزة من قصد النبي صلى الله عليه وسلم إظهاره ، ومن حكمه قطعاً بموجبه ، كما أنه لابد من علمه بكونه نبياً بخلاف الولي فإنه قد لا يعلم أنه ولي وقد لا يقصد إظهار الكرامة ولا يقطع بموجبها ، بل ربما يخاف على نفسه أن يكون ذلك استدراجاً .

ونقل العلامة النيسابوري في تفسيره عن الأستاذ أبي علي الدقاق وتلميذه أبي القاسم القشيري أن للولاية ركنين : « أحدهما » انقياد للشرعية في الظاهر <sup>(١)</sup> « والثاني » كونه في الباطن مستغرقاً في نور الحق ، فإذا حصل هذان الأمران وعرف الإنسان ذلك عرف لا محالة كونه ولياً ، وعلامته أن يكون فرحه بطاعة الله واستئناسه بذكر الله ، ثم قال : قلت : لا ريب أن مداخل الأغلاط في هذا الباب كثيرة ودون الوصول إلى عالم الربوبية حُجُب وأستار من نيران وأنوار ، فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالحجة عسر اهـ . وحاصله أنه لا يمكن القطع بالولاية مع احتمال تلك المداخل .

(١) وهذا في غير الهاليل كما تقدم عن ابن خلدون .

## الكرامة لا تدل على كمال الاستقامة

ثم اعلم أن الكرامة لا تدل على كمال الاستقامة ، كما قال ابن عطاء الله في حكمه [ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة] وإنما تدل على اختصاص صاحبها أى أن الله أراد اختصاصه من أهل طاعته ، فيتعين تعظيمه واحترامه لاتقديمه واتباعه ، إلا أن يظهر عليه كمال الاستقامة ، وهى عند القوم كما قال سيدى أحمد زروق فى شرح الحكم : الاستواء فى اتباع الحق ظاهراً وباطناً على منهج السداد بلا علة ، فهى إذا توبة بلا إصرار ، وعمل بلا فتور ، وإخلاص بلا التفات ، ويقين بلا تردد ، واستسلام بلا منازعة ، وتقويض بلا تدبير وتوكل بلا وهن اه .

فمقام الاستقامة فوق مقام اختصاص الكرامة ، وكلاهما من أوصاف ذوى النفوس المطهرة .

## المبحث الثانى

### فى أنواع الخارق والسحر

ثم الخارق لا يختص بنفوس الأنبياء والأولياء معجزة أو كرامة ، بل قد يظهره الله تعالى على يد غيرهم إرهاباً أو معونة أو استدراجاً أو إهانة ، كما هو مذهب أهل الحق فى ذلك ، فقد قسم علماء الكلام الخارق إلى ستة أقسام ، لأنه إن ظهر على يد مسلم وكان مقروناً بكمال العرفان واقترب بدعوى النبوة

فمعجزة ، وإن لم يقترب بها ، وظهر على يد النبى قبل نبوته إرهاباً ، ومن غير النبى فكرامة ، وإن ظهر على يد مسلم ولم يكن مقروناً بكمال العرفان فمعونة ، وهو ما يظهره الله على يد عوام المسلمين تخليصاً لهم من الحزن والسكران ، وإن ظهر على يد الكافر وكان موافقاً لدعواه فاستدراج وإلا إهانة ، كما روى أن مسيلة الكذاب دعا لأعور أن تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء ، وقد يطلق اسم الاستدراج على ما يطلق عليه اسم المعونة .

### ما يصدر عن طائفة الرفاعيين

وفى روح المعانى للعلامة الآلوسى فى تفسير قوله تعالى : ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) مانصه : وما يشاهد من وقوعه لبعض المنتسبين إلى حضرة الولى الكامل الشيخ أحمد الرفاعى قدس سره من الفسقة الذين كادوا يكونون لكثرة فسقهم كفاراً ، فقليل إنه من باب السحر الختاف فى كفر فاعله وقتله فإن لهم أسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ، ولا يبعد أن تكون كفراً وإن كان معها مالا كفر فيه . وقد ذكر بعضهم أنهم يقولون عند ذلك : تلسف تلسف هيف هيف . أعوذ بكلمات الله تعالى التامات من شر ما خلق . أقسمت عليك أيتها النار أو أيها السلاح بحق حى حلى ، ونور سبحى ، ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ، أن لا تضرى أو لا تضرى نلام الطريقة ، ولم يكن ذلك فى زمن الشيخ الرفاعى قدس سره ، فقد كان أكثر الناس اتباعاً للسنة وأشدّهم تجنباً عن مظان البدعة ، وكان أصحابه سالكين مسلكه متشبثين بذيل اتباعه قدس سره ، ثم طرأ على بعض المنتسبين إليه

ما طرأ، قال في العبر: قد كثرت الزغل في أصحاب الشيخ قدس سره وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم اهـ.

والحق أن قراءة شيء ما عندهم ليست شرطا لعدم التأثير بالدخول في النار ونحوه، فكثير منهم من ينادى إذا وقدت له النار وضربت الدفوف يا شيخ أحمد يارفاعي أو يا شيخ فلان لشيخ أخذ منه الطريق ويدخل النار ولا يتأثر من دون تلاوة شيء أصلا. والأكثر منهم إذا قرأ الأسماء على النار، ولم تضرب له الدفوف، ولم يحصل له تغير حال لم يقدر على مسّ جرة، وقد يتفق أن يقرأ أحدهم الأسماء وتضرب له الدفوف وينادي من ينادي من المشايخ فيدخل ويتأثر.

والحاصل أنا لم نر لهم قاعدة مضبوطة بيّنة أن الأغلب أنه إذا ضربت لهم الدفوف واستغاثوا بمشايخهم وعزّبوا يفعلون ما يفعلون ولا يتأثرون، وقد رأيت منهم من يأخذ زرق الخمر، ويستغيث بمن يستغيث، ويدخل تنورا كبيرا تضطرم فيه النار فيقع في النار، ويشرب الخمر، ويبقى حتى تحمد النار، فيخرج ولم يحترق من ثيابه أو جسده شيء، وأقرب ما يقال في مثل ذلك إنه استدراج وابتلاء، وأما أن يقال إن الله عزّ وجلّ أكرم حضرة الشيخ أحمد الرفاعي قدس سره بعدم تأثر المنتسبين إليه كيفما كانوا بالنار ونحوها من السلاح وغيره، إذا هتفوا باسمه أو اسم منتسب إليه في بعض الأحوال فبعيد، بل كأنى بك تقول بعدم جوازه، وقد يتفق ذلك لبعض المؤمنين في بعض الأحوال إغاثة

له، وقد يأخذ بعض الناس النار بيده ولا يتأثر لأجزاء يطلى بها يده من خاصيتها عدم إضرار النار للجسد إذا طلى بها فيوهم فاعل ذلك أنه كرامة اهـ.

والضابط لأمثال هؤلاء ما أشرنا إليه في تفويج الخارق من المعونة والاستدراج والإهانة لأن منهم من له فسق مكفّر اعتقازا أو عملا، ومنهم من لم يكن كذلك فما يصدر عن هذا الفريق من الخوارق إن لم يكن خيالا وشعوذة فعونة وما يصدر عن الفريق الأول فاستدراج أو إهانة.

وأما مجرد تلاوة الكلمات المجهولة لأمثالنا لعدم معرفتنا بأوضاعها فلا يقتضى كفر تاليها لجواز أن تكون معروفة عنده أو منقولة نقلا صحيحا عن يوثق به من الشيوخ كما نقل عن العارف بالله تعالى سيدى إبراهيم الدسوقي من الأوراد والأدعية والتعوذات المشتعلة على كلمات لا علم للتالين لها بأوضاعها، ولها من الأسرار والبركات ما لا يسع أحدا إنكاره كسائر الرق والتعوذات التي تتلى على المرضى فيشفون أو تتلى لاتقاء شر الإنس والجن وسائر الهوام.

### تأثير الرق والتعوذات

وقد ذكر العلامة الآلوسی في تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ يَسْكَدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُنَكَ بِأَبْصَارِهِمْ<sup>(١)</sup>) أن قراءة هذه الآية كما روى عن الحسن تدفع ضرر العين قال: وذلك من خصائص بعض النفوس، والله تعالى أن يخص ماشاء منها بما شاء، فقراءة هؤلاء العامة مثل هذه الكلمات لا مانع من كونها تدفع عنهم ضرر النار اهـ.

(١) آخر سورة القلم.



والأقسام والتعوذات الماثورة عن أصحاب الأسرار العارفين بأوضاعها تارة  
تبقى بعد وفاتهم مؤثرة بإذن الله تعالى لا يتوقف تأثيرها على استئذان شيخ ولا على  
صلاح تال ، بل ولا إيمانه ، بل يكون السر الذي أودعه الله فيها كخاصة  
النبات والعقاقير ، وتارة يتوقف على استئذان أو صلاح تال أو غير ذلك مما هو  
مشروط في تأثيرها .

ثم التأثير بسببها هل يسمى خارقا للعادة مطلقا ، أو الخارق لا بد أن يكون لغير  
سبب ، وعليه فلا يسمى السحر من الخوارق ؟ .

### السحر حقيقة واقعة

والجمهور على أن السحر له حقيقة<sup>(١)</sup> وأنه قد يبلغ الساحر به أن يطير

(١) قال ابن خلدون في مقدمته : إن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء ، وكان في  
أهل بابل ، وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين ، وكانت لهم فيها أسواق نافقة . وكذلك في  
أهل مصر زمن بعثة موسى عليه السلام ، وقد نطق القرآن بذلك كله . ثم ذكر وقائع من السحر  
شاهدها وأخرى سمعها .

وذكر الفرق عند الفلاسفة الإطمين بينه وبين المعجزة بأن المعجزة قوة إلهية تبعث في النفس  
ذلك التأثير وصاحبها مؤيد بروح الله تعالى في فعله بخلاف السحر ، فإن الساحر إنما يفعل فعله بقوته  
النفسانية ، وبإمداد الشياطين له في بعض الأحوال فهما على طرفي نقيض .

ويستدل على التفرقة بينهما بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير ، وفي  
مقاصد الخير وللنفوس المتمحضة للخير ، والتحدى بها على دعوى النبوة ، وأما السحر فيوجد لصاحب الشر  
وفي إيصال الشر غالبا وللنفوس المتحضرة للشر .

أما المتكلمون ففرقوا بينهما بأن المعجزة واقعة بالتحدى ، وهو دعوى وقوعها على وفق  
الادعاء ولا تقع مع الكاذب بإطلاق ووقوعها على وفق دعواه غير مقدور له ملخصا .

في الهواء ، ويمشي على الماء ، ويقتل النفس ، ويقلب الإنسان حمارا .

وفي اللسان : السحر عمل فيه تقرب إلى الشيطان ومعونته منه اهـ ، والفاعل الحقيقي  
في ذلك ونحوه هو الله تعالى كسائر أفعال العباد ، فإنه الموجد لها والمسخر لأسبابها ،  
والإنس والجن والعزائم والأقسام ليس لها إلا التسبب والسكسب ، لا إله إلا هو  
خالق كل شيء .

وقد شاع أن العمل به كفر ، والحق أنه إن كان فيه رد ما لزم من شرط  
الإيمان فكفر وإلا فلا ، ولعل من قال إنه لا حقيقة له أراد نوعا منه وهو  
الشعوذة التي هي خفة في اليد وأخذة كالسحر ترى الشيء بغير ما عليه أصله  
في رأى العين .

وفي اللسان : أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكان  
الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على خلاف حقيقته فقد سحر  
الشيء عن وجهه أي صرفه .

ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس  
كذلك ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر ، والسحر البيان في فطنة ، كما ورد  
إن من البيان لسحرا . قال ابن الأثير : يعني أن منه ما يصرف قلوب السامعين  
وإن كان غير حق . وقال أبو عبيد كأن المعنى والله أعلم أنه يبلغ من ثنائه أنه  
يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه  
حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكانه قد سحر السامعين بذلك .

## كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في السحر والسحرة والجن

وفي إيضاح الدلالة في عموم الرسالة لشيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ رحمه الله أن الإنسان إذا فسدت نفسه ومزاجه يشتهي ما يضره وبلتذ به ، بل يعشق ذلك عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، كالشياطين الذين يشتهون الشر وينلذذون به ويطلبونه ويحرصون عليه ، وإن كان موجبا لعذابهم وعذاب من يغفونه من الإنس ، فهؤلاء السحرة إذا تقرر بوا إلى الشياطين بمزائهم وأقسامهم وكتابة روحانياتهم المشتعلة على ما يحبون من الشر والكفر والشرك ، صار ذلك كإرشاد لهم ، فيقبضون بعض أغراضهم كمن يعطى غيره ما لا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاجشة ، ومنهم من يكتب في روحانياته كلام الله بالنجاسة ، ومنهم من يقلب كلامه تعالى عز وجل ، فإذا قالوا أو كتبوا ما تحبه الشياطين وترضاه منهم أعانوههم على بعض أغراضهم ، كتغوير ماء أو حمل في هواء أو إتيان ببال إلى غير ذلك مما تفعله الشياطين على أيدي هؤلاء السحرة ، قال : وأعرف في كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له بمن أعرفه ما يطول حكايته .

ثم قال : وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس ، وقد يكون وهو الكثير الغالب عن بغض ومجازاة مثل أن يؤذيه بعض الناس عمدا أو خطأ ، إما يبول على بعضهم أو يصب ماء حار أو يقتل له ، وإلا كان الإنسى لا يعرف ذلك ، وفي الجن جهل وظلم كثير

فيعاقبونه بأكثر مما يستحق ، وقد يكون عن عبث منهم وشر مثل سفهاء الإنس .

وأرباب العزائم والأقسام كثيرا ما يقسمون بها على بعضهم ليعينهم على بعض ، فتارة يبرون قسمهم وكثيرا لا يفعلون ذلك ، بل قد يعجزون عن دفع الجن منهم ، وكثيرا ما تسخر منهم الجن إذا طلبوا منهم قتل جنى أو حبسه أو خروجه من بدن المصروع ، فيخيل إليهم أنهم قتلوه أو حبسوه ويكون ذلك تخيلا وكذبا .

ثم قال : وجهاء الأمم يقرون بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ، ولم ينكر الجن إلا شذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم ، وأما أكابر القوم فالأناثور عنهم إما الإقرار بها وإما عدم التعرض لها ، وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها ، وإنما معه عدم العلم إذ كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك ، كالطبيب الذي ينظر في البدن من جهة صحته ومرضه الذي يتعلق بمزاجه وليس له تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن ، وإن كان قد علم من غير طبعه أن للنفس تأثيرا عظيما في البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية ، وكذلك للجن تأثير في ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ أُنْزَلِ آدَمَ يَجْرِي الدَّمُّ وَالْإِنْسَانُ قِيلَ : هُوَ الْبَخَارُ الْمَسْمُومُ عِنْدَ الْأَطْبَاءِ بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْمُنْبَعِثِ مِنَ الْقَلْبِ السَّارِيِّ فِي الْبَدَنِ سَرِيَانِ الْمَاءِ فِي الْعُودِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ الدَّمُ الْمَعْرُوفُ ، وَتَقْدِمُ السَّكَلَامُ فِي الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ . »

وقد ساق الإمام ابن تيمية في هذه الرسالة الموضوعات لبيان عموم بعثته صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الإنس والجن عدة آيات وأحاديث ونصوص عن العلماء تدل دلالة

واضحة على وجود الجن ، وأنهم عالمون مأمورون منهيون على لسان من أرسل إلى الثقلين صلى الله عليه وسلم وأن لهم أحكاماً وأعمالاً تتعلق بهم ، وأوبهم وبالإنس وحكى عنهم وقائع كثيرة ، وفي هذا القدر كفاية .

وعلى كل حال فخوارق العادات إن خصت بما يظهر على يد النفوس البشرية بلا سبب أصلاً فالسحر ليس منها ، وإن لم تقيد بذلك دخل فيها السحر ، سواء كان معه قسم أو قرين من الجن أو روح أخرى تتسلط على تلك الروح التي ظهر على يدها ذلك الخارق ، كما في التحضير والتنويم المغناطيسى .

وتقسيم العلماء الخارق إلى أقسامه المذكورة شامل لطريقة التخصيص والتعميم وإن كان الظاهر منه الأول بل يتعين في المعجزة والكرامة والإرهاص أن لا تكون عن سبب كما تقدم .

### المبحث الثالث

في أن الكرامة لا تختص بحال الحياة

ثم إن الكرامة لا تختص بحال الحياة كما يفهم من بعض أدلة ثبوتها وكما يقتضيه بادي النظر ، بل هي بعد الموت أولى وتخصيص بعضهم لها بحال الحياة اصطلاح أو نزوع إلى إنكار صدور التصرف بعد الوفاة وسيأتى ما فيه .

وقال العلامة ابن حجر : إن مطالعة كتب التصوف تحصيل العلم بوقوع الكرامة من الأولياء ضرورة ، وقد رأينا من كراماتهم أحياء وأمواتاً ما يوجب

ذلك فلا ينكرها إلا مخذول فاسد الاعتقاد في أولياء الله ، وخواص عباده نفعنا بهم الله اه .

\*\*\*

ونقول : زعم بعض الناس أن الأولياء لا يتصرفون في عالم الملك والملكوت بعد وفاتهم كسائر الموتى ، ولا تظهر على أيديهم خوارق ولا غيرها ، لأنهم انقطعوا عن هذا العالم وانتقلوا إلى عالم آخر في غاية المبانيعة لعالم الأحياء ، ولأنهم مشغولون بشئون أخرى غير هذه الشئون ، فإن للموتى كما ذكره العلامة الآلوسى في تفسير سورة النازعات ما بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجفان عن الالتفات إلى ما في هذا العالم ، وبين شقى ألماء عذابه وجبسه في النيران عن إجابة مناديه والإصاحا إلى أهل ناديه .

ولا يخفى عليك بعد ما حدثناك به من أحكام الروح ، وشئونها الكونية ، وحوادثها ومشاهداتها الاكتشافية ، وما يؤيد ذلك من الآيات القرآنية ، والأخبار النبوية فساد هذا الزعم ، وما استندوا إليه من مبانيعة العوالم واشتغال النفوس بعد الموت بشئون أخرى لا يمنع تصرف بعض الأرواح في هذا العالم ، ولا نفوذها فيه متى أذن الله لها في ذلك ، والأحاديث النبوية ، ونصوص العلماء مستفيضة بذبوت الإذن لمن شاء الله من أرواح الموتى .

على أن شأن الأرواح عند تجردها ومفارقة أبدانها غير شأنها عند اقترانها بها ، فقد تظهر في عالم متمثلة فيه وذاتها في عالم آخر ، كالملائكة والجن ، وفي كلا الوطنين تكون قائمة بوظيفتها ، لأن مظهر الروحاني روحاني حتى كما تقدم في تمثيل جبريل بين يديه صلى الله عليه وسلم وذاته لم تفارق سدرة المنتهى ،

وفي كلا المواطنين قائم بوظيفته الموكل بها ، والآلوسى نفسه ممن أثبت ذلك في رؤيته صلى الله عليه وسلم خارج القبر ، وانتقاله من جهة إلى جهة أخرى ، ورؤية المتعدين له في أمكنة مختلفة في وقت واحد ، وسيأتي ذلك في خاتمة هذه الرسالة .

وقد ثبت أن أرواح الكمل من الأولياء حال الحياة وهى مشغولة بشئونها البدنية قد تسبح في عالم الملكوت وتشاهد فيه ما تشاهد بحيث لا تشغلها الشئون الظاهرة عن تلك الشئون الغائبة فلا أن يثبت للأرواح في حال تجردها عن الشئون البدنية وهى في عالم آخر التصرف في عالم الشهادة من باب أولى<sup>(١)</sup> .

وهذه المسألة كان للمخالفين فيها قديما بعض العذر لمساه عساه يعترضهم إذ ذاك من شبه تحول بينهم وبين الحق الجلى في ذلك ، إما لعدم استقامة أفهامهم أو لبنائها على أصول واهية أو لعدم اطلاعهم على ما يقشع عنهم غيوم هذه الشبهة أو نحو ذلك مما بُلوا في كثير من نظرياتهم الاعتقادية ، أما وقد انكشف الغطاء الآن ، وقامت الأدلة المحسوسة ، والمشاهدات الملموسة على تصرف أرواح الموتى وأفعالهم الغريبة ، لافرق بين نفوس طاهرة مقدسة وبين غيرها من النفوس الأخرى ، فلا يسمع أحد من المسلمين ولا من غيرهم أن ينكر أو يتردد في تصرف أرواح الأنبياء والأولياء ، بل وأرواح غيرهم في عالم الملك بعد وفاتهم .

(١) العبارة في الأصل المطبوع هكذا « فلا أن يثبت عكس ذلك للأرواح في تجردها من التصرف في عالم الشهادة وهى في عالم آخر من باب أولى » فوضعتها كما ترى ، فأمل اهـ .

وما ينقل عن بعضهم في الكتب الإسلامية وغيرها مما يخالف ذلك أصبح بنور العلم كسراب بقيعة فلا يعول عليه ، وقد كفا الباحثون في أسوال الأرواح من علماء الإسلام وغيرهم حديثاً وقديماً مؤونة التدليل على هذا البحث ، فما على الناظر فيه الآن إلا أن يتصفح بعض الكتب المؤلفة في هذه الأبحاث الذائعة ، وينعم النظر فيها فيظهر له جلياً أن تصرف الأرواح بعد الموت أمر لا شبهة فيه ، وأن ظهور الخوارق على يد الأولياء بعد وفاتهم أولى وأقرب من ظهورها حال حياتهم المسمى كرامة عند علماء الإسلام . والحق أنها لا تختص بحال الحياة ، وإن كان ظاهر بعض أداتها الاختصاص على أن ذلك راجع إلى التسمية لا لنفي ظهور الخارق بعد وفاتهم والله أعلم .

### المبحث الرابع

في إقسام الله تعالى بالنفوس الفاضلة

وفي الاستعانة بأصحاب القبور

ونقل العلامة الآلوسى عن بعض المحققين في تفسير قوله تعالى ( وَالَّذِينَ عَاتِ غَرْفًا . وَالنَّاسِطَاتِ نَشْطًا ، وَالسَّائِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّائِقَاتِ سَبْقًا ، فَأُمْدُ بَرَاتٍ أُمْرًا ) أن ذلك إقسام بالنفوس الفاضلة حال مفارقتها لأبدانها بالموت ، فإنها تنزع عن الأبدان نزعا شديداً لعسر مفارقتها حيث ألفتها ، وكانت مطية لها في اكتساب الخير ، ومظنة لازدياد كمالها ، فتنشط شوقاً إلى عالم الملكوت ، وتسبح به ، فتسبى إلى حظائر القدس ، فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات ، ويظهر لها بعد

المفارقة آثار وأحوال في هذا العالم ، فقد يرى المرء شيخه بعد موته فيرشده إلى ما يهيمه ، وقد نقل عن جالينوس أنه مرض مرضاً عجز عن علاجه الحكماء ، فوصف له في منامه علاج ، فأفاق وفعله فأفاق ، وقد ذكره الفزالي ، ولذا قيل ، وليس بحديث كما توهم : إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا بأصحاب القبور ، أى أصحاب النفوس الفاضلة المتوفين <sup>(١)</sup> ، ولا شك في أنه يحصل لزارهم مدد روحاني ببركتهم ، وكثيراً ما تنحل عقد الأمور بأنامل التوسل إلى الله تعالى بحرمتهم انتهى .

فهذا يدل على أن النفوس الفاضلة لها تصرف بعد الموت في هذا العالم المحسوس ، حيث قال : ويظهر لها إلى آخره ، وظاهر أن هذه الآثار التي تظهر عنها تكون بتدخل منها تدخل الأسباب العادية في مسبباتها عند خلق الله لها ، كأن تتوجه بنفسها إلى الله تعالى وتدعوه جل شأنه أن يفعل هذا الأثر المطلوب ، أو تتشكل في صورة مثالية تسأل الله تعالى ظهور الخارق أو غيره ، كما يظهر على يد الأحياء كسباً لا خلقاً ، أو ترشد الأحياء في منامهم إلى ما يهيمهم كما قال : قد يرى المرء شيخه الخ ونحو ذلك ، مما يمكن للأحياء أرواحاً أو غيرها أن يفعلوه .

وهناك حالة أخرى تسند إليهم على ضرب من التأويل ، وهي أن يظهر الله الأثر كرامة لهم ، وإن لم يشعروا به ولم يسألوا فيه كما يشير إليه قوله : ولا شك الخ

(١) أى استعينوا بأرواحهم ، وقد علمت أنها حية باقية وإن فثيت الأجسام ، وهي لاتفعل إلا بإذن الله ، وتسخيره إياها ذلك كتسخير الملائكة فيما أمرت به وفعلا بإذنه تعالى .

وظاهر أن هذا وذاك لا يختص بالنفوس البالغة إلى مرتبة السابقات المدبرات ، بل يكون لمن هو دونها أيضاً .

وقوله : فاستعينوا بأصحاب القبور الخ ، أى توسلوا بهم إلى الله تعالى عند دعائكم له كما تتوسلون بالأحياء منهم في قضاء حوائجكم ، لأن هذه النفوس المتوفاة حية عالمة مدبرة ، فيجوز لكم إذا تحيرتم أن تستعينوا بهم وتسألوهم التوجه إلى الله تعالى ليطلبوا منه جل شأنه قضاء حوائجكم كما تسألون الأحياء منهم ، بل ومن غيرهم ممن هو دونهم أو دونكم ، فقد نصوا على أن هذا النوع من التوسل لا يشترط فيه أن يكون المتوسل به أفضل من المتوسل ، كما إذا قلت لأخيك المسلم وإن كان أقل منك فضلاً ادع لي يا فلان ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر « لَا تَنْسَأَ يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ » وهو دونه في الفضل قطعاً .

وقد علمت أن لافرق بين كون المتوسل به حياً أو ميتاً .

وهناك نوع آخر من الاستعانة بأصحاب القبور ، وهو أن تدعو الله تعالى أن يقضى حاجتك متوسلاً بحرمتهم أو جاههم وإن لم يشعروا بهذا التوسل ، كما قال : وكثيراً ما تنحل عقد الأمور الخ .

وقد تكون الاستعانة بأصحاب القبور بمجرد زيارتهم والاعتاظ بهم والدعاء عندهم ولهم وإن لم يكن هناك توسل فإن ذلك كاف في حصول هذا المدد الروحاني ، لأن مواطن الدعاء والاعتاظ بالموتى من مواضع الإجابة ومنازل الرحمة والقبور — كما ورد — روضة من رياض الجنة للمؤمنين ، ودار جزاء وإكرام

للمحسنين ، فن زاره داعياً عنده متعظاً به كان له من الكرامة والإحسان أوفر نصيب .

### المبحث الخامس

في شرح حديث

« إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ » .

علم مما تقدم جواز طلب الإعانة من أصحاب القبور والتوسل بهم على أحد الوجوه المذكورة ونحوها وأن ذلك يدل دلالة واضحة على أن لهم تصرفاً في عالم الملك بعد وفاتهم بإذنه تعالى ولا يسأل عما يفعل جل شأنه .

( وقد يقال ) إن هذا يناقض ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقال : « يَا غَلَامُ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ » ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » رواه الترمذی . فإن ظاهره أنه لا سؤال ولا استعانة إلا بالله لا بأصحاب القبور ولا بغيرهم .

( وأجيب ) بأن ما كتبه الله للعبد أزلاً : إما أن يكون مقدراً وصوله إليه منه

تعالى مباشرة ، سواء كان معلقاً بدعاء العبد لله أولاً ، وإما أن يكون مقدراً وصوله إليه بواسطة مخلوق يسخره الله له ، سواء كان معلقاً بسؤال المخلوق أو لاستعانة به أولاً .

فالخاصة الذين أيقنوا بالله وتنزلوا عن الأسباب والتهافت عليها وفقنوا بأدنى معيشة ، نظروا إلى المكتوب في لوح العلم القديم وتعففوا عن سؤال الخلق والاستعانة بهم في أي أمر من الأمور ، وتوكلوا على ربهم فأغنهم عن السؤال والاستعانة بغيره فيما قدر وصوله إليهم ، ورزقهم كما يرزق الطير . تغدو خفاصاً وتعود بطاناً .

ونقل الآلوسی عن بعض الأجلة في تفسير سورة الكهف : أن توكل الخواص ترك الأسباب بالكلية ، ومن ذلك مشى سعد بن أبي وقاص وأبى مسلم الخولاني بالجيش على متن البحر ، ودخول تميم في الغار الذي خرجت منه نار الحرّة ليردها بأمر عمر رضي الله عنه ، وقد نص الإمام أحمد وإسحق وغيرها من الأئمة على جواز دخول المغاوير بغير زاد وترك التكسب والتطبيب لمن قوى يقينه وتوكله .

وفسر الإمام أحمد التوكل بقطع الاستشراف باليأس من المخلوقين ، واستدل عليه بقول إبراهيم عليه السلام حين تعرض له جبريل عليه السلام يوم ألقى في النار ، وقال له : ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ! فأجاب هذا اليقين لا يسألون الناس ولا يستعينون بغير الله تعالى إلا عند الضرورة القصوى أو صدور الإذن لهم بالسؤال في نوازل مخصوصة ، وفي هذه الحالة يكون سؤالهم عبودية لا تنافي التجرد والتوكل .

ومنهم<sup>(١)</sup> أهل الصُّفَّة الذين كانوا يسكنون سقيفة المسجد النبوي يستغرقون أوقانهم في التعلم والجهاد والعمل في مرضاة الله تعالى ، وقد نوه القرآن بشأنهم في سورة البقرة ، قال تعالى ( لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ) أي مشياً فيها للتكسب لشغلهم بالعمل في مرضاة ربهم ( يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ، تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْلَافًا ) ، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : هم أهل الصُّفَّة لا يسألون الناس أصلاً ، وإليه ذهب الفراء والزجاج وأكثر أرباب المعاني ، ويدل له قوله تعالى « أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ » لأن التعفف ، حتى يُظَنُّوا أغنياء ، يقتضى عدم سؤالهم رأساً ، كما أن قوله تعالى « تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهُمْ » كذلك ، إذ لو سألوا لعرفوا بالسؤال ، واستغنى عن العرفان بالسيا . وقيل : المراد أنهم لا يسألون ، وإن سألوا عن ضرورة لا يلحون [ انظر روح المعاني للعلامة الآلوسی ] .

فإذا كان ماقدّر وصوله إليهم<sup>(٢)</sup> معلقاً على سؤال الخلق وكان السؤال مقضياً ولكن لم يفتح لهم باب الإذن به ولم يكن عن ضرورة ، فإذا سألوا في هذه الحالة كانوا متسببين مكتسبين لا متجردين متوكلين .

ومن هؤلاء المتجردين من يتحقق أحياناً بمقام لا يسعه أن يسأل الحق فيه بلسان المقال . ففي [ شرح الحكم ] لابن عجيبة نقلاً عن التنوير لابن عطاء الله مانصه : كن أيها العبد إبراهيمياً ، فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه

(١) أى من أصحاب اليقين الذين لا يسألون الناس ولا يستعينون بغيره تعالى .

(٢) أى إلى الخاصة أصحاب اليقين المتقدم ذكرهم .

(لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ) وكل ماسوى الله آفل ، إما وجوداً ، وإما إمكاناً ، وقد قال سبحانه وتعالى (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ) فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ، ومن ملته عليه السلام رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم زُجَّ به في المنجنيق تعرض له جبريل عليه السلام ، فقال : ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى ، قال : فاسأله ، فقال : حسبي من سؤالى علمه بحالى .

فانظر كيف رفع عليه السلام همة عن الخلق ووجهها إلى الملك الحق ، فلم يستعن بجبريل ، ولا احتال على السؤال من الله ، بل رأى الحق سبحانه أقرب إليه من جبريل ومن سؤاله ، فذلك سألته من عمروذ ونكاله ، وأنعم عليه بنواله وأفضاله انتهى .

أى فكان عليه السلام في هذا الموطن متوكلاً على ربه ، متجرداً عن الأسباب ، مقتدرًا بدثار العبودية المحضة ، متحققاً بمقام الرضا والتسليم للقضاء ، فلم يسعه مع كونه مضطراً أن يسأل الله بلسان المقال مكتفياً بلسان الحال وهو أصدق من لسان المقال .

وظاهر أن توكل الخواص بهذا المعنى متفاوت . وقد يكون المريدون والسائرين إلى الله تعالى في حال دون حال ، وفي وقت دون وقت ، ثم هو لا يخرج عن كونه أخذاً بالأفضل ، وبالأتم الأكمل ، الذى هو في نظر الخاصة أمر محتم .

وأصحاب هذا المقام قد أصبحوا من عهد بعيد أندر من الكبريت الأحمر ، ومن بقى منهم على هذا المعنى ليس له نصيب في قوام العمران ولا حظ في شئون مجتمع الإنسان وإن كان لا بد منه لكمال الوجود الإنسانى ، وحفظ النظام

العمرائي ، كما يومئ إليه حديث : « لَوْلَا شَيْؤُخْ رُكِّعَتْ » ولذلك أقر صلى الله عليه وسلم أهل الصُّفَّةَ ، وأثنى عليهم ، ورغب في الزهادة مطلقاً مع علمه أن نشأة الدنيا تسكاد تأبى وجود هذا الفريق ، وقد كان المسلمون في الصدر الأول يرونة ذخراً في وسط العمران وصوراً لنوع الإنسان ، والآن أصبحنا لا نراه ولا في طرف الأودية وشعاب الجبال .

ما يحمل عليه حديث ابن عباس

فإن حل حديث ابن عباس على معنى إذا أردت أن تسأل أو تستعين في أى حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فاسأل الله وحده ، واستعن به دون غيره ، كما قيل : كان ذلك من التعليم الخاص بابن عباس ليرضه صلى الله عليه وسلم وهو غلام صغير على هذه النشأة الكاملة ، ومثله كل من تأهب للتجرد ، أو ضعف عن القيام بمعايشة العامة من المريدين والسائرين .

أما العارفون بالله ، الواصلون المتمكنون ، فقد تولى الحق تعالى أمرهم ، وحفظ أسرارهم ، وحرس قلوبهم بجنود الأنوار ، فهو لا تؤثر فيهم ظلم الأغيار ، وعليه كما قيل : يحمل حال خاصة الصحابة المتسبيين .

ولكن صدر الحديث كمجزيه ، ظاهر في أنه من التعليم العام الشامل للأخوادم والعوام ، فإن معنى احفظ الله بحفظك عند أهل النظر : احفظ أوامره بفعل الطاعات ، ونواهيه باجتناب المعاصي والمسكرات ، وعند القوم ذلك مع حفظ المقامات والأحوال والإرادات ، ومعنى عجزه أنه لا يقع نفع

ولا ضرر من مجموع الأمة ، ولا من أى أحد لأى أحد إلا بما هو مكتوب في لوح العلم القديم .

وظاهر أن نفع العباد بعضهم بعضاً بما هو مكتوب وضررهم كذلك من قبيل التسبب والتكسب ، ومنه ما هو مأمور به ومنه ما هو منهى عنه ، كما أن منه ما هو مباح .

فالظاهر أن الحديث محمول على ظاهره من غير ضرورة لتقدير الإرادة في شرطه<sup>(١)</sup> ولا قصر السؤال على الله في جزائه<sup>(٢)</sup> . والمراد : إذا سألت أو استعنت بمخلوق أو أردت ذلك في أى أمر من الأمور فيطلب منك أن تسأل الله مع ذلك أو تستعين به بأن تذكره بما يدل على أنه المستول أو المستعان حقيقة ، أو تستحضر ذلك معتقداً أنه الفعال ، المقدر للأمور ، المسخر للأسباب ، ليكون سؤالك للغير أو استعانتك به المقرون بما ذكر عبودية الله تعالى ، ولنجاح طلبك وتيسير أمرك وسلامتك من الشرك الخفى والغفلة عن الفاعل الحقيقى الذى بيده ملكوت كل شئ .

وأجداً بإشارة هذه الحكمة قصر المتوكلون المحتاطون سؤالهم في قضاء حوائجهم على الله تعالى ، ورأوا أن ما يفوتهم من الدنيا خير مما ينالهم منها ، وأن الاشتغال بجهاد النفس والعمل في مرضاة الله أنم وأسلم ، وقوام العمران لا يتوقف على مثلهم لقلة عددهم وعددهم في تصارييف أمورهم ، وسنة الله في السكون إقامة

(١) بأن يقال : معنى إذا سألت : إذا أردت السؤال .

(٢) بأن يقال : معنى فاسأل الله : فاسأله وحده دون غيره .



الجمهور في الأسباب والنذر القليل في التجرد والتبدل إليه تعالى : ( وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) حتى لا يفوت على المجموع إقامة المصلحة العامة ، والأوامر التدوينية ، ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، لا تطالبهم بسؤال الخلق إلا عند الضرورة القصوى أو الإذن الإلهي ، وفي هذه الحالة إذا سألوا مخلوقاً فليسألوا الله أيضاً ، لأنه الفاعل الحقيقي المسخر للأسباب الموفق لإجابتها وذلك لا يخرجهم عن التجرد والتوكل .

ومن الأدب كما ذكره القوم أن من أقامه الله في التجرد لا ينبغي أن يتطلب الخروج عنه إلى التسبب حتى ينقله الله إليه ، كما أن من أقامه الله في الأسباب لا يتطلب الخروج منها إلا بإذنه ، كما أشار إلى ذلك ابن عطاء الله السكندري في حكمه حيث قال : إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية .

وظاهر أن مشرب الخاصة الذين أقامهم الله في التجرد لا يتنافى مع مسلك العامة الذين أقامهم الله في التسبب والتكسب بالنسبة لأوامر الحديث الذي نحن بصدده ، لأن سؤال الله والاستعانة به مطلوب للعامة المتسببين ، وللخاصة المتجردين ، وقصّر سؤالهم عليه أخذاً بالأتم الأكل في عبوديتهم ، ونجاح طلبهم ، وتيسير أمرهم ، وسلامتهم من الغفلة عن طاعة ربهم ، والحديث يفهمه بدلالته كما يفهم عدم القصر بإطلاق صيغته ، وعموم شريعته ، وتحقيق حكمته ، فالأولون إذا أرادوا سؤال حاجة لا يسألون غير الله ، ولتجردهم وصدق تيقنهم ليسوا في حاجة إلى سؤال المخلوق إلا عند الضرورة أو الإذن ، والآخرين إذا

سألوا أو أرادوا سؤال مخلوق حاجة فليسألوا الله مع ذلك ، ولإقامتهم في الأسباب وتدخلهم في شئون العباد كانوا في حاجة إلى سؤال الخلق ، وربما كان التسبب والتكسب مع التحفظ من غوائله أرجح من التجرد .

على أن كلاً في مقامه بليغ ، لأن المتجرد والمتسبب على هذا المعنى كلاهما عامل لله صادق في توجهه إليه ، وإن كان صدق التوجه في التجرد أقوى لقلة عوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم .

فالحديث جدير بالشمول ، وكان من دأبه صلى الله عليه وسلم وهو المشرع لسائر أمته أن يباشر الأسباب ، ويسأل أصحابه ويسألوه ، ويستعين بهم ، ويستعينوا به في كثير من الأمور ، ومع ذلك لا يعول إلا على الله ، ولا يستمد المعونة إلا منه تعالى ، ولا يرى لنفسه ولا لغيره حولا ولا قوة .

### حث الشريعة على الأخذ بالأسباب مع التوكل

وقد حثت الشريعة الغراء على الأخذ بالتسبب والتكسب قال تعالى : ( فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ) وقال تعالى ( وَهُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ) وفي الحديث « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ الْمُخْتَرِفَ » وفيه « اكْتَسَبَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ » وَلَا تَكُنْ كَلًّا عَلَى غَيْرِكَ ، وَخَيْرُكُمْ مَنْ لَمْ يَتْرِكْ دُنْيَاهُ لِآخِرَتِهِ ، وَلَا آخِرَتَهُ لِدُنْيَاهُ » بل يعمل لكل منهما لأن الانقطاع لأحدهما من العامة موجب لاختلال النظام العام ومفوت لسعادة الدنيا والآخرة ( نعم ) ينبغي أن

يكون اهتمام المؤمن بأمور الآخرة أتم وأكمل كما يشير إليه حديث : « اعملْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

ومن الأخذ بالأسباب مساهلة الخلق بعضهم بعضاً وتعاونهم في أمور معاشهم ومعادهم وقد قال تعالى ( وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنِّمِ وَالْمُذُونِ ) وروى مسلم عن عائشة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذي تبعه في غزوة بدر : أَرْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ » . فقاده أنه صلى الله عليه وسلم يستعين بغيره من المسلمين . وقال جل شأنه ( فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما « سَلُوا أَهْلَ الشَّرَفِ عَنِ الْعِلْمِ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ فَأَكْتُبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَ » أى لأهم يصونون شرفهم عن أن يندسوه بمعة الكذب .

وروى على رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبُوا الْمَعْرُوفَ مِنْ رُحَمَاءِ أُمَّتِي » وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال : « اطلبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » إلى غير ذلك مما ورد كتابا وسنة في هذا الباب .

والأخذ بالتكسب والتسبب على الوجه الذى تقرر في حديث ابن عباس يتضمن التوكل بالمعنى العام وهو الاعتماد على الله تعالى في جميع الأمور ، ففي الحديث « اغْلِظْهَا وَتَوَكَّلْ » أى تسبب واعتمد على الله تعالى .

ومرَّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم فقال : من أنتم ؟ فقالوا :

التوكلون ، قال : أنتم المتأكلون ، إنما التوكل رجل أتى حَبَّةً في بطن الأرض وتوكل على ربّه ، أى ألقاه معتمدا عليه في إنباته وإثماره وحفظه ودفع آفاته .

فالتوجه إلى الله تعالى والاعتماد عليه عند مباشرة السبب والأخذ به لدفع خطر الغفلة عن الله وإهمال طاعته من شعَب الإيمان ، فإن الاشتغال بالأسباب والأخذ بها وإن كان مشروعا مقام خطير .

وبقدر ما دلّ التدوين والتكوين على طلب الأخذ بالأسباب دلت النصائح الدينية على التحذير من خطره ، والتحفظ من غوائله ، وتدخل الشرك الخفى من جرّائه ، حتى قيل في قوله تعالى ( وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ) أنهم الناظرون للأسباب المعتمدون عليها .

وهذا ماعنت به البلوى في هذا الزمان ، لافرق بين خاصة الناس وعامةهم ، غنيهم وفقيرهم ، حقيهم وعظيمهم ، فإذا نزل بأى واحد منهم حاجة من حوائج الدنيا هرع إلى الخلق وألح في سؤا لهم واعتمد على وعدهم بإجابته وغفل عن الله في قضاء حاجته ولا يرجع إلى الله إلا عند اليأس من خلقه ، نعوذ بالله من جنون العمل .

وقد علمت أن حديث ابن عباس رضى الله عنهما كما يشير بحكمته إلى الأخذ بالتجرد ، والتوكل الخاص يدل أيضا على التسبب والتكسب مع التوكل العام ، وهو الاعتماد على الله تعالى وملاحظة أنه الفاعل المختار : أى إذا تسببت فسألت مخلوقا أو استعنت به فلا تعتمد عليه ولا تغفل به عن الله ، بل اعتمد على الله وسلّه واستعن به على المعنى اللائق بفاعليته ، وإذا لم تسبب وأردت سؤال حاجة أو أردت الاستعانة فيها فسأل الله واستعن به دون غيره .

وقد علمت محل منطوق الشرط ومفهومه ، فهذا وذاك من الحديث موضع التعليم والإرشاد ، ومحط الإسعاد والإمداد .

وفي الحديث الشريف : « سَلُوا اللَّهَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الشَّيْءِ ، فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ يُبَيِّنْهُ لَمْ يَبَيِّنْهُ » أى إن لم يبيسره على يد مَنْ سألتموه لم يبيسر ، لأنه المعطى المانع لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، له الخلق والأمر ، وبيده النفع والضرر ، وهو على كل شيء قدير .

حديث ابن عباس على هذا المعنى أفاد تقييد سؤال الخلق بسؤال الله تعالى ، والاستعانة بهم بالاستعانة به ، وعموم هذا الحديث أكد ذلك وأشار إلى حكمته بقوله : « فَإِنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ يُبَيِّنْهُ لَمْ يَبَيِّنْهُ » .

والظاهر أن المراد بهذا القيد الطلب النفسى ، سواء كان معه طلب لفظى أم لا ، لأن الغرض منه وهو تيسر المطالب والسلامة من الغفلة وخطر الشرك حاصل بالطلب النفسى ، بل مجرد اعتقاد أن الله هو الفاعل الحقيقى المنفرد بالإيجاد والخلق أو ملاحظة أن سؤال الخلق والاستعانة بهم إنما هو لكونهم مظاهر فعله ومواقع امتثال أمره كافٍ لحصول هذا الغرض ، لأن المقصود الاعتماد على الله عند مباشرة السبب .

ولم يثبت مواظبة من أقيموا فى الأسباب من السلف على الجمع بين الذكر اللسانى والقلبى نعم هو الأكمل والأوفى ، بل هو الظاهر من المقابلة بين الشرط والجزاء فى لفظ الحديث .

ونظيره قوله تعالى : ( وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) أى لا تقولن فى حال من الأحوال إني فاعل ذلك غداً إلا حال

ملازمة هذا القول لذكر مشيئة الله عز وجل ، فلا تقله مجرداً عن التلبس بالمشيئة ليتم مطلوبك ، وتسلم من خطر الغفلة ، وخفى الشرك ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولأمته ، فإن هذه الآية نزلت حين سألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال عليه الصلاة والسلام « غدا أخبركم » ولم يستثن ، فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوماً ، فشق ذلك عليه ، وكذبت قريش وحاشاه ، ويدل على تأكد هذه الملازمة قوله تعالى : ( وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ) أى اذكر مشيئته بأن تقول : إن شاء الله تعالى إذا فرط منك نسيان ذلك ، ثم تذكرته فهو أمر بالتدراك حين الذكر ، سواء قصر الفصل أم طال .

وعلى قياسه يقال فى الحديث : إذا سألت الخ ، أى لا تسأل مخلوقاً ولا تستعن به إلا مع ذكر الله بما يدل على سؤاله والاستعانة به .

والأوفق أن يكون التوجه إلى الله تعالى وقصد سؤاله متقدماً على سؤال المخلوق ، لأنه الفاعل الحقيقى المتقدم على السبب الذى لا يؤثر على إطلاق فاعليته فى ملكه وملكوته ، وأنه إذا نسي ذلك يذكره ولو طال الفصل قياساً على آية المشيئة .

وروى أن سيدنا موسى عليه السلام مرض بعينيه فشكى إلى ربه ، فأوحى إليه أن اذهب إلى فلان من بنى إسرائيل يدلك على ما يزيل عنك المرض ، فذهب إليه وعمل بما دل عليه فبرئ من مرضه ، ثم حصل له مثل هذا المرض مرة أخرى فعمل الدواء من نفسه واستعمله فلم يحصل له الشفاء ، فتمجب سيدنا

موسى ، فأوحى الله إليه بأن الشفاء حصل في المرة الأولى لأنك التجأت إلينا أولاً وأما في الثانية فقد التجأت إلى الدواء أولاً فلم يحصل .

. وظاهر أن سؤال غير الله والاستعانة به إذا كان واجباً أو مندوباً داخل في عموم صدر الحديث : « احْظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ » فإن حفظ الواجب والمندوب من حفظ أوامر الله تعالى وطاعته ، ومع ذلك لا بد في السؤال والاستعانة بالخلق من تقييده بالتوجه والقصد إلى الله تعالى على النحو الذى أشرنا إليه ، وهو كاف في الغرض المطلوب كما تقدم .

والسكلام في السؤال لغیر الشجاعة والاستكثار من الدنيا ، وإلا فهو عمقوت شرعاً بانفاق المسلمين .

ثم بعد تقرير معنى الحديث على هذا الوجه رأيت في شرح الأربعين للعلامة أبى عبد الله محمد بن شهاب الدين المشهور بالمسعودى الحنفى من علماء أواخر القرن الثامن ما نصه : قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألت فاسأل الله » معناه يتخرج على وجهين « أحدهما » إذا أردت سؤال حاجة فاسألها من الله وحده ولا تقصد فيها غيره « والثانى » إذا سألت مخلوقاً حاجة فليكن مقصدك فيها الله واجعل المخلوق آلة مصرفة ، فلا تعتقده يحلب لك منفعة أو يدفع عنك مضرة ، ففي الوجه الأول يخرج على الندب بالترام الطريق الأكمل ، لأن من لا يقصد في حوائجه غير الله فهو أفضل ، ولكن لا يخرج عليه سؤال الحوائج من المخلوقين بشرط أن لا يرى بأيديهم منفعة ولا مضرة ، فلذلك يتخرج في الوجه الثانى على الأمر المحتم ، إذ في اعتقاد المنفعة والمضرة من المخلوق شرك ، وقوله : « وإذا

استعنت فاستعن بالله » معنى هذا ليكن استعانتك بالله وحده ، فإن احتجت إلى مخلوق تستعين به فلا ترى العون إلا من الله وحده ، والعون يكون من الله للعبد عند إرادة الفعل فيكون به استطاعته على إيقاع ذلك الفعل ، فإن حرم العون لم يكن له استطاعة عليه اه .

وكتب إلينا حضرة الأستاذ العلامة أخينا الشيخ محمد زاهد السكوثرى ما فهمه في جملة الحديث فقال : إذا سألت أى سؤال من أى مسئول فاسأل الله التوفيق للإجابة في ذلك السؤال ، وإذا استعنت أى استعانة بأى مستعان فاستعن بالله للنجاح في تلك الاستعانة ، وهذا هو المعنى الظاهر من الحديث ، وأما أن يقال فيهما إذا أردت السؤال فاسأل الله ، وإذا أردت الاستعانة فاستعن بالله ، فعنى مجازى يحوج إلى صارف عن الحقيقة حتى لا يتحد الشرط والجواب اه .

وهذا وذاك قد يؤيد من وجه بعض ما قررناه بوضوح في معنى الحديث ، وما استظهرناه في معنى التقييد المذكور وكفايته .

وقول المسعودى : آلة مصرفة من صرف الشيء أعمله في وجوه عديدة ومنه « تصريف الرياح » أو من صرفت الرجل في أمرى فتصرف فيه ، والمخلوق آلة يصرفها الله في أموره فيتصرف فيها ويتطلب كسب ما ينالقه الله فيه ، وقوله : فلا تعتقده يحلب لك منفعة أو يدفع عنك مضرة ، أى أنه لا يخلق شيئاً من ذلك بل ولا يكتسبه إلا بإذن الله تعالى .

وعلى أى محل من هذه الحامل يندفع التناقى بين الحديث وبين ما قيل :  
إذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا بأصحاب القبور ، أى مع استعانتكم بالله تعالى  
عند ذلك بأن تذكره بما يدل على أنه المستعان الحقيقى .

وفى قوله : إذا تحيرتم إشارة إلى أنه ينبغى أن لا يصار إلى الاستعانة بغير الله  
تعالى إلا عند الحاجة مع الشرط المار ، وهو اعتقاد أن الأمر بيد الله وأن  
أصحاب القبور أو غيرهم لا يملكون ضرراً ولا نفعاً ، وإنما لهم التسبب والكسب  
الذى لا يقع إلا بإذن الله تعالى .

وقد أطلنا الكلام فى هذا الموضوع . مع أن الجواب عن التناقى المذكور  
لا يتوقف على كل هذا ، لأنى كنت حريصاً على شرح حديث ابن عباس على  
حدته تفهما له وتبركا بخدمته ، فلم أوفق ، وعند وصولى إلى تبليض هذا الموضوع  
إذ كنت بالراشدة بالوحدات الداخلة للاستشفاء بمياهها وتغيير الهواء بهوائها ،  
انتهزت فرصة المناسبة لشرح هاتين الجملتين ، واكتفيت بهذا القدر فى بيانها  
مع ما كتبناه عنهما مما له مناسبة بمحلها فى (الرسالة الثانية فى حكم التوسل بالأنبياء  
والأولياء عليهم السلام) فراجعوه .

وقول بعض المحققين فيما تقدم : فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات مما يشير  
إلى تصرف هذه النفوس الفاضلة بعد الوفاة ، سواء كان بنحو شفاء المريض ،  
وإنقاذ الغريق ، والنصر على الأعداء أو غير ذلك . وقد علمت أنه لا مانع منه كما  
تقدم بيانه مفصلاً . وسيأتى له مزيد بيان .

وقد أسند الله إلى الملائكة ما هو فوق ذلك من التوفى وإحياء الموتى بإذن  
الله تعالى ، وثبت مثله لنبينا صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء كعيسى

عليه وعليهم السلام قال تعالى (وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ  
مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ  
طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) وهل ذلك ونحوه إلا يكون هذه الأرواح الطاهرة المقدسة لما  
لها عند الله من الزلفى والكرامة موضع أسرارها ، ومظهر كرامتها ، وخوارق عاداته  
فيدبر الله الأمر على أيديها كما يدبره على أيدي الملائكة بإذن الله تعالى ،  
والمدبر فى الحقيقة هو الله وحده وهذه جنوده (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) كما  
قال جل شأنه (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) فالنفوس  
المقدسة والملائكة المطهرة إنما يسند إليهم التدبير والتصرف على المعنى اللائق  
بهم ، وهل ينبغى لأحد أن ينازع فى إسناد ما ذكر إليهم بعد هذا .

تعقب الآلوسى لكلام بعض المحققين

والتنبية على الجواب عنه

وبهذا تعلم ما فى تعقب العلامة الآلوسى لما نقله عن بعض المحققين حيث قال  
إن فى حل الآية<sup>(١)</sup> على النفوس الفاضلة المفارقة إيهام صحة ما يزرعه كثير من  
سخفة العقول أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض ، وإنقاذ  
الغريق ، والنصر على الأعداء ، وغير ذلك مما يكون فى عالم الكون والفساد  
على معنى أن الله تعالى فوض لهم ذلك ، ومنهم من يخص ذلك بخمسة من الأولياء

(١) أى آية سورة النازعات .

والشكل جهل ، وإن كان الثاني أشد جهلا هـ . لما علمت أن تصرف الأولياء بنحو ما ذكر أمر جائز ، بل واقع لامرية فيه ، سواء حال الحياة أو بعد الوفاة ، فإن كان الجهل والسخافة التي وصم بها الكثير من جهة أن تصرف الأولياء بنحو ما ذكر ليس من شأنهم أحياء وأمواتاً ، وإنما هو شأن الله وحده ، فقد علمت أن لهم ذلك<sup>(١)</sup> ، وأنه من شأنهم أيضا إذا وصلوا إلى هذه المرتبة أو دونها إما بالسعي في حصوله والإرشاد إليه ، وإما بمباشرة بإذن الله تعالى كسبها لخلقها كما يعالج الطبيب المريض فيشفى على يديه<sup>(٢)</sup> ، وإن كان موضع الجهل والسخافة قوله على معنى أن الله تعالى فوض لهم ذلك ، فمع كونه ليس في كلام بعض المحققين ما يوهمه ، فليس ذلك من الجهل ، ولا من السخافة في شيء .

### كلام الصوفية في معنى تفويض الله تعالى لبعض أوليائه

في التصرف وأنه إذنه

فإن<sup>(٣)</sup> تفويض الله تعالى للأولياء في التصرف حال حياتهم أو بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض ، وإنقاذ الغريق ، والنصر على الأعداء وغير ذلك ، أمر ثابت عند السادة الصوفية ، بل وعند غيرهم إذ لا يمنعه عقل أو نقل ، ومعناه أن الله تعالى

(١) أي بإذنه تعالى وأمره ، وهو المراد من التفويض وبذلك يندفع الاعتراض : وما يوهمه نطق التفويض عرفا .

(٢) والشفاء إما هو بمشيئة الله تعالى لا بفعل الطبيب . (٣) تعليل نقوله فليس ذلك الخ

يأذن الولي الكامل بالتصرف في مثل هذه الشئون الكونية التي علم الله وقوعها على يديه بأن يعلمها بها وبأوقاتها قبل وقوعها ، ويأذنه بمباشرتها كسبها لخلقها ، بحيث لا يحتاج عند كل حادثة إلى إذن يخصها . فقد ذكر أبو الموهب الشاذلي رضي الله عنه أن الولي الكامل قد يعطى الإذن من الله بالتصرف في بعض الشئون الكونية جملةً ومنّ دونه يعطى الإذن بحسب النوازل والوقائع ، ومن أعطى الإذن بالتصرف جملةً أو تفصيلا لا يخرج عن مشيئة الفاعل المختار ، ومن زعم غير ذلك فقد محيت عنه المعارف والأنوار هـ . وقد عرفت معناه وأنه مما اتفق عليه السادة الصوفية ، وليس في كلام أهل الرسم ما يخالفه ، بل فيما قصه الله تعالى عن عيسى عليه السلام وما أسنده إلى ملائكته الكرام ما هو ظاهر في ذلك .

وتقدم في مبحث الرؤيا عن ابن القيم نقلا عن بعض السلف أنه قال : وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه وألهمه معرفة كل نفس بعيانها واسمها ومقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها بحيث لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط منها في شيء فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه إلى آخر ما ذكره هناك . ولا شك أن هذا ضرب من التفويض ، وظاهر أنه لا فرق بين الإنس والملك في هذا الباب .

وأما قوله بعد هذا التعقيب الذي علمت مافيه : (نعم) لا ينبغي التوقف في أن الله تعالى قد يكرم من يشاء من أوليائه بعد الموت كما يكرمه قبله بما شاء ، فيبرئ سبجانه المريض ، وينقذ الغريق ، وينصر على العدو ، وينزل الغيث وكيث وكيث

كرامة له ، وربما يُظهر عز وجل من يشبهه صورة فتفعل ما سئل الله تعالى بحرمته مما لا إثم فيه استجابة للسائل ، وربما يقع السؤال على الوجه المحذور شرعا فيظهر سبحانه نحو ذلك مكررا بالسائل واستدراجا له اهـ . فهذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين ، وهو يحمل الكرامة عند العامة غالبا والخاصة قد يطلقونها على ذلك فما بال العلامة الألوسي يتوقف في إكرام أوليائه تعالى بمثل ما ذكر بعد وفاتهم؟! مع أن أرواحهم حية باقية سمیعة باصرة صالحة للتوجه والعمل ، مأذونة بالتصرف من الله تعالى في بعض الشئون تصرف كسب لا تصرف إيجاد وخلق كما هو لها حال حياتها في الدنيا بلا فرق ، بل تصرفها بعد مفارقة أبدانها أولى وأجدر .

والحاصل أن المتبئين لكرامات الأولياء وأنهم يتصرفون بنحو شفاء المريض وإنقاذ النريق سواء حال الحياة أو بعد الوفاة لم يريدوا أنهم يخلقون ذلك ولا أن الله فوض لهم خلقه وإيجاده ، وإنما أرادوا أن الأولياء لطهارة نفوسهم ، ولما لهم عند الله من الزلف والكرامة إذا توجهوا إليه سبحانه بأرواحهم الزكية وهمهم العلية ، وطلبوا منه جلب منفعة أو دفع مضرة سواء صدر منهم هذا التوجه بسؤال الغير لهم والتوسل بهم أو من تلقاء أنفسهم ، وسواء كانت أرواحهم على حالتها الأصلية أو متشكلة في صورة جسدية ، فإن الله تعالى يكرمهم بإجابة طلبهم الذي تحينوا فيه وقت الإجابة حسبا هو مقدر في علمه ومسطور في لوجه .

وبالضرورة إذا لم يتحين الولي وقت الإجابة بل تقدم أو تأخر في طلبه لا يستجاب له ولا يقع مطلوبه ، وقد يطلع الله عليه جملة أو تفصيلا فلا يتقدم ولا يتأخر .

وليس في التوسل بهذا المعنى أذى غضاضة أو توهم شرك أو إيهام نقص في حقه تعالى ، فإن المتوسل بهم معتقد وقائل أنه لا فاعل ولا خالق إلا الله تعالى ، وإنما التوسل بالولي والنبي سبب من الأسباب العادية التي يخلق الله الشيء عندها أو بها .

وهذا التوجه الروحاني هو المسمى عندهم بالفعل بالمشيئة المشار إليه بقوله تعالى : ( لَمْ يُمْسِكْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ) ولا يشاءون إلا حيث يشاء الله تعالى كما قال تعالى : ( وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ) وإن كان سياق الآية في بعض سور القرآن في روضات الجنات وفي بعضها أعم من ذلك .

على أن بعض الأولياء قد يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يصير مظهر أسمائه وصفاته فيفعل ويتصرف بنفس مشيئة الله وعلمه وقدرته وسمعه وبصره ، بحيث تغني آلاته وقواه الكسبية في نظره كما جاء في الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى قال : « مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبُّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَكِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ » رواه البخاري في صحيحه .

وصاحب هذه المنزلة لا يتقدم في مشيئته عن مشيئة الله ، ولا يتأخر ، بل يفعل بمشيئة الله وسمعه وبصره ، فإن العبد إذا تقرب إلى مولاه حتى وصل إلى مرتبة المحبة والقرب ، ولا يكون ذلك إلا برفع الحجب البشرية ومشاهدة

الأمر على ما هو عليه ، أعطاء الله من أسمائه الذاتية ، وصفاته الفعلية ما هو له أهل ، وجعله مظهر أسمائه وصفاته ، وفي هذا الظهور يكون جل شأنه هو السميع البصير ، الظاهر في عبده ، المتكلم على لسانه ، كما يشير إليه الحديث المذكور ، ومتى وصل العبد إلى هذا المقام استغنى بر به عن الآلات في فعله وتركه ، وهذا المقام أخص من مقام الفعل بالمشيئة ، وهو أن يوجه العبد إرادته للشيء فينفعل عنه بإذن الله تعالى بدون حاجة إلى الآلات البدنية أو غيرها ، مما شأن الفعل أن يتوقف عليه ، والعارفون في بعض الأحيان قد يستعملون الآلات في هذه الحالة حفظاً للرسم وستراً للوسم .

### الفعل بالمشيئة لا يعارض عموم القدرة الإلهية

ثم الفعل بالمشيئة كسائر أفعال الخليفة لا يعارض عموم القدرة الإلهية ، لأنه لا يكون إلا بإذن الله وقدرته ، ومهما قويت إرادة العبد فأنفعال الأشياء عنها إنما هو بمشيئة الله وقدرته الشاملة ، وليس لقدرة العبد إلا التسبب والسكسب ، وإليه يشير ابن عطاء الله السكندري في حكمه حيث قال : [ سوابق المهم لا تخرق أسوار الأقدار ] ، والهمم : جمع همة ، وهي قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام به ، والهمم السوابق : أي القوية لا تخرق أسوار الأقدار ، بل تدور مع القدر حيث دار ، كما دلت عليه عقول الأخيار وقضايا الشرع المختار ، فإن تعلقت بما تعلق به القدر فقد وافقته ، ويكون الفعل للعبد كسباً والله أمراً وخلقاً كما قال تعالى ( وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ) وقال ( أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ) .

وإن فرض أنها تعلقت بغير ما تعلق به القدر - ولا يقع ذلك من العارفين إلا نادراً - فلا يكون إلا ما أَرَادَهُ اللهُ جل شأنه : ( لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ) ، ( وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ) بل همة العارف إذا توجهت للشيء فوجدت سور القدر مضروبا عليه تأدبت معه ورجعت لوصفها وهو العبودية ، فلا تأسف ، ولا تحزن ، بل ربما تفرح لرجوعها لحلمها وتحققها بوصفها وبمعرفتها لربها كما قيل لبعض العارفين : بماذا عرفت ربك ؟ قال : عرفته بنقض العزائم .

نعم إذا اهتم العارف بشيء وقويت همته به فإن الله تعالى يكون ذلك الشيء بقدرته في ساعة واحدة حتى يكون أسره بأمر الله ولا يخطئ في اهتمامه إلا نادراً ، وفي الحديث « إِنَّ لِلَّهِ رِجَالًا لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُمْ » وفيه : « رَبُّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ » . ومن هنا قيل : إن لله أقواما إذا رفعت حواجهم قضيت حوائجهم .

وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية وإن كان صاحبها ناقصا كما يقع للعائن والساحر عن خبثهما ، أو لخاصية جعلها الله فيهما إذا نظر للشيء بقصد انفعال ذلك بإذن الله تعالى .

وقد يكون للتمرين العملي دخل كبير في تربية الإرادة النفسية ، وتقوية عزيمتها ، وتسخير الأشياء لها حتى يكون عنها من الأفعال الغريبة ما يشبه الكرامة والسحر وليس بذلك .

ومن هذا القبيل بعض الحركات الرياضية ، والألعاب التمثيلية كالتمشي على الحبال والأعواد والأسلاك ، فإن ذلك في الحقيقة يرجع إلى تربية الإرادة النفسية



وتعربها على الأعمال الغريبة، وهذا كله أيضا لا يخرج أسوار الأقدار، قال تعالى (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) وقال تعالى (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)، وقال تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، وقال صلى الله عليه وسلم «كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ» أى النشاط للفعل. وأشعر قوله سوابق المهم: أن المهم الضعيفة لا يفعل لها شيء وهو كذلك في الخير والشر، نعوذ بالله من ضعف الإرادة ودناءة المهمة.

### الفعل بالمشيئة لبعض النفوس الدنيئة

وقد أَرَانَا الله سبحانه وتعالى نموذجا من الفعل بالمشيئة في هذه الدار على يد من هو دون تلك النفوس الزكية كالعائن الحسود، فإن روحه قد تتوجه إلى الشيء العظيم فتفسده بمجرد النظر والإرادة بدون احتياج إلى استعمال آلة متصلة كانت أو منفصلة، فكثيرا ما ينظر العائن إلى الشيء الحسن متاعا فيتلفه، أو طفلا أو حيوانا فيفسده، وقد ورد «إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ وَإِنَّمَا تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمْلَ الْقَدَرُ» وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «كَادَتِ الْعَيْنُ تَسْبِقُ الْقَدَرَ» وقد ذكر الآلوسى في تفسير قوله تعالى (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) ما يدل على فعل النفوس بالتوجه والإرادة بدون حاجة إلى استعمال الآلات، والقوى البدنية، حيث نقل عن بعضهم أنه كان في بنى أسد عيانون، فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية. وقال الكلبي: كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب

خبائه، فيقول: لم أرك اليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه، فتسقط طائفة منها وتهلك، فاقترح الكفار عليه أن يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعصم الله نبيه وأنزل عليه هذه الآية، وقد قيل: إن قراءتها تدفع ضرر العين، وروى ذلك عن الحسن.

وفى كتاب [الأحكام] أن هذه الآية أصل في أن العين حق، والأولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصح من عدة طرق أن العين تدخل الرجل القبر، والجل القدر، وبما أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات عن أبي ذر مرفوعا «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَوَلِّعُ بِالرَّجُلِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَصْعَدَ حَالِقًا مُمٌّ يَتَرَدَّى مِنْهُ» إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة، قال: وذلك من خصائص بعض النفوس، والله تعالى أن يخص ما شاء منها بما شاء، وإضافته إلى العين باعتبار أن النفس تؤثر بواسطتها غالبا، وقد يكون التأثير بلا واسطتها بأن يوصف للعائن شيء فتتوجه إليه نفسه فتفسده اه آلوسى.

وإذا كان هذا في النفوس الدنيئة، وأن الله سبحانه أن يخص ما شاء منها بما شاء فلم لا يكون مثله من نوع الخير أو مطلقا في نفوس الأولياء فيفعلون بالتوجه والإرادة، ويتصرفون بإذن الله تعالى كما فعلت عين ذلك العائن المولعة بالرجل بإذن الله تعالى، فأهلكته بدون حركات واستعمال آلات لا فرق في ذلك بين حال الحياة والموت.

ثم قال: ومثل ذلك ما قيل: إنه من باب التأثير بالقوة المعروفة اليوم بالقوة الكهر بائية عند الطبيعيين المحدثين، فقد صح أن بعض الناس يكرر النظر إلى بعض الأشخاص من فرقه إلى قدمه فيصرعه، أى يتوممه كالمنعى عليه، وربما

يقف وراءه جاعلاً أصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه إليه حتى تضعف قواه فينشأ نحو النوم ويتكلم إذ ذاك بما لا يتكلم به في وقت آخر ، وأنا لا أزيد على القول بأنه من تأثيرات النفوس ولا أكيّف ذلك . فالنفس الإنسانية من أعجب مخلوقات الله عز وجل ، وكم طوى فيها أسراراً وعجائب تتحير فيها العقول ، ولا ينكرها إلا مجنون أوجهول انتهى . يشير إلى مسألة التنويم المغناطيسي ، وتقدم الكلام عليه مفصلاً وسبق عنه أنه قال بتمثل الأرواح في صور عديدة وقدرتها على التشكلات والأفاعيل العجيبة التي لا تقدر عليها حال تعاملها بالأبدان إلا لمن خصه الله تعالى بقوة النفس وتسخير آلائها ، وقواها البدنية حسبما تريد كما سخر لها الأشياء الكونية تسخيراً مقروناً بالإمداد الإلهي والإذن الرباني انتهى .

هذا ما ذكره العلامة الألوسي في مواضع من تفسيره ، وانظره مع تعقبه للمار وإنكاره تصرف النفوس البشرية في عالم الملك بعد وفاتها ، وتعليل ذلك بما هو أوهى من بيت المنكوت ، مرة بأنها مشغولة في عالم البرزخ ، ومرة بأنها في عالم آخر مبين لعالم الدنيا ، ومرة بأن التصرف بنحو شفاء المريض ليس من شئونها بعد الوفاة ، فإن ذلك لا يأتى مع ما نقلناه عنه هنا ، ولا مع غيره ممن يعتقد به ، والله الموفق للصواب .

كلام صدر الدين الشيرازي صاحب الأسفار وغيره

في الفعل بالمشيئة بعد الموت

ويؤيده ما تقدم عن صاحب الأسفار وغيره من أن الروح إذا فارقت البدن وتحولت عن عالم الخلق وكشافته إلى عالم الأمر ولطافته بصير وجودها وجوداً مفارقاً عقلياً لا تحتاج معه في أفاعيلها المختلفة وتصرفاتها المتفاوتة إلى البدن وآلاته وذلك من معاني تطورها في نشأتها ، فإنها في أصل نشأتها كانت عاقلة دراية غنية في كل شئونها عن هذه الآلات ؛ ثم لما تعلق بهذا البدن السكثيف عاقبتها ظلمته الجسمية عن تذكر ما كانت عليه في نشأتها الأولى ، واشتغلت بتدبيره وتصرفه ، ولبست ثوباً آخر في طور جديد ، فإذا فارقت بالموت عادت إلى ما كان لها في نشأتها الأولى ، وأصبحت غنية في تصرفها عن هذا البدن وآلاته إلا أنه قد يبقى مع بعض النفوس من الآثار البدنية ، والكيفيات الطبيعية مالا ينمحي إلا بعد زمن بعيد ، وقد يبقى إلى انتقالها من دار البرزخ وبعثها في النشأة الآخرة ، ولهذا قد يلتبس عليها من المكاشفات العلمية والملاحظات الكونية ، فلا تصل إلى حقائق الأشياء كما هي انتهى .

ومن هنا قيل : إن كشف الأولياء قد يقع فيه الغلط فيخبرون بالشئ على خلاف ما هو بدون قصد ، وقد يعبرون ما يرون من طلائع الألواح العلوية بغير ما أريد منها . أما الجن فيقع منهم ذلك عمداً وخطأً .

وبالجملة فنرى وقف على أحكام الروح وتجربتها عن البدن لا يسعه أن ينكر

تصرف الأرواح بعد مفارقتها للأبدان وتجردها عن حجاب البشرية المانع من الحقوق بمالم الأمر المتصرف في الوجودين. كيف وهي في هذه الحالة قد توفر لها من القوة والكمال مالم يكن حال تعلقها بالبدن .

ولو أن المنكرين لكرامات الأولياء وتصرف الأرواح بعد الموت عكسوا القضية وقالوا بنفي الكرامة والتصرف حال الحياة عند تعلق الأرواح بالأبدان الذى من شأنه أن يعوق النفس عن التصرفات الغريبة والأفعال العجيبة التى تقدر عليها حال مفارقتها للأبدان كما تقدم ، لكان لما ذهبوا إليه وجه في الجملة ، والتثبت بأن الأرواح صارت في عالم آخر مشغولة بما لديها عن التصرف في هذا العالم المحسوس ، قد علمت رده ، وهل تصرفها في عالم الكون والفساد وهي في عالم الأمر والإطلاق أبعد من تصرفها في العوالم الأخرى وهي متعلقة بأبدانها مدبرة لشؤونها لاشك أن الأمر بالعكس .

كلام ابن خلدون والإمام فخر الدين الرازى

في أصناف النفوس البشرية

وذكر العلامة ابن خلدون في مقدمته : أن هناك صنفاً من النفوس البشرية يخبر بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيه يتميز بها عن سائر النفوس ، ولا يرجع في ذلك إلى صناعة ولا يستدل عليه بأثر من النجوم ولا غيرها ، وإنما مداركه في ذلك بمقتضى فطرته التى فطر عليها ، وذلك مثل العرافين والناظرين في الأجسام الشفافة ، كالمرايا وطساس الماء ، والناظرين في قلوب الحيوانات

وأكبادها وعظامها وتخطيط الكف ورسوم الأعضاء ، وأهل الزجر في الطير والسباع ، وأهل الطرق بالحصى والحبوب من الحنطة والنوى وغير ذلك من الدلالات التى يختص بفهمها وحل رموزها أصحاب هذه الفطر ، ولا يمكن التعويل عليها لغيرهم ، وهذه كلها موجودة في عالم الإنسان لا يسع أحداً جحدها ولا إنكارها .

وكذلك أهل الرياضات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة ، وكذلك المجاذيب يلقي على ألسنتهم كلمات من الغيب فيخبرون بها ، وبعض هذه الأصناف يستعين على ذلك بشغل حسه عند النظر في الماء والطساس ، وأمثال ذلك بالبخور أو بالعزائم ، وبعضهم يكون له دعوى يتبعه من الجن فيخبره عما يريد ، وقد يصدق وقد يكذب . انتهى ملخصاً .

وفي [ مفاتيح الغيب ] للإمام الرازى أن من النفوس البشرية ما يستعين بالأرواح الأرضية ، وأن اتصال النفس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، وإن كانت القوة الحاصلة للنفس بسبب اتصالها بهذه الأرواح الأرضية أضعف من القوة الحاصلة لها بسبب اتصالها بتلك الأرواح السماوية ، فإن النفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة للأنوار الفائضة من الأرواح السماوية والنفوس الفلسكية ، فتقوى هذه النفوس بأنوار تلك الأرواح ، وتقدر على أمور غريبة خارقة للعادة ، وأنها في هذه الحالة تكون مستعملة على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات ، كأنها روح من الأرواح السماوية ، فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم ، أما إذا كانت ضعيفة

شديدة التعلق بالذائد البدنية فلا يكون لها تصرف إلا في هذا البدن ، وبعض الناس يحاول تعدى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر ، أو إلى نفس أخرى غائبة عنها فيتخذون تمثال ذلك الغير أو شبها يضعه عند الحس ويشغل الحس به شغلا تاما فيتبعه الخيال ، وتقبل النفس الناطقة عليه فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ، ولذلك أجمعت الأمم على أنه لا بد لمزاولة هذه الأعمال والوصول إلى غايتها من الانقطاع عن المألوفات ، والمشتبهات وتقليل الغذاء ومخالطة الخلق ، وكلما كانت هذه الأمور أنتم كان ذلك التأثير أقوى .

وإذا اتفق أن كان للنفس التي تزاوّل هذه الأعمال مناسبة لهذا الأمر نظرا إلى ذاتها وخاصيتها عظم التأثير كما ذكرنا نظيره في النفوس الصافية ، وإذا كان بينها وبين بعض النفوس الفارقة لأبدانها مشابهة في قوتها وتأثيراتها لم يبعد أن تنجذب إليها ، ويحصل لها نوع ما من التعلق بالبدن ، فتعاوض نفسه على أفعاله الكثيرة ، وكلما كملت المشابهة وازدادت القوة قوى التأثير .

وبالجملة : فالنفس الناطقة عرش محيط بعالم الطبيعة التي هي القوة الإلهية السارية في الأجسام كلها إحاطة شاملة كما أن المبادئ العالية محيطة بهما والله من وراءهم محيط .

فإذا نحت النفوس بمداركها وحركة فكرها إلى جهة المحيط ، واتصلت بالعالم العلوي كانت كأنها روح من أرواحه ومجلى من مجاليه ، يظهر فيه ، وعنه من الخوارق كل ما أراد أن يظهره الفيض من طريقه ، وإذا تنزلت إلى عالم الطبيعة واشتغلت بلذائد البدن وشهواته لم يكن لها من الإدراك والتصرف إلا ما تسمعه قواه الكونية الضعيفة اهـ .

وما قدمناه في هذا المطلب وما قبله مختصا بتصرف الأرواح بعد الوفاة وحال الحياة في عالم الملك والملسكوت فيه مقنع للمتكبرين وأى مقنع ، وما أظن أحدا ذا فهم مستقيم يعمن النظر في هذا البيان يرتاب في كرامات الأولياء وتصرفات أرواحهم حال الحياة وبعد الممات ، أو يستغرب حوادث التنويم والتحضير ، أو يشك في أن من النفوس البشرية ما يتصل بتلك المبادئ العالية ، أو يفتقر بنفوس أخرى علوية كانت أوسفاية تساعد في إدراكها وإنبائها عن الأشياء الغائبة عنها ، وتصرفاتها في هذا العالم المحسوس وغير ذلك من أحكام الأرواح وآثارها البادية والله أعلم .

\* \* \*

وإلى هنا انتهى ما حررناه من المطالب والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وقد تم تبليغها في يوم الاثنين الموافق ١٢ من ربيع الأول سنة ١٣٥٠ هـ على يد أفقر العباد إلى مولاه الرؤوف محمد بن حسين بن محمد مخلوف العدوي المالكي الأزهرى الخلوتى الشرقاوى عفا الله عنه وغفر له ولوالديه ومشايخه والمسلمين آمين .

حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته إلا من باثريه ، وأن هذه الرؤية إنما تقع للكاملين الذين لم يخلوا باتباع الشريعة قدر شعيرة ، أولأهل الجذب والشهود الذين لم يفرقوا في هذا العالم بين معقول ومشهود ، وأن الذي يرى خارج القبر وينتقل إلى الجهات إنما هو مثاله صلى الله عليه وسلم وصورته لأجسه وبدنه ، كما عليه أكثر أرباب الأحوال ، وبه صرح الغزالي وغيره من أئمة الدين ، وذلك إما بأن تتشكل روحه الشريفة ، وتظهر بصورة مرئية مع بقائها ، متعلقة بجسمه الشريف الحى فى القبر السامى المنيف ، كما ظهر جبريل عليه السلام بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي وغيره ، ومع ذلك لم يفارق سدره المنتهى ، وإما بجسد مثالى تتعلق به روحه صلى الله عليه وسلم كما هى متعلقة ببدنه الشريف ، ولا مانع من تعدد الجسد المثالى إلى ما لا يحصى مع تعلق روحه بكل جسد ، وبذلك ينحل السؤال عن كيفية رؤية المتعدين له عليه الصلاة والسلام فى زمان واحد فى أقطار متباعدة ، وقد يرى نفس جسده الشريف ، ولكن فى قبره بحيث لا ينتقل من موضعه المنيف ، وإلا خلت منه الحجرة الشريفة وامتنع رؤيته فى مكانين فى زمان واحد لذوى الأحوال والمقامات ، نعم يجوز أن ينتقل من قبره فى نظر الرأى وخياله ، وعلى ذلك يرى فى أمكنة متباعدة .

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا  
وينبئ لمن وقع له ذلك من الكل أن لا يشيعه بين العامة لما فيه من  
التعرض للفتنة وحمل الناس على سوء الظن والتهمة ، وقد نصوا على أن رؤية

## الخاتمة

فى نص السؤال والجواب

الإجمالى السابق إرساله إلى السائل

السؤال : ما قولكم فى رجل ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من قبره وتوجه إلى بعض الجهات وخاطب بعض مشايخ الطرق شفها وقال له « أولادك أولادى وأصحابك أصحابى ، فهل هذه الدعوى صحيحة ؟ » .

الجواب : أما بعد حمد الله ، فاعلم وفقك الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم حى فى قبره بجسمه وروحه ، وأنه بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شىء ، وأن حياته صلى الله عليه وسلم هذه نوع من الحياة غير معهود لنا أنم ، من حياة الشهداء ، وأقوى وأكمل من الحياة الدنيوية وإن لم يحس بها ولا يدركها كل أحد ، حتى لو فرض انكشاف القبر الشريف لا يرى الناس النبي فيه إلا كما يرون سائر الأموات الذين لم تأكل الأرض أجسادهم وقد يكشف الله لبعض عباده فيرى ما لا يرى الناس من أسرار تلك الحياة وآثارها ، وكذلك سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وكما أن حياته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته غير معهودة ولا مدركة لنا ، كذلك رؤيته بالبصر ليست كالرؤية المتعارفة عند الناس ، وإنما هى جمعية

اليقظة باب ضيق قل من يقع له ذلك إلا من كان على صفة عزيز وجودها ، بل  
 عدت من قرون عديدة ، فإياك بهذا الزمان الذي كثرت فيه الفتن ،  
 وانتشرت أنواع الفسوق ، وبعثت فيه المناسبة بين الناس وبين الحضرة النبوية .  
 وبالجملة : فرويته صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومخاطبته مقام عال ، وسر رباتي ،  
 متى اكتشف استتر ، ومتى ظهر خفي « انظر تفسير الآلوسي وإحياء الغزالي  
 فيما يتعلق برويته صلى الله عليه وسلم » .

إذا علمت ذلك فشيخ الطريقة المنسوب إليه ما ذكر في السؤال إن كان  
 من الكمل أصحاب الولاية والكشف ، العارفين بالله تعالى ، فلا مانع من  
 رؤيته للنبي صلى الله عليه وسلم على أحد الوجوه المتقدمة ، ولا من انتقال بدنه  
 الشريف في نظر الرائي وخياله ، أو انتقال مثاله وصورته الشريفة ، ومخاطبته له  
 شفها وقوله له « أولادك أولادي » أي هم تحت نظر الحضرة النبوية ولحظها  
 إذا كانوا على قدم الشيخ المرشد ومنهج الكتاب والسنة « وأصحابك أصحابي »  
 أي محبوبك التابعون لنهجك القويم أصحابي ، أي معي ومتمتعون بصحبتى قال  
 تعالى ( وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ) ، ومع هذا  
 لا يظن به إذا كان من أهل هذا المقام وله هذه المنزلة أن يتفوه بمثل ذلك بين  
 العامة ، أو يناجى به بعض الخاصة ، فإن ذلك سر من الأسرار ، وأهل التحقيق  
 لا يرون إباحة السر ، وهذا كله على فرض أن الواقعة صحيحة .

أما الرجل الذي أسند إلى الشيخ هذه القصة ، وأدعاهما بين العامة فقد  
 أساء إليه أكثر مما أساء لنفسه ، وماذا يقصد من إذاعة هذه الحالة ، إن كان ليفهم

الناس أنه ومن حوله على قدم هذا الشيخ وأولاده لتكون له ولهم تلك الزاوية  
 فيحترموا وينالوا من الناس أغراضهم الدنيوية فبئس ما قصد ، وإن كان لتعريف  
 الناس مقام الشيخ تعظيماً له فالشيخ إن كان من الكمل الصادقين ما أعلاه عن  
 هذا التعريف والتعظيم ، وما أشد استيائه من الكشف عن حاله والإباحة بسر  
 وما أحوج هذا الرجل إلى تعرف تلك الخصوصية والعمل على نيلها بالفعل  
 لا بالقول مع التكمم والاجتهاد حتى يبلغ مبلغ الشيخ من الخطوة برؤية  
 النبي صلى الله عليه وسلم ومكالمته والغيرة عليها ، حتى لا يجد سبيلاً إلى التفوه  
 بها بعد ذلك .

وبالجملة : فنشر هذه الأحوال والتحدث بها بين الناس ، واتخاذها عنواناً  
 للصالح وللنقوى ، وعُدَّة لدعوى الاندراج في عداد سلف القوم وخيارهم ، نوع  
 من الكذب في الأحوال وهو أسوأ حالاً من الكذب في المقال :

وَدَعْوَةُ الْمَرْءِ تُطْفِئُ نُورَ بَهْجَتِهِ وَلَوْ بِحَقِّ فَكَيْفَ الْمُدَّعِي زَلَلًا  
 فالسكوت أكمل ، والستر أجمل ، والله أعلم .

كتبه الفقير إلى مولاه الرؤوف ، محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوي  
 المالكي الأزهرى عفى عنه .

تحريراً في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣٤ هـ .

## مباحث

### المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية

صحيفة

٣ تقديم بقلم مفتى الديار المصرية لكتاب والده المؤلف .

٦ خطبة الكتاب .

٩ المطلب الأول : في معنى الروح وآلاتها الجسمية

٩ المبحث الأول : في وجود الروح الإنسانية .

١١ الجن والملائكة .

١٣ المبحث الثاني : في الروح الحيوانى وثبوته للإنسان .

١٧ المبحث الثالث : في اختصاص النفس الناطقة بنوع الإنسان .

٢٠ المبحث الرابع : فيما يطلق عليه اسم النفس والروح والقباب الخ .

٢٤ المبحث الخامس : في معنى الروح الإنسانية وكيفية تعلقها بالبدن الخ .

٢٦ مذهب الصوفية في كيفية تعلق الروح بالبدن .

٢٧ أدلة القائلين بتجرد الروح ومعنى كونها من عالم الأمر .

٣١ القول بأن الروح جسمية وأدلتها وكلام ابن القيم .

٣٦ كلام أهل صناعة التنويم المغناطيسى في معنى الروح الإنساني .

٣٨ أقوال أخرى في معنى الروح .

- ٣٨ تحديد حقيقة الروح لاسبيل إليه .  
 ٤٠ القول في أن من عرف نفسه عرف ربه .  
 ٤٢ المبحث السادس : في آلائها الجسمانية .  
 ٤٤ رأى ابن سينا في قوى الروح الحيوانية والإنسانية .  
 ٤٧ إدراك الروح قد يكون بالذات وقد يكون بالآلات .  
 ٤٨ تفاوت النفوس البشرية في إدراكاتها .  
 ٤٨ عجائب للإمام على كرم الله وجهه .  
 ٥٤ موهبة الفراسة والقيافة .  
 ٥٧ قصة نزار بن معد وبنيه .  
 ٦٠ المبحث السابع : في تقدم خلق الأرواح على الأبدان الخ .  
 ٦٥ المطلب الثاني : في تعلق الأرواح بالأبدان  
 ٦٥ المبحث الأول : في افتقار كل من الروح والبدن إلى الآخر .  
 ٦٦ خاصية بعض النفوس القدسية في النشأة الثانية .  
 ٦٨ المبحث الثاني : في أنواع تعلق الروح بالبدن .  
 ٦٨ المبحث الثالث : في تعلق الروح بالبدن وهو جنين .  
 ٧٠ نفخ الروح في آدم واختصاصاته الربانية .  
 ٧٢ تقلب الجنين في أطوار التخليق .  
 ٧٤ كلام الأطباء في تصوير الجنين وتحركه ووقتهما .  
 ٧٥ تسوية النطفة وإعدادها لنفخ الروح .  
 ٧٨ استدعاء البدن للروح وتقويمها له الخ .  
 ٧٩ كلام صاحب الإبريز وابن سينا في إنزال الروح إلى البدن الخ .  
 ٨١ اختصاص نفخ الروح بطور العظام .

- ٨٣ أكوان الروح وقواها الذاتية .  
 ٨٤ تشعشع نور الروح النبوى في جسده الشريف .  
 ٨٥ كلام علماء الشريعة وأقوال الأطباء فيما يتخلق منه الجنين .  
 ٨٨ تأخر الجنين في بطن أمه عن وقته المعتاد .  
 ٩١ الكلام في آية ( يخرج من بين الصلب والترائب )  
 ٩٣ كلام علماء الأجنة في تفصيل حياة الجنين الخ .  
 ٩٥ المبحث الرابع : في تعلق الروح بالبدن بعد انفصاله عن الرحم .  
 ٩٨ حمل الروح للبدن وعروجها به .  
 ١٠٠ الكلام في توفى عيسى عليه السلام ورفعته إلى السماء .  
 ١٠٢ الكلام في رجوع النفس إلى أصلها الخ .  
 ١٠٣ تفاوت إدراك النفوس وقواها الفطرية والكسبية .  
 ١٠٦ ظاهرة غريبة في الإدراك بحاسة اللمس .  
 ١٠٧ أكمل الأرواح موهبة أرواح الأنبياء .  
 ١١١ أصناف النفوس البشرية وكلام ابن خلدون .  
 ١١٤ تفاوت النفوس في الانسلاخ عن البشرية .  
 ١١٥ المبحث الخامس : في تعلق الروح بالبدن حالة النوم .  
 ١١٨ الرؤيا المنامية .  
 ١٢١ التنويم المغناطيسى وغرائبه .  
 ١٢٦ ظاهرة غريبة لروح التوأمين .  
 ١٢٧ ظاهرة أخرى لنقل السم من بدن إلى آخر .  
 ١٣٠ المبحث السادس : في تعلق الروح بالبدن في البرزخ .  
 ١٣٢ إعادة الروح إلى البدن في قبره وحياته بها الخ .  
 ١٣٧ بيان المغايرة بين التعلق البرزخى والتعلق الدنيوى الخ .



١٣٨ وصول اللذة والألم إلى البدن بواسطة التعلق البرزخي :

١٣٩ السر في أن اللذة والألم في البرزخ غير محسوسين .

١٤١ وصول النعيم والعذاب إلى البدن قبر أو لم يقبر .

١٤٢ أعمال الأرواح في البرزخ وما تنعم به أو تعذب .

١٤٥ تعدد المعاد والبعث .

١٤٧ أحكام الأرواح في عالم البرزخ .

١٤٨ المبحث السابع : في تعلق الروح بالبدن يوم البعث .

١٥١ نشأة الآخرة غير نشأة الدنيا .

١٥٦ الكلام في أن المعاد هو المبدأ أو مثله ، ونفي القول بالتناسخ :

١٥٨ الفرق بين تعلق الروح بالبدن في الدنيا وتعلقها به في النشأة الأخرى :

١٦٠ رؤية الله في الآخرة بعيون أخرى غير العيون الدنيوية :

المطلب الثالث : في معنى الحياة والموت ١٦١

١٦١ المبحث الأول : فيما يطلق عليه اسم الحياة .

١٦٦ حياة الجماد وما وقع فيها من الخلاف :

١٦٩ إعادة الحياة للأبدان بعد موتها في عالم الدنيا .

١٧٠ المبحث الثاني : في معنى الموت .

١٧٢ المبحث الثالث : في أن حياة البرزخ حقيقية الخ .

١٧٤ الكلام في شهداء الحرب ومن ألحق بهم :

١٧٦ الحياة البرزخية ليست ثابتة مستقرة في كل بدن .

١٧٩ المبحث الرابع : في امتياز الأنبياء بأحكام في البرزخ :

١٨٢ المطلب الرابع : في مستقر الأرواح في البرزخ

١٨٢ المبحث الأول : في أن مستقر الأرواح متفاوت .

١٨٦ المبحث الثاني : في أن للأرواح جولانا في عالم الملك .

١٨٩ المطلب الخامس : في الأولياء وكراماتهم في الحياة

وبعد المات

١٨٩ المبحث الأول : في تعريف الولي شرعا وتعريف الكرامة ، وأدلة

ثبوتها للأولياء .

١٩٣ كلام الصوفية في الفرق بين المجنون والولي المجذوب :

١٩٤ كرامة الولي معجزة للنبي .

١٩٥ انفارق بين المعجزة والكرامة .

١٩٦ الكرامة لا تدل على كمال الاستقامة .

١٩٦ المبحث الثاني : في أنواع الخارق والسحر :

١٩٧ ما يصدر عن طائفة الرفاعية .

١٩٩ تأثير الرق والتعوذات .

٢٠٠ السحر حقيقة واقعة .

٢٠٢ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في السحر والسحرة والجن .

٢٠٤ المبحث الثالث : في أن الكرامة لا تختص بحال الحياة .

٢٠٧ المبحث الرابع : في إقسام الله تعالى بالنفوس الفاضلة ، وفي الاستعانة

بأصحاب القبور .

٢١٠ المبحث الخامس : في شرح حديث « إذا سألت فاسأل الله » الخ .

٢١٤ ما يحمل عليه حديث ابن عباس .

صحيفة

اليقظة

عدد

واحد

واحد

مئة

في

١٠

د

١١

١٢

١٣

١٤

١٥

١٦

١٧

١٨

١٩

٢٠

٢١٧ حث الشريعة على الأخذ بالأسباب مع التوكل .

٢٢٥ تعقب الآلوسى لكلام بعض المحققين والجواب عنه .

٢٢٦ كلام الصوفية في معنى التفويض الإلهي لبعض الأولياء .

٢٣٠ الفعل بالمشيئة لا يعارض عموم القدرة الإلهية .

٢٣٢ الفعل بالمشيئة لبعض النفوس الدنيئة .

٢٣٥ كلام الصدر الشيرازي وغيره في الفعل بالمشيئة بعد الموت .

٢٣٦ كلام ابن خلدون والفخر الرازي في أصناف النفوس البشرية .

٢٤٠ الخاتمة .

بحمد الله وحسن توفيقه قد تمّ طبع كتاب

المطالب القدسية

في أحكام الروح وآثارها الكونية

بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر